جامعة الخليل
كلية الدراسات العليا
قسم التاريخ



القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918 م

إعداد الطالبة
ولاء حلمي حسن شيوخي

إشراف الدكتور

د. عبد القادر الجبارين

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل.

This thesis is submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Modern and Contemporary History in the College of Graduate Studies and Academic Research, Hebron university

1437هـ/ 2016 م

القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918 م

Jerusalem in the First World War 1914-1918

اسم الطالبة: ولاء حلمي شيوخي

الرقم الجامعي:21319069

المشرف: د. عبد القادر الجبارين

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 2016/5/29. من أعضاء لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم

1. رئيس لجنة المناقشة: د. عبد القادر الجبارين التوقيع:..........
2. ممتحناً داخلياً: د. عماد البشتاوي التوقيع:..........
3. ممتحناً خارجياً: د. نعمان عمرو التوقيع:..........

الخليل- فلسطين

1437هـ - 2016 م

الإهداء

إلى امرأة عظيمة أفتخر أنها قامت بتربيتي، إلى مهجة قلبي وبلسم روحي

"أمي"

إلى رجل عظيم يختتم اسمي باسمه، إلى الذي أدّبني فأحسن تأديبي

"أبي"

إلى أعز الناس علي إخوتي

إلى الأهل والأقارب الأحباء

إلى الأصدقاء والزملاء الأعزاء

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل شكري إلى أستاذي الدكتور "عبد القادر الجبارين "الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الرسالة، وتعهدها منذ أن كانت فكرة إلى أن أصبحت رسالة، وذلك من خلال توجيهاته وإرشاداته القيمة، التي كانت منارة اهتديت بهديها .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى جميع الموظفين والعاملين في مكتبة الجامعة الأردنية بعامة وإلى مدير مركز المصغرات الأستاذ "عبد الله دمدوم" الذي ساعدني في التعامل مع سجلات محكمة القدس الشرعية، والصحف التي تناولتها فترة البحث، واحترامي كذلك للأستاذة عبلة المهتدي التي أرشدتني إلى مصادر الدراسة بخاصة.

وشكري العميق إلى كل من :-

- الدكتورة سهيلة شلبي التي زودتني بالوثائق من الجامعة الأردنية والتي أغنت الرسالة بالكثير من المعلومات.
- وأستاذي الدكتور خلقي خنفر لتفضله مشكوراً بتدقيق الرسالة لغوياً.
- جميع موظفي مركز إحياء التراث والبحوث الإسلامية في "أبو ديس".
- العاملين في مكتبتي جامعة الخليل و بلدية الخليل على جهودهم الخالصة.
- كل من ساعدني وساندني في القيام بهذا العمل العلمي المتواضع.

سائلةً الله العلي القدير أن يجزيهم عني خير الجزاء.

المختصرات والرموز

س: سجل

ش: شرعي

م :ميلادي /مجلة

ق :قسم

هـ : هجري

د.م: دون مكان نشر

د.د: دون دار نشر

د.ط: دون طبعة

د.ت، دون تاريخ نشر

ع : عدد

ط: طبعة

مج : مجلد

ت: توفي

فهرس المحتويات

ملخص الرسالة

تناولت هذه الدراسة أوضاع مدينة القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918م، وقد اعتمدت على سجلات محكمة القدس الشرعية كمصدر تتوافر فيه الكثير من المعلومات غير المتوافرة في المصادر والكتب المطبوعة والمنشورة، كما رفدت الرسالة المذكرات واليوميات التي نسجتها أيد مقدسية عاشت فترة الحرب، كيوميات خليل السكاكيني، ومذكرات العسكري إحسان الترجمان، ومذكرات الموسيقي واصف جوهرية، ومصدر آخر مهم وهي أوراق شخصية عن رواية شفوية، توفرت لدى الباحث والمؤرخ المقدسي عزام توفيق أبو السعود، حيث انه كتب فيها أحداث الحرب عن رواية والده "توفيق أبو السعود" المولود في القدس عام 1902م الذي عمل أستاذاً في المدينة وشهد فترة الحرب وكانت له رؤية خلال الحرب .

تكمن أهمية دراسة هذه الحقبة من تاريخ مدينة القدس، في أنه لم يفصل البحث فيها من قبل الباحثين السابقين، إذ أن فترة السنوات الأربع وهي فترة الحرب، كان لها صدىً كبيرٌ وأثرٌ واسع على المجتمع المقدسي، وأبرزت المحن التي تعرض لها المجتمع المقدسي في أعوام الحرب العالمية الأولى.

وقد أشارت الدراسة إلى السياسة العثمانية في القدس خلال الحرب العالمية الأولى، ثم أهم الإجراءات التي اتخذت عقب دخولها الحرب، وما قام به"أحمد جمال باشا" قائد الجيش الرابع تجاه المؤسسات والأديرة والمستشفيات الأجنبية، إضافة إلى النفي والإعدام، والعزل عن المناصب ودور الصحافة خلال الحرب والرقابة عليها، وتوضيح حول السياسة العثمانية تجاه الحركة العربية والحركة الصهيونية في القدس خلال الحرب ومعرفة المواقف المتباينة لهذه الأطراف من الحرب.

هذا وقد شملت الدراسة الأوضاع الاجتماعية التي عانى منها سكان القدس، من حيث الحديث عن أوضاع أهالي القدس خلال الحرب على مختلف طبقاتهم، والعلاقات بين الطوائف المقدسية خلال الحرب من مسلمين ويهود، ونصارى، كما أشرنا إلى التغيرات التي طرأت على المجتمع المقدسي خلال الحرب والمؤسسات التعليمية، والجوع، والفقر، وظهور الشحاذة، والتطرق إلى النواحي الصحية وإقامة العثمانيين عدداً من المستشفيات والصيدليات في القدس خلال هذه الفترة.

وتضمنت الدراسة أيضاً الأوضاع الاقتصادية في القدس، كمصادرة الحكومة ممتلكات الناس في القدس، ودور تكية خاصكي سلطان في القدس لتأمين احتياجات الناس من الطعام خلال الفترات التي مرّت بها القدس ماثلة في الفقر المدقع، والجوع المؤلم، وما سببته الحرب من غلاء المعيشة والتي تسببت في ارتفاع الأسعار وازدياد الضرائب، مما أدى إلى انتشار المجاعة بشكل كبير جداً في

القدس، ولم يقف الأمر عند هذا لحد فقد تأثرت التجارة والصناعة وحتى الزراعة في هذه المدينة المقدّسة.

توقفت الدراسة عند المرحلة الأولى للإدارة العسكرية في القدس عام 1918 م، وكيفية دخول بريطانيا إليها، كما أشرنا إلى أهم الصعوبات التي واجهت القدس في السنة الأولى من عهد الإدارة العسكرية وأهم التنظيمات الإدارية التي قامت بالقدس كالأمن والنظام، والشؤون القضائية والأحوال الاقتصادية منها لأمور المالية والعملات، والضرائب التي فرضت وألغيت بعهدهم والأوضاع الاجتماعية وتنظيم مدينة القدس لصالح اليهود من خلال خطة ماكلين، وجمعية محبي القدس، وتأثير ذلك على سكان المدينة ثم الحديث عن الأوضاع السياسية في القدس خاصة مع اليهود، ومنحهم التسهيلات وصولاً إلى إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين من خلال إصدارها وعد بلفور1917م، وعلاقتها أيضا بالمسلمين وخذلانهم، مما حدا بعرب القدس إلى تأسيس جمعيات رداً على السياسة البريطانية تجاه اليهود وأبرزها الجمعيات الإسلامية المسيحية .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبد الله، عليه أفضل صلاة وأتم تسليم، وبعد:

فقد شكلت الحرب العالمية الأولى 1914-1918م في مدينة القدس، أحد المفاصل المهمة في تاريخ المدينة المقدسة بين نهاية الحقبة العثمانية، وبداية عهد الاحتلال البريطاني للمنطقة، وما بين الفترتين عانت القدس من حرب دامية أثرت عليها في مختلف نواحي الحياة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، وبقيت معها هذه الآثار حتى ما بعد الحرب، وقلبت الموازين كافة لغير صالحها أهمها تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين وانعكاسها المباشر على القدس، مما أوجد ردة فعل سياسية عربية فيها أخذت تتبلور رداً على سياسة الإدارة العسكرية البريطانية والمتمثلة بالجمعيات الإسلامية المسيحية، وغيرها من الأحزاب السياسية التي شكلت أول مظهر للوعي الوطني والسياسي المنظم في فلسطين، وما قامت به هذه المؤسسات من دور في مقاومة المشروع الصهيوني والمخططات الرامية لتهويد فلسطين .

بدأت الدراسة من عام 1908م، وهي فترة مهمة في تاريخ مدينة القدس تركزت حول محورين كان لهما أكبر الأثر خلال الحرب وما بعدها، أولهما: الحركة العربية في متصرفية القدس والمطالبة بالانفصال عن الدولة العثمانية قبل الحرب، وقد توجت هذه الحركة خلال الحرب بالثورة على الدولة العثمانية عام 1916م والوقوف إلى جانب بريطانيا مقابل وعود مبهمة باستقلالهم عن الدولة العثمانية، ثانيهما التغير السياسي في تركيا عام 1908م الذي قدم للحركة الصهيونية آمالاً جديدة إذ كانت الحركة قبل زوال نظام عبد الحميد قد يئست من تحقيق برنامجها، ولكن مع وصول الاتحاديين للسلطة ومساهمة فئات من اليهود في إحداث الانقلاب السياسي، ثم حاجة الدولة للأموال اليهودية استطاع اليهود تحقيق ما لم يحققوه في عهد السلطان عبد الحميد، واستطاعت خلال الحرب أن تستغل الظروف الدولية وأن تنتزع من بريطانيا وعد بلفور عام 1917م، الذي أخذ يتحقق ما بعد الحرب وسقوط القدس بيد بريطانيا وتسليمها فيما بعد لليهود.

• أسباب اختيار الدراسة

حظيت دراسة تاريخ القدس باهتمام عدد كبير من الباحثين والمؤرخين في الشرق والغرب لأهميتها الدينية والتاريخية على مر العصور، وبالرغم من كثرة البحوث والمؤلفات التي تناولت تاريخ المدينة إلا أن هناك العديد من القضايا الأساسية والفترات التاريخية غدت ملّحة للبحث، وتشكل حيزاً هاماً وحقلاً خصباً أمام الباحثين، ومنها فترة الحرب العالمية الأولى، وما أثرت به بشكل مباشر على القدس وإلقاء الأضواء على الكثير من جوانبها الخفية .

لا يمكن فهم ما جرى في القدس بعد عام 1917م والمحن التي تعرض لها الفلسطينيون منذ ذلك التاريخ من دون العودة إلى ما قبل سقوط القدس بأيدي البريطانيين، وبالتحديد في أعوام الحرب العظمى، لذا فإن إعادة قراءة الحرب تستلزم وضع هدف رئيس ضابط يتمثل بمعرفة ما جرى بالضبط بين عامي 1914–1918م مما يحتّم إعادة النظر في المصادر الأولية ومراجعة الأدبيات المختلفة مثل السلوك العثماني إبان الحرب جيشاً وإدارة، ودور الفلسطينيين الحقيقي في الحرب وطبيعة الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية التي مرت بها القدس خلال الحرب.

لذلك جاءت دراسة أوضاع مدينة القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914–1918، حتى العام الأول من عهد الإدارة العسكرية في القدس في محاولة لملء الفراغ الذي أهملته الدراسات السابقة في هذه الحقبة من تاريخ المدينة، الأمر الذي تطلب إفراد دراسة علمية مختصة فيها بالرجوع إلى المصادر الأولية من سجلات محكمة القدس الشرعية، واليوميات والمذكرات التي حملت في طياتها سير أصحابها خلال الحرب وتطرقت للأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية التي مرت بها المدينة المقدسة.

• فصول الدراسة

بدأت الدراسة بتمهيد تحدثنا فيه عن القدس قبيل الحرب في مختلف النواحي إدارياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وهل أثرت الحرب على المدينة بمختلف نواحيها وما هو الفارق الذي خضعت له القدس خلال الحرب.

أما الدراسة فقد قسمت إلى ثلاثة فصول:

عالج الفصل الأول :- السياسة العثمانية في القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918م من خلال الحديث عن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة العثمانية في القدس بعد إعلانها الدخول للحرب كإعلان التعبئة العامة، إعلان الجهاد المقدس، واستقبال الراية النبوية وتقسيم الجنود لطوابير والاستيلاء على المؤسسات، والرقابة على الصحافة، وعمليات النفي والإعدام والعزل عن المناصب كما تطرق الفصل إلى سياسة الاتحاديين تجاه الحركة العربية في القدس خلال الحرب ،ابتداءً من خلع السلطان عبد الحميد عام 1909 والذي مثل عصر الاستبداد بالنسبة للعرب، وصولاً إلى نفس السياسة المتبعة في عهد السلطان، وقد مارستها الحكومة الاتحادية خلال الحرب والتي لم توف بعهدها للعرب بمساواتهم وإعطائهم حقوقهم فأقامت المحاكم العرفية لإعدام وتعذيب من وقف في وجه الدولة العثمانية

كذلك الأمر الحديث عن سياسة الاتحاديين تجاه الحركة الصهيونية والتي بدأت بتزايد النفوذ الصهيوني خلال فترة حكمهم والتسهيلات التي قدمت لهم لخدمة مشروعهم الصهيوني ،ثم الضربة التي وجهت لهم من قبل جمال باشا الذي تخوف من نشاطاتهم في المدينة المقدسة ، حيث كان هناك تناقض في ولاءات اليهود خلال الحرب بين مناصر لألمانيا ومؤيد لبريطانيا، إن الحركة الصهيونية لم تكن تهتم مع من تكن خلال الحرب المهم هو أن تكسب جهة تستطيع أن تحصل على الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، صحيح أنها وقفت وشاركت بالمجود الحربي العثماني لكنها سرعان ما انسحبت نتيجة لسوء المعاملة، ودخولها إلى جانب بريطانيا؛ وذلك للتأثير على معنويات الجيش التركي وتحقيق مكاسب من بريطانيا، ساعدها على ذلك شبكات الجاسوسية التي أقيمت في المدينة بالتعاون مع بريطانيا، حيث تمكنت الجاسوسية الصهيونية في القدس من معرفة ما يجري في دوائر السلطة العثمانية الحاكمة والتي كانت سبباً من الأسباب لسقوط المدينة المقدسة بأيدي بريطانيا وتسلميها فيما بعد لليهود.

أما الفصل الثاني :-فقد تضمن الحديث عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في القدس خلال فترة الحرب، بدءاً بالأوضاع الاجتماعية كالحديث عن أوضاع أهالي القدس خلال الحرب، والعلاقة بين الطوائف في القدس مسلمين ومسيحيين، ويهود، مروراً بالتغيرات التي طرأت على المجتمع المقدسي خلال الحرب وتغيير نمط حياتهم، كظهور الساعات وهذا أوجد قوانين لتحديد ساعات الخلود إلى البيت، وظهور المقاهي والفوتوغراف، والسينما، والموسيقى، وحمل الفصل بين طياته أثر الحرب على المؤسسات التعليمية في القدس، وصولاً إلى الجوع والفقر، وشرح عن الشؤون الصحية والمستشفيات والصيدليات، وأطباء القدس خلال هذه الفترة.

وقد تطرق الفصل للحديث عن الأوضاع الاقتصادية في القدس خلال الحرب العالمية الأولى كمصادرة الحكومة ممتلكات الناس، ودور تكية خاصكي سلطان في تأمين احتياجات السكان والضرائب وارتفاع الأسعار، بالإضافة إلى تدهور الصناعة والتجارة، وضغط السكان من هذه الأوضاع مما أدى للثورة على العثمانيين عام 1916م.

وتناول الفصل الثالث –القدس خلال الحكم البريطاني 1917–1918م، وسقوط المدينة المقدسة 1917م، والإدارة العسكرية في القدس 1918 م، من خلال الحديث عن التنظيمات الإدارية في القدس في عهد الإدارة العسكرية كالأمن والنظام، والشؤون القضائية، الإفتاء، ونقابة الأشراف ووظائف الحرم القدسي الشريف، وصولاً للحديث عن بلديتها كيف كانت خلال الحرب وما أصبحت عليه فترة الحكم البريطاني، تناولنا أيضاً الحديث عن الأوضاع الاقتصادية خلال فترة ما بعد الحرب كالتطرق للشؤون المالية ، والعملة العثمانية وما جرى عليها من تغييرات، والضرائب والحديث عن الأوضاع الاجتماعية وتنظيم مدينة القدس وتأثير ذلك على سكان المدينة المقدسة، من خلال خطة ماكلين وجمعية محبي القدس .

تطرق الفصل أيضاً للحديث عن الأوضاع السياسة في عهد الإدارة العسكرية البريطانية من خلال السياسة البريطانية تجاه اليهود والمساندة للاستيطان الصهيوني في القدس، كإصدار وعد بلفور وتعيين موظفين يهود في الإدارة العسكرية، وتغيير إجراءات الهجرة الصهيونية، وكذلك بناء المستوطنات الصهيونية في القدس وتوضيح حول تشكيل المفوضية الصهيونية، واجتماع المفوضية الصهيونية مع وجهاء القدس عام 1918 م بدعم من بريطانيا، ثم السياسة البريطانية تجاه عرب القدس، مروراً بردود فعل عرب القدس التي أخذت تتبلور رداً على السياسة البريطانية تجاه اليهود كإقامة الجمعيات الإسلامية المسيحية، والنادي العربي، والمنتدى الأدبي، والجمعية الإسلامية وكلها جمعيات تهدف لمكافحة الصهيونية .

وحوت الخاتمة خلاصة ما توصلت إليه الباحثة من نتائج، ثم قائمة شملت المصادر والمراجع الخاصة بها، وملخص لها باللغة الإنجليزية .

وأود في هذا المقام أن أسير على نهج السلف الصالح فأقول: إن أحسنت فمن الله عز وجل، وإن كان غير ذلك فإن صفة الإنسان النقص، فالكمال لله وحده.

أساله الرضى والتوفيق لما يحب ويرضى.

• الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة لهذه الدراسة

1–دراسة بهجت صبري، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1914–1920**، تحدث فيها عن الأوضاع السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية التي سادت فلسطين في الفترة بين عامي 1914–1920م.وهي دراسة تحدثت عن فلسطين بشكل عام أما هذه الدراسة عن القدس فقط .

2– حزماوي، محمد، **مدينة القدس خلال فترة الحرب العالمية الأولى وما بعدها (1914–1920) كما تصورها يوميات خليل السكاكيني**، وهي دراسة نشرت في مجلة شؤون فلسطينية تناولت أوضاع القدس منذ بداية الحرب العالمية الأولى وحتى بداية عهد الإدارة المدنية في عام 1920 حيث تطرقت الدراسة لمواضيع عامة، بدون تفصيل أوضاع القدس، وبالاعتماد على مصدر واحد هو مذكرات خليل السكاكيني.

3– مناع، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1800–1918م**، تهدف هذه الدراسة إلى الحديث عن فلسطين في العهد العثماني ابتداء من ثورة نقيب الأشراف (1703–1705)حتى نهاية الحكم العثماني، والتطرق للحديث عن الحرب العالمية الأولى، وإن كان مجمل الكتاب يتناول التاريخ السياسي لفلسطين إلا أنه تطرق للنواحي الاقتصادية والاجتماعية أيضاً.

4– الشورة، صالح، **مدينة القدس تحت الاحتلال والانتداب البريطانيين 1917–1948م** تهدف الدراسة إلى إظهار المتغيرات التي حلت بالمدينة منذ وقوعها تحت الاحتلال والانتداب البريطاني ورصد التحولات التي طرأت على المدينة من أحداث سياسية، وإدارية، واقتصادية، وثقافية إبان الفترة نفسها وقبل الانتداب أيضا، والهجرات اليهودية إلى القدس والوضع الثقافي والاقتصادي في المدينة، وموقع القدس من التقسيم والحرب (1947–1948م) .

لكن هذه الدراسة لم تتطرق لأوضاع القدس خلال الحرب، بل كان شرحاً عاماً لم يحظ بعنصر التفصيل .

• منهجية البحث

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على منهج البحث التاريخي، والقيام بتحليل، واستخلاص المعلومات من سجلات محكمة القدس الشرعية، والمذكرات التي تعد مصدراً رئيساً لهذه الدراسة كيوميات خليل

السكاكيني، ومذكرات الموسيقار واصف جوهرية، والعسكري إحسان الترجمان وغيرهم، والتي شكلت مشاهداتهم وتجاربهم مصدراً غنياً بشأن مختلف الأوضاع العامة لفلسطين بشكل عام ولمدينة القدس بشكل خاص، ودّونوا ما مرت به المدينة من تطورات اقتصادية واجتماعية، وسياسية، وثقافية، ولم يراع فيه الترتيب الزمني للأحداث.

- **صعوبات الدراسة**

من الصعوبات التي واجهتني

- صعوبة الوصول إلى سجلات محكمة القدس الشرعية لوجودها في مركز إحياء التراث والبحوث الإسلامية في "أبو ديس"، وعدم توفر أجهزة ميكروفيلم للباحثين، الأمر الذي دفع الباحثة إلى السفر إلى مركز الوثائق والمصغرات الفلمية في مكتبة الجامعة الأردنية . حيث مكثت فترة عكفت على قراءتها ومطالعتها، واستقرائها، واستنطاقها .
- إضافة إلى ترجمة عدد من الكتب الأجنبية والعبرية، وهذا أخذ من الباحثة وقتاً طويلاً في الترجمة، وعدم القدرة على الوصول لبعض الكتب المهمة لعدم توفرها .

- **تحليل المصادر**

اعتمدت على مجموعة من المصادر الأولية منها سجلات محكمة القدس الشرعية، وإن لم تغط جميع الفترة التي نتحدث عنها، فضلاً عن كتب اليوميات والمذكرات، وبعض الدراسات التاريخية الحديثة.
وفيما يلي تحليل لبعض المصادر

1- المصادر غير المنشورة

وقد زودتني ببعض من المعلومات لتي تحتاجها الدراسة في الفترة الواقعة بين عامي 1914-1918م.

أ-سجلات محكمة القدس الشرعية من سجل 407-416:

- سجل رقم 407 من 1329- 1331هـ/1911-1912م
- سجل رقم409من 1331-1332هـ/1912-1913م
- سجل رقم411 من 1331-1337هـ/1912-1918م
- سجل رقم412من 1332-1334هـ/1913-1915م
- سجل رقم413من 1333-1340هـ/1914-1921م
- سجل رقم 416من 1336- 1338هـ/1917-1919م

تحظى السجلات من خلال حجج التركات والمواريث، بمعرفة مدى الارتفاع والهبوط بالأسعار لا سيما أن العملة العثمانية كانت قد تدهورت فترة الحرب، والحال التي وصل إليها الأطفال بعد أن سيق

الأب، أو من يتولى حضانتهم إلى جبهات القتال، مما حدا ببعض من يتوصى بهم لطلب الأموال من أوقاف القدس لطلب الأموال التي أودعها أهلهم فيها، أو قروض وضمان سدادها مقابل فائدة، والديون التي طالت الأهالي خلال الحرب مما أدى لرهن البيوت والدكاكين، ومعرفة بعض العملات التي استخدمت هذه الفترة .

ب- تقارير إدارة فلسطين و شرق الأردن، 1918-1948 م، الجزء الأول

Palestine &Transjordan administration reports,1918-1948, vol1

وقد اعتمدت الباحثة على هذا المصدر من خلال التعرف الأوضاع الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية التي مرت بها القدس منذ دخول بريطانيا إلى فلسطين خاصة في عهد الإدارة العسكرية.

ج- الصحف والمجلات، أهمها صحيفة فلسطين، والكرمل، والمقطم، والمقتبس، والبشير، والبيان والكوكب، والدفاع، والتي تركت بين طياتها العديد من المعلومات القيمة عن مدينة القدس فترة الحرب كسير العمليات العسكرية، وإجراءات أحمد جمال باشا في القدس، ومعرفة أسعار العملات، وأسعار الخضار والفواكه، ودخول بريطانيا إلى القدس وغيرها من الأمور المهمة التي نجدها في صفحات الدراسة .

2-المصادر والمراجع المنشورة.

التي ملأت النقص في كثير من المعلومات التي كنت بحاجة إليها والتي قدمت معلومات عن تاريخ المنطقة، وبينت الأحوال التي عاشتها القدس خلال فترة الحرب، ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة ويشكل اهتماماً كبيراً جداً خاصة أن إعادة قراءتها تمهد للوصول إلى فهم أعمق وأشمل لما جرى فترة الحرب منها.

- المذكرات واليوميات، كيوميات خليل السكاكيني الكتاب الثاني، وتعرض وصف الأوضاع في القدس خلال الحرب، وطبع رأيه الشخصي في هذه اليوميات، وقد عرفنا من خلال يومياته ما جرى في أزقة القدس وحاراتها، ونراه يغوص في حياة السكان اليومية، ويحدثنا عن واقعه الشخصي خلال الحرب، وبينت الواقع الاجتماعي، والأحوال الاقتصادية، والثقافية، ورصدت عواطف الناس وأحاسيسهم وتوضح مواقفهم من السياسات العثمانية، ومساهمتهم في الحرب وتقدم تحليلات لمواقف الأطراف المتحاربة .
- مذكرات العسكري إحسان الترجمان والذي خدم في الجيش العثماني في القدس، لم تختلف يومياته كثيراً عما ورد في مذكرات خليل السكاكيني، إلا أن كلا منهم يعرض تجربته الشخصية

وفق مكانته في المجتمع، وكونه عسكرياً فقد تحدث عن أوضاع الجيش العثماني خصوصاً أن القدس كانت مركز لتجمع الجنود ومن ثم توزيعهم على الجبهات .

- مذكرات الموسيقي المقدسي واصف جوهرية، تطرق في مذكراته للناحية الثقافية في القدس ووضع الموسيقى فترة الحرب، وعن علاقته بكبار الشخصيات المقدسية التي يرى أنها بعيدة عن الأحداث مقارنة بالشعب الذي يعاني المرارة من الحرب، وعن علاقته كمسيحي بالطوائف المسلمة واليهودية.
- مذكرات الجنرال رونالد ستورز، وهو الحاكم العسكري لمدينة القدس عام 1918م تعد مذكراته من المصادر المهمة التي اعتمدت عليه الباحثة، وهذا الكتاب متوافر باللغة الإنجليزية وفيه وصف للقدس فترة دخول البريطانيين، وأحوال القدس ما بعد الحرب والإجراءات التي تم اتخاذها عقب دخوله المدينة.

كانت للتجربة الشخصية ونفسية المؤلفين وطبيعتهم الاجتماعية أثرها في معرفة ما جرى في القدس خلال الحرب، فلكل من هذه المذكرات كان لها موقف على اختلاف مكانتهم في المجتمع وموقفهم من الحكم العثماني خلال هذه الفترة.

- وهناك عدد من المذكرات التي كان لها شان فترة الحرب، ولكنها ليست بمستوى المذكرات التي أشرنا إليها سابقاً- كمذكرات رشيد نخلة في كتابه "المنفى"، ومذكرات قائد الجيش الرابع "أحمد جمال باشا" وأيضا كتاب عارف العارف "المفصل في تاريخ القدس" والذي شهد فترة الحرب أيضاً وكتاب "تاريخ فلسطين" لطوطح، والبرغوثي، وكانت لهم مشاهدات كثيرة أيضاً في فترة الحرب .

أما أهم المراجع التي اعتمدتها الباحثة في الرسالة، فهو كتاب عبلة المهتدي، "**القدس والحكم العسكري البريطاني 1917-1920م**"، تطرق لمرحلة القدس في نهاية الحقبة العثمانية وبداية عهد الإدارة العسكرية في القدس وكتاب زهير الفاهوم" **فلسطين في أواخر الحكم العثماني**"، تناول أوضاع فلسطين خلال الحرب العالمية بشكل عام، وكتاب كامل خلّة "**فلسطين بين الانتداب والصهيونية 1922-1937م**" وقد تطرق لأوضاع فلسطين خلال فترة الحرب العالمية الأولى وبيان نويهض الحوت "**القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917-1948م**"وقد تحدثت عن فترة الحرب وعهد الإدارة العسكرية.

التمهيد

القدس قبيل الحرب العالمية الأولى إدارياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً

كانت فلسطين تعرف بسورية الجنوبية في تبعيتها الإدارية، حيث إنها لم تكن وحدة إدارية منفصلة ضمن التقسيمات الإدارية التي استحدثتها الدولة العثمانية طوال فترة حكمها للبلاد العربية[1]، وفي أواخر العهد العثماني قسمت فلسطين إلى ثلاثة سناجق هي: سنجق عكا، وسنجق نابلس، وسنجق القدس الذي ألحق مباشرة بالأستانة عام 1874م وضم أقضية القدس، ويافا، والخليل، وغزة، وبئر السبع[2]

ووفقاً لقانون الولايات العثمانية الصادر عام 1864م تشكل في مركز كل ولاية مجلس عمومي برئاسة الوالي وينتخب أعضاؤه من قبل أعضاء مجلس الإدارة في الأقضية، غير أن الدولة ميزت القدس عن بقية المناطق والأقسام الإدارية الأخرى نظراً لمكانتها الدينية لدى الطوائف الدينية الثلاث، فتشكل فيها مجلس عمومي بلغ عدد أعضائه عام 1911م اثني عشر عضواً، وكان نصيب قضاء القدس من ذلك ثلاثة أعضاء[3].

رأس المتصرف الجهاز الإداري في لواء القدس، واتخذ من المدينة مقراً له، وكان يتولى الإشراف على الأمور المالية، والمدنية، والأمنية، ويساعده عدد من الموظفين الإداريين[4]، كما تشكل في مدينة القدس عام 1863م مجلس بلدي تنافس على رئاسته بعض الأسر المقدسية كالخالدي والحسيني والعلمي والدجاني[5].

اهتم العثمانيون أن يكون حاكم لواء القدس أو متسلمها موظفاً عثمانياً، حيث حرم أبناء العائلات المحلية من حكم لواء القدس[6]،كما استدعت المركزية في الحكم امتداد الإدارة العثمانية إلى مناطق

---

[1]كانت فلسطين في ظل الحكم العثماني تابعة لأقسام الشام الإدارية، وكانت الشام وقتذاك تتألف من خمس ولايات وهي ولاية حلب، ولاية بيروت، ولاية الشام أو سوريا، متصرفية القدس، متصرفية جبل لبنان ،وجميع هذه الولايات الشامية كانت تابعةً في أمورها العسكرية إلى الجيش العثماني الخامس ومركزه دمشق، الحلاق، حسان، **موقف الدولة العثمانية من الأطماع الصهيونية1897-1909م**، 68-69

[2]**نفسه**، 68

[3]صبري، بهجت، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1914-1920**، 23

[4] عوض، عبد العزيز، **متصرفية القدس أواخر العهد العثماني**، م شؤون فلسطينية، ع4، 130-131

[5]صبري، بهجت، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1914-1920**، 23

[6]Kamal. J, Asali, **Jerusalem in History**,P238

جديدة لم يصلها من قبل، فانتدبت موظفين من خارج اللواء لحكم المدن جلهم من الأتراك، ولكن هؤلاء بشهادة أحد المتصرفين –كانوا لا يفكرون إلا بمنافعهم الخاصة–بعكس مدن نابلس وغزة حكمها أبناؤها، لذلك اتجهت العائلات المقدسية إلى تولي المناصب الدينية مثل الإفتاء والقضاء[1]،ونقابة الأشراف[2].

ازداد نفوذ العائلات المقدسية الرئيسة؛ إذ سيطرت على المناصب العليا في المدينة، وأبرز هذه العائلات عائلة الحسيني، والخالدي، والعلمي، والنشاشيبي، وجار الله، ونسيبة، وكان لها وزن سياسي واستندت في قوتها إلى ثروتها بالإضافة إلى مكانتها الموروثة، وكان منصب المفتي ونقيب الأشراف أهم منصبين في لواء القدس، ولا يتقلدها أحد من غير هذه العائلات، وإن كان المنصبان غير وراثيين[3].

وقد استغلت العائلات المتنفذة انحدارها من النسب الشريف في إحراز مركز مرموق بين السكان وإقطاعهم مساحات من الأراضي، وقد تثبت ذلك كله بسبب إلمامهم بقسط من التعليم الديني الذي كان سائدا آنذاك مما أتاح لهم فرصة شغل وظائف الحكومة لا سيما سلك القضاء، والإفتاء والتدريس في المدارس الدينية[4].

هذا وقد شغل الحسينيون أهم منصبين في القدس وهما :منصب الإفتاء[5]، ونقابة الأشراف والفوز بهذين المنصبين كان يتطلب موافقة قاضي القدس ورضى المواطنين، ولم يكن للمتصرف الحق في التعيين أو العزل، لهذين المنصبين، وكان نقيب الأشراف يبقى في وظيفته لمدة سنة واحدة فقط، تتجدد تلقائياً إذا أرسل الهدايا لبعض موظفي الدولة العثمانية أو إلى نقيب الأشراف في اسطنبول لذلك كان الحسينيون يرسلون من القدس الصابون الفاخر كهدية إلى وكيلهم في العاصمة العثمانية وكان هذا

---

[1] عوض، عبد العزيز، **متصرفية القدس أواخر العهد العثماني**، م شؤون فلسطينية، ع4، 133-134

[2] نقابة الأشراف، كان للأشراف نقيب يطلق عليه نقيب نقباء الأشراف ومقره اسطنبول، وكان لكل منطقة نقيب أشراف وتعيينه من حق نقيب نقباء الأشراف، مسعود، قدري جمال، **عائلة الحسيني في مدينة القدس ودورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي 1918- 1939**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 31

[3] مسعود، قدري جمال، **عائلة الحسيني في مدينة القدس**، 31

[4] العسلي، كامل، **القدس في التاريخ**، 252

[5] شغل الحسينيون منصب الإفتاء في القدس من عام 1791حتى عام 1937م، رغم فقدهم لهذا المنصب لفترة وجيزة وذلك في منتصف القرن التاسع عشر، ويعود ذلك إلى وجود بعض الأعداء والمنافسين للعائلة، إلا أن منصب الإفتاء استمر بدون انقطاع في عائلة الحسيني من عام 1856-1937م وتولى منصب مفتي القدس في هذه الفترة على التوالي مصطفى الحسيني، وطاهر الحسيني، وكامل الحسيني، وأخيراً الحاج أمين الحسيني= =الناصر، معتصم، **الحياة السياسية العربية في القدس1918-1934م**،11؛جبارة، تيسير، **الحاج أمين الحسيني**،10

بدوره يوزع الهدايا إلى الموظفين في العاصمة، وبهذا كان يضمن الحسينيون تجديد تعيينهم المستمر في وظائفهم بالقدس بالإضافة إلى أنهم استغلوا هذه الوظائف من أجل المحافظة على مركزهم في القدس وزعامتهم، ووسّعت هذه العائلة نفوذها إبان عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1876–1909م) فتسلم أفرادها مناصب الإدارة والحكم في البلدية، ومؤسسات المتصرفية المختلفة[1].

عوامل إضافية ساعدت العائلة الحسينية على شغل هذه المناصب الإدارية، والدينية، والبرلمانية هو تفوقهم على غيرهم في العلوم الدينية والسياسية، أما العائلتان اللتان نافستا العائلة الحسينية فهما عائلتا الخالدي وعائلة العلمي، لكن بعد 1908م دخلت عائلة النشاشيبي حلبة الصراع على المناصب والزعامة مع العائلة الحسينية [2].

استغلت العائلات نفوذها لدى الدولة لتمارس نفوذها على الفلاحين مستغلة سوء الأحوال الاقتصادية واستخدام القوة في تحصيل الضرائب من الفلاحين، وعدم رغبتهم في تسجيل أراضيهم باسمهم خوفاً من دفع ضرائب أكثر، وخوفاً من التجنيد الإجباري، لتضع يدها على أراضيهم الزراعية وتسجيلها باسمها وبذلك تمتعت بأسباب القوة والنفوذ عندما تمكنت من جمع مقومات الزعامة والشرف، والعلم والمال وبحكم المركز القوي الذي تمتعت به هذه العائلات، استطاعوا أن يكونوا الوسيط بين الشعب والدوائر الحاكمة، وقد قنعت هذه العائلات بما حصلت عليه من امتيازات مريحة حيث ضمنوا المناصب المهمة[3].

أما العلاقة بين فلاحي المتصرفية وكبار الملاك فقد اتصفت بالسيطرة والاستغلال فقد عمل الفلاحون أجراء لديهم في الأرض، وكانت عقود الإيجار تتم مقابل جزء عيني من الحاصلات على أساس المزارعة أي أن المالك يقدم الأرض وربما البذار، والمستأجر يقدم العمل الزراعي ثم تقسم الحاصلات بينهما حسب الاتفاق، وربما يتفقون على دفع أجر نقدي، أو عيني محدد، أو مقطوع وغالباً ما كان يرث الفلاحين أبناؤهم وأحفادهم في المزارعة، كما يخلف الملاك ورثتهم بالملكية أما علاقة الفلاحين الذين كانت قراهم ملكاً لهم وبين أعيان المدن فقد كان لكل قرية في قضاء القدس واحد أو أكثر من أفندية القدس لحماية مصالحها، والدفاع عن أفرادها لدى دوائر الحكم في المتصرفية مقابل تقديم هدايا نقدية أو عينية إلى الأفندي، وتزويد منزله في المدينة وغيرهما من المواد الغذائية، وما قيل عن أفندية

[1] الناصر، معتصم، **الحياة السياسية العربية في القدس1918–1934م**، 11؛مناع، عادل ، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني1800–1918م**، 20

[2] الناصر، معتصم، **الحياة السياسية العربية في القدس1918–1934م**، 11

[3] عوض، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث1831–1914**، 24؛ شولش، الكزاندر، **تحولات جذرية في فلسطين 1856– 1883م**، 273

القدس ينطبق على متنفذي وأعيان مدن المتصرفية الأخرى، ففي قضاء غزة كان الفقر ظاهرة عامة حيث انحصر معظم الثروة الزراعية في أيدي عدد قليل من العائلات المتنفذة ،كما انتشر الربا بشكلٍ واسعٍ جداً حتى صلت الفائدة لحين موسم الحصاد 40%[1].

ودخل المجتمع الفلسطيني قبيل الحرب العالمية الأولى (1918/1914م)مرحلة جديدة تمثلت في تراكم رأس المال واستثماره بشتى الوسائل، وحصل هذا نتيجة تطورات إدارية، ومالية، واقتصادية غيرت العلاقات المادية، وأعطت المجال لفئات عديدة: أهمها الوجاهة التقليدية المتطورة وفئة التجار للاستحواذ على هذا التراكم على حساب إفقار الفلاحين والحرفيين الذين فقدوا أسواقهم لمزاحمة السلع المستوردة لإنتاجهم فبدأت الجموع الفلاحية تنظر بنقمة إلى فئة الأفندية، التي ترى فيها السلطة المتحكمة بأرزاقهم من خلال سيطرتها على الإدارة الرسمية بطريق مباشر وغير مباشر (أي عن طريق الرشوة)[2].

وجد في القدس مساحات واسعة من أشجار الزيتون، وكان الزيت فيها كثيراً، حتى أن سكان المدينة اضطروا في سنة من السنين، أن يتخلصوا من الزيت القديم ليتمكنوا من إيجاد أوعية كافية للزيت الجديد، وكانت صناعة الصابون رائجة في القدس، وكان بها عدد من المصابن، و يصدر الصابون المقدسي إلى مصر[3] .

لا تعد القدس من المدن الصناعية والتي تصنع فيها الصناعات الثقيلة، بل هي تستهلك مصنوعات البلاد الأخرى بكثرة فقد اشتهرت القدس في العهد التركي بصناعة العلب، والأدوات المدرسية والبضائع الدينية من خشب الزيتون، أو من الصدف، أو الشموع المختلفة، وكانت هذه تباع على الحجاج الذين يفدون من كل حدب وصوب بقصد زيارة الأماكن المقدسة [4]

بلغت عدد الحرف والصناعات قبل الحرب في مدينة القدس ومنطقة عين كارم 167 حرفة أو أعمال صناعية، ولكن سياسة التجنيد الإجباري للرجال وسوقهم إلى الجبهات أدى ذلك إلى قلة الأيدي العاملة في الصناعات وإغلاق محالهم، وقيام الحكومة العثمانية بتدمير الدكاكين والاستيلاء عليها فبقيت صناعات بنسبة ضئيلة جداً، لم تكف سكانها المحليين[5] .

---

[1] مسعود، قدري جمال، **عائلة الحسيني في مدينة القدس**، 25

[2] **نفسه**،28

[3] العارف، عارف، **تاريخ القدس**، 124

[4] شعث، شوقي، **القدس الشريف**، 61؛الطيباوي، عبد اللطيف، **القدس الشريف**، 124

[5] صبري، بهجت، **فلسطين**، 128–129

وكانت القدس مركزاً تجارياً مهماً، يصدر منها القمح إلى انجلترا وبعض البلاد الأوروبية وكذلك السمسم والصابون، وزيت الزيتون، أما البضاعة التي هي في حاجة إليها فقد كانت تستوردها من أوروبا عن طريق مرسيليا وتريستا كالبضائع الصوفية، والحريرية، والخمور، والزجاج، والخشب وما إلى ذلك من الأثاث المنزلي[1]، وقد أدى النشاط التجاري في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى تأسيس فروع لعدد من المصارف، والبنوك العثمانية، والأجنبية في المدن الرئيسة بسبب زيادة المصالح التجارية المتزايدة في مختلف مجالات الاستيراد والتصدير، ومن أشهرها "البنك العثماني" في القدس ويافا، "والبنك الألماني الفلسطيني" في القدس وغزة، "والبنك الفلسطيني التجاري "وتأسس في القدس برأسمال وطني في عام 1911م[2].

اشتهرت فلسطين بعدد من الأسواق المحلية الصغيرة، فكان لكل مدينة سوق خاص بها في يوم معين من الأسبوع، فمثلا كان لمدينة اللد سوق في كل اثنين، أما الرملة وبئر السبع فكل يوم أربعاء ويوم الجمعة في كل من القدس، وغزة، والمجدل، ويافا، والخليل، وكان الفلاحون يقصدون تلك الأسواق حاملين معهم منتجاتهم فيبادلون بثمنها ما يلزمهم من حاجيات[3] .

أما مستوى المعيشة في القدس فقد أخذ بالارتفاع في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وبخاصة في مدينة القدس، وهناك إشارات لارتفاع الأسعار، وتذمر السكان العثمانيين وأجانب من الغلاء وقد ساهمت أعداد اليهود والتي وصلت عام 1914م 85،000. ساهمت إلى حد كبير في ارتفاع الأسعار كما أدت إلى زيارات الأجانب وأعدادهم المتزايدة، والمبالغ التي كانوا ينفقونها ولا سيما في موسم الحج وكانت السلطات المحلية تتوقع ارتفاع أسعار في تلك المواسم وفي مناسبات زيارة الأمراء الأجانب في القدس وزاد مستوى المعيشة في القدس حوالي 15% عام 1907م، وكذلك الحال بالنسبة ليافا، أما بقية المدن الأخرى فكان مستوى المعيشة أقل منها[4]

وبناء على ما تقدم نورد بعض أسعار الحاجيات في القدس ، هل بقيت هذه الأسعار ثابتة أم طرأ عليها تغييرات ، هذا ما سنفصله بالفصول اللاحقة.

الأسعار حتى بداية 1914، مع العلم ان الليرة العثمانية حتى هذا التاريخ كانت تصرف بمائة قرش

الجنس	السعر بالقرش	السعر بالليرة التركية

[1] العارف، عارف، **تاريخ القدس** 125

[2] عوض، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث**، 102

[3] **نفسه**، 102

[4] **البشير**، ع 2390، 24 نيسان، 1914، 3؛ عوض، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث**، 103

القمح الحوراني		1 ليرة
الشعير ثمن الحمل عشر طبات	7	
العدس ثمن الرطل	1.5	
الحمص ثمن الرطل	2	
الفول ثمن الرطل	2	
الرز الرشيدي لونه احمر ثمن الرطل	2.5	
البرغل ثمن الرطل	3	
السميد ثمن الرطل	3	
رطل المعمول جاهز	18	
السمنة رطل	2	
الزيت رطل	7	
السيرج الجرة خمس أرطال	25	
الزبدة ثمن الرطل	15	
الجبنة المكبوسة النابلسية ثمن الرطل	19 قرش	
البقلاوة لكل وقية	6متاليك	
الكنافة لكل وقية	2متليك	
القطين ثمن الرطل	2قرش	
الزبيب ثمن الرطل	3	
العنب الدبوقي ثمن الرطل	2متليك	
الكتان الألماني	4	
البطيخ		1.50ليرة
البرتقال والليمون	1 قرش	
البيض 4 إلى 5	1 متليك	
الدجاج	4	
لحم الخروف ثمن الرطل	7.5	

المصدر:- س.ش، 409، 9 شعبان ، 1332،/ 3 آب ،1914، 78

الدخل الشخصي في ذلك الوقت قليلاً؛ والسبب ذلك هو أن العملة العثمانية كانت ذو قيمة كبيرة وأن الليرة العثمانية كانت تصرف بمائة قرش أي بأربعمائة متليك فقد كان راتب متصرف القدس عشر ليرات وكاتب التحريرات براتب يبدأ ب 40 قرشا شهرياً، لمتبق العملة العثمانية على حالها فخلال الحرب كان قد تدهورت وتضاءلت قيمتها وارتفعت أسعار الحاجيات نتيجة لذلك مما أدى إلى سوء أحوال السكان وانتشار الفقر والشحاذة إلى غير ذلك من الأمور التي سنناقشها لاحقاً

أما عن أوضاع القدس السياسية قبل الحرب العالمية الأولى والتي أثرت على مستقبل القدس ما بعد الحرب وذروة الأحداث السياسية كان عام 1908م ، هذا التاريخ المهم في تاريخ المدينة المقدسة والذي قامت به جمعية الاتحاد والترقي بخلع السلطان عبد الحميد بالتعاون مع يهود سلونيك، فكانت كل جهة تسعى لتحقيق مآربها، فاليهود كانوا يرون بالاتحاد والترقي الوسيلة التي من خلالها يستطيعون تحقيق الحلم اليهودي ، أما العرب في القدس فكانوا يرون بهذه الجمعية الأمل لإعطائهم حقوقهم ومساواتهم عن عصر الاستبداد الذي عاشوه في زمن السلطان عبد الحميد[1] .

كان السلطان عبد الحميد قد عبر عن امتعاضه الشديد من الاتحاديين الذين ألحوا عليه ببيع فلسطين لليهود، من أجل إقامة" وطن قومي "لليهود في فلسطين، فكتب في مذكراته" : إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا عّلي بأن أصادق على تأسيس" وطن قومي "لليهود في الأرض المقدسة، ورغم إصرارهم فلم أقبل، وأخيراً وعدوا بتقديم (150) مليون ليرة انجليزية ذهباً، فرفضت هذا العرض بصورة قطعية، وقلت لهم إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فضلاً عن (150) ليرة انجليزية ذهباً فلن أقبل بعرضكم هذا .وقد قال السلطان في مذكراته :"وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلع، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى" سلانيك "فقبلت بهذا التكليف الأخير [2]

استقبل نبأ عزل السلطان بارتياح بالغ في الأوساط الصهيونية في فلسطين، وأوروبا، فقد عبرت الصحف اليهودية في سالونيك عن غبطتها في الخلاص من" مضطهد إسرائيل " كما وصفته تلك الصحف، وأخذت تزف البشائر بالخلاص من مضطهد اليهود، الذي رفض الاستجابة لطلب هرتسل أكثر من مرة، واعتبروا يوم الإطاحة بعبد الحميد عيداً لهم[3]

أما عرب القدس فقد نظروا لثورة 1908 وخلع السلطان عبد الحميد أنها الأمل والخروج من عصر الاستبداد في عهد السلطان عبد الحميد (1876-1909م)[4]الذي استغرق الربع الأخير من القرن العشرين وما رافقه من مركزية في الحكم مفرطة تمثلت بسياسة تشديد القبضة التي مارسها السلطان بهمة ونشاط ،ساعده في ذلك شبكة مواصلات حديدية، وبرية، وبرقية أخذت تنظم الدولة العثمانية في أواخر عهده، مما جعل الولاة والمتصرفين وسائر الموظفين طوع إرادة الحكومة المركزية في العاصمة

---

[1]السلطان عبد الحميد ، **مذكراتي** ، 37

[2] الدبش، أحمد ،**موجز تاريخ فلسطين** ،675

[3] **الدفاع**، ع 8650، 12-7-1964، 3

[4] السلطان عبد الحميد الثاني :ولد السلطان عبد الحميد في 21سبتمبر أيلول 1842م،وهو ابن السلطان عبد المجيد من زوجته الثانية، وهو السلطان السابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، بويع بالخلافة بعد أخيه مراديوم الخميس في 31آب أغسطس1876م، تم خلع السلطان عبد الحميد بتاريخ 17نيسان 1909م إثر مؤامرة اشترك فيها الاتحاديون، السلطان عبد الحميد، **مذكراتي**، 11-14

ينفذون أوامرها بسرعة وحزم[1].إضافة إلى قلة البعثات التبشيرية في القدس مقارنة ببيروت، وريفية القدس وعدم انتشار الحياة المدنية في المدينة المقدسة وما حولها ، والنظام الاجتماعي العشائري والمحافظ[2] .

كانت مطالب العرب تتمثل بإدخال الإصلاحات التي تضمن لهم مشاركة فعلية في نظم الحكم والإدارة، لكن الدولة العثمانية وقفت موقفاً متأرجحاً بين السلبية والايجابية في إعطاء العرب مطالبهم وقيام السلطان عبد الحميد بتعطيل الدستور، مما أدى ذلك إلى خلق رأي عام عربي والمطالبة بإصلاحات عامة بالدولة العثمانية بصفة عامة، والولايات العربية بصفة خاصة[3].
لذلك استقبل خبر خلع السلطان عبد الحميد بالبهجة والسرور في الأوساط العربية أيضاً في متصرفية القدس .ظناً منهم أن الأمل الذي ينشدونه في تحقيق مطالبهم قد أتى .
كيف كانت سياسة الاتحاديون خلال الحرب مع العرب واليهود ، ولمن رجحت الكفة ،هل تحقق حلم العرب؟ أم تحقق الحلم اليهودي في فلسطين ؟ أم أن الحرب كان لها حسابات أخرى هذا ما سنناقشه في الفصول اللاحقة.

الفصل الأول

السياسة العثمانية في القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918م

-الإجراءات التي اتبعتها الحكومة العثمانية في القدس عقب إعلانها دخول الحرب

بدأت الحرب في أوروبا في آخر تموز سنة 1914 م بين ألمانيا و النمسا من جانب، ودول الاتفاق الثلاثي روسيا، وفرنسا، وانجلترا من جانب آخر[4]، وكانت الدولة العثمانية قد أعلنت موقفها المحايد في الوقت نفسه الذي بدأت فيه بتعبئة جيوشها وإعلان النفير العام احتياطا بعد نشوب الحرب حالاً في جميع أنحاء البلاد [5]ولما أعلنت تركيا دخولها الحرب إلى جانب ألمانيا رسمياً في 2شرين

[1]عوض، عبد العزيز، **الحركة العربية في متصرفية القدس،** م الشرق الأوسط ،ع1، 116

[2]عوض، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث1831-1914،** 24

[3] **نفسه،** 24-25

[4]؛Higham, robin, and Others: **Researching World War 1,** P. 8

[5] صبري، بهجت، **فلسطين** ، 58

أول1914م، بدأت هذه المخاوف ترصد على أرض الواقع ، وكانت الحكومة العثمانية قد اتخذت عدد من الإجراءات حال دخولها أتون الحرب ،والتي كانت شراً ووبالاً على فلسطين [1].

-إعلان التعبئة العامة

قامت الدولة العثمانية بتوزيع مكاتيب مغلقة مختومة بالشمع الأحمر إلى جميع مختاري المدن والقرى في البلاد بواسطة متصرف القدس، وحذروهم بعدم فتح هذه الظروف المغلقة إلا عندما تقرع الطبول تنبئ بالغرض الذي بموجبه وزعت هذه المكاتيب 1914 م، وهكذا قلقت الأفكار وتخوف الشعب من هذه المكاتيب، وماذا يكون مضمونها يا ترى؟ إن الشيء الذي تخوف منه الأهالي أن هذه المراسيم المغلقة بقيت لمدة أكثر من شهرين محفوظةً لدى مختاري المدن والقرى ولم يستطع أحد من معرفة مغزاها وما نص داخلها، وأخيراً وفي ظهر نهار الجمعة عند الصلاة في المسجد الأقصى قرعت الطبول وصدرت الأوامر بفتح هذه المراسيم المغلقة، كما جاء من أول الأمر في البلاد، وإذ هو صفحة طولها ربما يبلغ السبعين سنتمتراً بعرض 55 سنتمتراً لونها أحمر فاتح، ومرسوم عليها بألوان بارزة العلم الأخضر ومقابله العلم الأحمر، وبين هذه الأعلام رسم مدفعٌ لونه أسود ومكتوب تحته سفربرلك برنجي كوني (النفير العام) تموز سنة 1914م، وهكذا أصبحت البلاد في حالة حرب[2] .

أخذت الدولة العثمانية على إثر ذلك بإعلان التعبئة العامة في البلاد لمن هم تحت سن السلاح، وقد أعلنت بذلك من خلال المناشير، التي وزعت على المراكز الحكومية والعسكرية في جميع أنحاء فلسطين ومنها القدس، وقد استجاب العرب بالقدس لهذا النداء، ويبدو بذلك أنهم تناسوا خلافاتهم مع الترك، ولبوا نداء الوطن ووقفوا إلى جانب دولتهم[3]، إذ أن إعلان التعبئة العامة يعني تجنيد أبناء البلاد وتسخير موارد بلادهم وتحت هذا الشعار أخذت الحكومة الاتحادية بتشكيل لجان من الجيش أو الدرك لتغير على الأحياء السكنية، وعلى القرى والأماكن العامة، مثل المقاهي، والمضافات وتجنيد من عمر أربعةً وعشرين إلى خمسة وثلاثين عاماً، أو أخذ البدل النقدي منهم مقابل الإعفاء من التجنيد[4] وقدر البدل النقدي في هذه الحرب بثلاثٍ وأربعين ليرة عثمانية، وقيل إن الذي يدفع خمسين ليرة يعمل

---

[1] السكاكيني، خليل ، **يوميات السكاكيني**،117/2

[2] تماري، سليم، **القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية، 1904-1917م**،163/1

[3] صبري، بهجت، **فلسطين**،62-63 السكاكيني ،خليل، **يوميات السكاكيني**،150/2

[4] س.ش، 412، 22 ربيع أول، 1334 هـ/ 28كانون ثاني، 1916، 180

في القدس كعسكري وأما الذي يدفع مئة ليرة يعفى من كل خدمة[1]،وعند إعلان التعبئة العامة كان المصاب بعاهة، أو وحيد الأبوين، وأئمة المساجد، وكذلك المعلمون قد تم استثناؤهم من الخدمة العسكرية، وكذلك الأمر لم تفكر الحكومة بتجنيد غير المسلمين (مسيحيين ويهود) بحكم عدم درايتهم بالأنظمة العسكرية لعدم ممارستهم هذه الخدمة من قبل، كما أن الدولة كانت تفضل البدل النقدي الذي تتقاضاه منهم على تجنيدهم[2]، لكن هذه الأمور تغيرت عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب رسمياً.

الجميع دون استثناء توجهوا للخدمة العسكرية الإجبارية معلمون، وغير المسلمين من مسيحيين ويهود وتشير الوثائق التي بين أيدينا ويبيّنه الملحق رقم(1) أن أئمة المساجد الذين تم إعفاؤهم من الخدمة العسكرية، تم طلبهم لأدائها، مما دفع الناس في القرى التابعة للقدس توجيه عرائض احتجاج إلى متصرف القدس يعترضون على أخذ أئمتهم، وأن المساجد بحاجة لمن يؤمهم ويفقههم في الدين خصوصاً في الأوقات الحرجة التي تمر بها القدس، والوضع الصعب الذي وصل إليه الناس [3].

كذلك قامت الحكومة الاتحادية بتشكيل لجانٍ لجمع الذخيرة، فصاروا يطوفون الحوانيت ويأخذون منها ما أرادوا، ويجمعون الحيوانات، والأرزاق، ويقدرون الأثمان، ويعطون لأصحاب السلع سندات بقيمتها حتى كثرت لديهم الأرزاق فأمروا بتأسيس مداخر لها في كل محل، والمدخر العام في بئر السبع [4].

هذه الأعمال التي قامت بها الدولة العثمانية تدل على ضعف وتخبط في السياسة العثمانية، ولا يمكنها إضافة أي شيء نوعي في الحرب ، لم تستند على أي قوة يمكنها أن تدخل أتون الحرب قوية والصمود أمام عثرات الحرب وهذا ما نلاحظه لاحقاً

كان لدخول الدولة العثمانية الحرب أن قامت بإلغاء الامتيازات الأجنبية[5]:-وهي عبارة عن حقوق منحتها السلطات العثمانية لرعايا الدول الأجنبية النازلين في أرجائها، أو السائحين فيها، أو المارين بها

---

[1] أبو بكر، أمين، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس 1858-1918م**، 534؛ السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**،150/2

[2]**المقطم**، 7786، 11أكتوبر، 1914م

[3]وثائق مركز إحياء التراث في أبوديس، ملف رقم 1331/3.12/12.

[4]طوطح، خليل، البرغوثي، صالح، **تاريخ فلسطين**، 248

[5]وهي امتيازات وقعها السلطان العثماني سليمان القانوني عام 1536م،مع ملك فرنسا فرانسوا الأول، وعرفت بمعاهدات الامتيازات الأجنبية، وبموجبها منحت الدولة العثمانية فرنسا التسهيلات التجارية، وشجعت رعايا فرنسا والدول الأوروبية على الإقامة في الدولة العثمانية واستثمار أموالهم وخبراتهم، فريد بك، محمد، **تاريخ الدولة العثمانية العلية**، 76

مروراً[1]. وكذلك قيامها بإلغاء مكاتب البريد الأجنبية بعد إعطائها مهلة تتمكن من خلالها من إنهاء خدماتها، وذلك لإحكام سيطرتها على المنطقة العربية، وتدعيم سلطتها ونفوذها، حيث قامت بعزل القدس عن العالم الخارجي وجعل اتصالها بدمشق فقط في 1914م، لذلك أصدرت الحكومة أمراً أغلقت بموجبه البوسطات الأجنبية (البريد)كافة، ولم يبق إلا دوائر البريد العثمانية، وقد أعلنت إدارة البريد أنها لا تقبل الرسائل إلا إذا كانت مفتوحة، وكانت مكتوبة باللغة العربية، أو التركية، أو الألمانية، وحتى تتلافى الحكومة أزمة المراجعين أضافت لموظفي البريد العثماني عدداً من الموظفين المقدسيين كان من بينهم، موسى فيضي العلمي، وشريف النشاشيبي، وطاهر الحسيني وأحمد محمود الحسيني، ويوسف القاطرجي وعيسى حنا خميس وغيرهم، وقد عرف عن دائرة البريد الأجنبية بحسن إدارتها وضبط أعمالها، وكانت موضع ثقة للناس، وواسطة لدخول الكتب والجرائد الممنوعة إلى هذه البلاد قبل عهد الدستور، في يوم كانت الحكومة العثمانية تخاف فيه من الأفكار الحرة وترتجف لكل وميض[2].

لم يتوقف الأمر على إلغاء الكتابة باللغة الأجنبية، بل تعداها أيضاً إلى منع استخدام اللغة العربية فيما بعد، ففي مطلع شهر كانون الثاني 1915م ألغت الحكومة لجنة مراقبة البريد في القدس وأعلنت أن المكاتبة يجب أن تكون بعد اليوم باللغة التركية، وإذا كانت بلغة أخرى حتى ولو باللغة العربية أرسلت إلى دمشق لمراقبتها، ثم ترسل إلى محل إرسالها ولو كانت بين القدس ويافا، ومن هناك ترسل إلى يافا[3].

- إعلان الجهاد المقدس

صدرت الفتوى بإعلان الجهاد المقدس على الطوائف التي تعيش في ظل الحكومة العثمانية كافة وكانت تقوم بإثارة مشاعر أبناء البلاد ليقفوا إلى جانب دولتهم عن طريق الاجتماعات وإلقاء الخطب[4] فقد شهدت القدس اجتماعاً عاماً في18 تشرين الثاني 1914م حضره أبناء المدينة على مختلف مذاهبهم، قام فيهم الشيخ عبد القادر المظفر خطيباً بيّن فضائل الدولة وضرورة مساندتها، ثم تابع الموكب مسيرته حتى وصل القنصلية الألمانية، ورد القنصل شاكراً العلاقات الودية بين تركيا وألمانيا

---

[1] **البيان**، نيويورك، ع538، 9 آب 1917،1؛ مناع، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 260

[2] السكاكيني، خليل ، **يوميات السكاكيني** ، 118/2

[3] حزماوي، محمد، **الأوضاع العامة في مدينة القدس خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1914-1920م من خلال يوميات خليل السكاكيني** ،م شئون فلسطينية،ع160، 28

[4] أبو بكر، أمين، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس 1858-1918**، 533

وتمنى لهم النصر في هذه الحرب، عبد القادر المظفر وأخذ يحث الناس على التطوع بالجهاد والأغنياء منهم على التبرع بالمساعدات المالية[1].

إن إعلان الجهاد المقدس من قبل تركيا غير واقعي؛ ذلك لأن الأتراك أنفسهم كانوا حلفاء دولة مسيحية هي ألمانيا، بالإضافة إلى ذلك كان ضباط ألمان ونمساويون مسيحيون يعملون في صفوف الجيش التركي ،لهذا كان العرب وحتى في القدس قد استفزهم موضوع الجهاد المقدس والذي يعد من أفضل الوسائل وأنجحها لتجنيد المسلمين وحشدهم للقتال، واستخدام الدين وسيلة لتحقيق الأهداف، إضافة إلى أن الدعوة للجهاد الديني يقصد به الدفاع عن العنصر التركي وتأييد سلطته لا الدفاع عن الدين الإسلامي _وهذا ما سنلاحظه فيما بعد_ فالسكاكيني وجه أصابع الاتهام في ذلك إلى ألمانيا التي اتسخت يداها فمسحتهما بغيرها[2]، ومما يلاحظ من قول السكاكيني– وهو من الشريحة المثقفة والمتعلمة في القدس وهو بالتالي يعكس آراء المثقفين في القدس– خطر دخول الدولة العثمانية في الحرب والويلات التي ستصيب البلاد جراء ذلك ،والإجراءات التي سيتم اتخاذها في ظل الوضع الصعب بالنظر إلى واقع الضعف العسكري، والاقتصادي الذي تعيشه البلاد.

- استقبال الراية النبوية في بيت المقدس

بعد دخول تركيا الحرب العالمية الأولى أعلن السلطان محمد رشاد الخامس[3]–بوصفه خليفة المسلمين– (الجهاد الأكبر) ضد إنجلترا وحلفائها، وأخذت الحكومة العثمانية تعمل على نشر دعوة الجهاد بين المسلمين في مختلف الأقطار، ونتيجة لإعلان الجهاد جرى احتفال مهيب عند قبر الرسول "صلى الله عليه وسلم" في المدينة شاهده آلاف من الناس، أخرجت أثناءه– كما يعتقد– أنها راية النبي "صلى الله

---

[1] **المقطم**، ع 7799–17 نوفمبر 1914م، مناع عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 261

[2] السكاكيني، خليل ، **يوميات السكاكيني**،2/ 118

[3] محمد رشاد هو السلطان العثماني الخامس والثلاثون من السلاطين العثمانيين، ولد ونشأ في اسطنبول، تولى الحكم بعد خلع أخيه السلطان عبد الحميد الثاني عام 1909 م، وكان عمره حينئذ ستة وخمسين عاماً .وصل محمد رشاد إلى الحكم في ظروف صعبة للغاية ليعتلي عرش دولة تسلط عليها أعداؤها في الداخل والخارج، لذا فلم يستطع أن يواجه تلك التحديات والأخطار لجسامتها، وجرت الأحداث لغير مصلحته ولا مصلحة دولته؛ إذ تسلم" حزب الاتحاد والترقي " شؤون البلاد بدعم من الجيش ،فنهج في سياسته منهجاً قومياً، عمل عبره على فرض سياسة تتريك شعوب الدولة العثمانية بأسلوب عنيف ،مما أدى إلى تغذية الحركات القومية ،وقيام الاضطرابات العرقية والسياسية. لكن السلطان محمد رشاد لم يشهد سقوط دولته؛ فقد مات قبل شهور من ذلك، وخلفه على العرش أخوه السلطان محمد وحيد الدين الذي أصبحت الدولة العثمانية في عهده قاصرة على تركيا الحالية **هيئة الموسوعة السورية** الموسوعة السورية، 0450/18

عليه وسلم"[1] بما يليق بها من التبجيل تمهيداً لنقلها إلى دمشق حتى تبارك الجيش، وصلت الراية وموكبها بالقطار إلى دمشق 1914م، وقد استقبلتها المدينة بكل ما تستطيعه من مظاهر الحفاوة والتعظيم، وكان في مقدمة المستقبلين كل من جمال باشا، وهيئة أركان حربه وغيره من علماء وزعماء وأعيان، ثم نقلت الراية من دمشق إلى بيت المقدس أقدس مدينة عند المسلمين بعد مكة والمدينة، ثم وصلت إلى بيت المقدس 20 كانون أول، فأقيم لاستقبالها حفل كبير في الساحة الواسعة المحيطة بقبة الصخرة برئاسة جمال باشا وختم الاحتفال بإقامة الصلاة في المسجد الأقصى[2].

ونتيجة لهذه الإجراءات التي أنجزتها الدولة العثمانية في بلاد الشام تم إعداد جيش كبير قسم إلى قسمين: القسم الجنوبي ويشرف على ولايتي سورية وبيروت ومتصرفية القدس ومقره دمشق للزحف نحو الأقسام الجنوبية، أما القسم الثاني من الجيش وهو القسم الشمالي فيشرف على ولاية حلب، وينقل براً مع مهماته إلى ضواحي الأستانة ليكون إلى جانب الجيش المرابط للدفاع عن العاصمة[3].

وتلا ذلك عملية توزيع الجيوش في مراكزها ومواقعها، حيث وصل إلى القدس يوم الجمعة18 كانون أول 1914، جيش من الشام ليأخذ مواقعه في البلاد، فقامت القدس بالاستعداد لاستقبال الجيش وألفت لجنة للاهتمام باستقباله، ورفعت الأعلام على أبواب المخازن، وشرفات المنازل وأقيمت أقواس النصر، فخرجت المدينة بأسرها، وانتشرت على الطرق، ووصلت إلى باب الخليل مما جعل الناس يهتفون ويصفقون بالأيدي ويلوحون بالأعلام، وتلامذة المدارس ينشدون الأناشيد وقد حضر جمال باشا الاحتفال، وكان متصرف القدس ماجد بك جالساً بجانبه، أما بقية الجيش فتتوافد تباعاً[4].

يعبر السكاكيني[5] عن أجواء التحضيرات للحرب في القدس بقوله: "إن هذه الأيام في تاريخ القدس لأيام مشهودة، أينما تلتفت لا تجد إلا ضباطاً، وجنداً، وخيالة، وجمالاً تحمل المؤونة، وقطع المدافع والرصاص، وعربات تنقل معدات القتال، وأوتومبيلات (سيارة)، والجدير بالذكر أن أول سيارة وصلت القدس كان عام 1912م وفيها أجانب وعندما انتشر خبر وصول السيارة للمدينة خرج أهالي القدس

---

[1] الراية النبوية : عرف براية النبي محمد" صلى الله عليه وسلم"، وهي إحدى الوسائل التي اتبعتها الدولة العثمانية لإثارة العواطف الدينية في نفوس المسلمين، عبر القيام بمواكب واحتفالات تتاح فيها رؤية راية تنسب ملكيتها للنبي" صلى الله عليه وسلم"، في المدينة المنورة، ودمشق، وبيت المقدس ، وعمدت الدولة إلى نقل الراية أثناء الحرب الأولى مع الجيش العثماني ليتبرك بها. **يوميات السكاكيني**، 2/ 140، ولمعرفة تفاصيل حول قدوم الراية النبوية، ينظر نفسه 140

[2] الدباغ ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**،156/10-157

[3] صبري، بهجت، **فلسطين**، 66

[4] جوهرية، واصف، **القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية**،170/1

[5] السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 2/ 139

وقالوا إن عربية بدون خيل شاهدوها تسير على الطريق[1] وهذا ما يدلل على بساطة وعفوية الأهالي، وبأن القدس خلال الحرب بدأت تشهد مظاهر حضارية ومن المظاهر الحضارية التي شهدتها القدس عام1914م، – بعد أن غدت المدينة ثكنة عسكرية ضخمة–، قيام أول نواة لمطار عسكري في القدس ويقع في البقعة الفوقا إلى الغرب من جبل المكبر وقد أعد مهبطه عام 1914م، شهدت القدس هبوط أول طائرة في تاريخها الحديث وعلى متنها ضابطان الأول عثماني والآخر ألماني، وجاء ذلك في إطار الاستعدادات الحثيثة للحرب العالمية الأولى، حيث غدت المدينة مسرحاً للعمليات العسكرية الجوية بين الطيران العثماني والألماني من جهة، والبريطاني المهاجم من جهة أخرى.

يصف "الموسيقي واصف جوهرية" في مذكراته[2] خبر وصول الطائرة إلى أهالي القدس أن الحكومة والجيش والشعب كافة قد تجمهروا في المكان بانتظار وصول أول طائرة إلى القدس، وكان موسم تموز موسم حر فانتشر الباعة المتجولون، ومعهم من كل أنواع الشراب والأكل، حتى أن الناس اضطرت إلى شراء شربة ماء صاف نظراً لعدمه في ذلك اليوم من السقايين، ولكن الطائرة لم تأت حيث الطائرة الأولى التي أعلن عن قدومها إلى القدس كانت قد تحطمت في طبريا وقتل الطياران العسكريان العثمانيين وأصبحت البلاد في حالة حزن وأسى، وقد ألفت ولحنت أغنية خاصة لمقتلهما، وأنشدت هذه الأنشودة في طول البلاد وعرضها، وبعد مدة من تحطم الطائرة وصل إلى القدس طائرة أخرى فشوهدت لأول مرة من قبل أهالي القدس [3].

حالات الفرح والبهجة واستقبال الأهالي للقوات العثمانية لم تكن تشمل جميع أهالي القدس بمختلف شرائحهم ، فالسكاكيني عكس رأيه الذي يمثل الشريحة المتعلمة في القدس بأنه استاء من دخول تركيا الحرب وحالات التخبط التي تعيشها الحكومة العثمانية على حساب الأهالي، أما الناس العاديين وبقية الأهالي فقد صمت بعضهم وأخفى خوفه ، فإما أن تكون مع الحرب، أو يصيبك جمال باشا بسوطه

– تقسيم الجنود إلى طوابير

أ– طابور العسكر

قامت الدولة العثمانية باستكمال الإجراءات التي اتخذتها عند إعلان التعبئة العامة وإعلانها الخدمة العسكرية الإجبارية بغض النظر عن الأديان أو الفئات الاجتماعية، ففي القدس كان منادياً يخرج

---

[1] جوهرية، واصف، **القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية**،169/1

[2] **نفسه** ،169-168/1

[3] جبارة، تيسير، وآخرون، **تاريخ القدس**، 241

ويدعو الناس من سن الرابعة والعشرين إلى الأربعين من مسلمين، ومسيحيين، وإسرائيليين متعلمين وغير متعلمين مراجعة دائرة أخذ العسكر في المدينة لإثبات وجودهم وكانت تقسمهم إلى طوابير[1]،فكانت القدس ملأى بالجند والضباط، وكل يوم يخرجون تتقدمهم الموسيقى إلى ضواحي المدينة للتمرن، وقد وصف السكاكيني الجنود العثمانية بداية الحرب فقال: "لقد أصبحوا أشداء أقوياء مكتنزي العضل مدمجي الأعضاء، مفتولي السواعد، سمر الألوان، تلوح على وجوههم علامة الشجاعة والإباء، ومن قابل الجندية اليوم بما كانت عليه قبل عشرين سنة بل عشر سنوات بل سنة رأى ارتقاءً كبيراً، فقد كانت الجندية قبل اليوم عبارة عن خدمة سنة، أو سنتين، أو ثلاث سنوات أو أكثر، يعرفها الجندي في ظل القلاع يقضي وقته بالثوباء، وكان الضباط لاهمّ لهم إلا الإنعكاف على السكر والانغماس في الملذات".

ب- طابور العملة " الشغيلة

أعلنت الحكومة العثمانية نظام السخرة الذي ينص على تجنيد المواطنين بالقوة والإكراه؛ للعمل المجاني في المشاريع العامة الحيوية للدولة، ويقول برغوثي وطوطح[2]-وهما شاهدان على العصر-"عجزت الحكومة أن توصل الأرزاق والمعدات الحربية إلى الجند على ظهور الجمال في وقت الحاجة، فأمرت بإنشاء الطرق وجمعت ضعفاء الجنود والعجزة الذين لم يتمرنوا ولم يتدربوا على حمل السلاح، وأطلقت سجناء القدس وشكلت منهم طوابير خدمة، وجهزتهم بما يلزم من الأدوات والآلات، وأمّرت عليهم الضباط المتقاعدين وجعلت بعضهم لتعبيد طرق العربات، وبعضهم لمد السكك الحديدية، وأوصلوا طرق العربات بكل مركز عسكري، أو نقطة حربية، وداومت عملها حتى سئم الجنود وفروا فأجبرت الحكومة أهل القرى على تقديم عمال إليها".

ج- طابور الحمالين

لقد تمادت الدولة العثمانية في إذلال الأهالي واحتقارهم عندما أنشأت طابور الحمالين، ويطلق عليهم طابور النقليات أيضاً الذي تولى نقل أمتعة الجند ولوازمهم من قوت وغيره من ثكنة عسكرية إلى أخرى، أومن القدس إلى الخليل، أو من الخليل إلى بئر السبع، وكان أفراد هذا الطابور، يستخدمون الدواب أو العربات لنقل تلك اللوازم، وقد شغلوهم في نقل الحطب والصناديق الفارغة، وتنكات الكاز وأكياس الخيش من ثكنة إلى ثكنة، فكان بعض أنفار هذا الطابور يستأجرون من يحمل لهم من

---

[1] السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني** 200/2

[2] طوطح، خليل، البرغوثي، عمر، **تاريخ فلسطين**،274؛ الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 474

أحمالهم، وقد استصعب كثيرون هذه الخدمة لأنهم اشتموا رائحة التحقير، وفضلوا عليها حمل السلاح والذهاب إلى ميادين القتال[1] .

د- طوابير (الخدمة) الزبالة في البلدة القديمة

أنشأت الحكومة العثمانية فرقة أخرى أكثر إهانةً وتحقيراً للأهالي، دعتها بفرقة الزبالين التي تولت الاهتمام بنظافة البلد، وكانت هذه الفرقة مكونة من المسيحيين، واليهود، وقليلٌ من المسلمين لا يبلغ عددهم 10أو 20 على أكثر تقدير[2]،مما جعل الناس تقول ألف سلام على طابور الحمالين وطابور العملة، وصار الذين أخذوا لهذين الطابورين يشكرون الله أنهم لم يدعوا لفرقة الزبالين، حيث أقدمت الحكومة على أخذ عدد كبير من المسيحيين كزبالين إلى بيت لحم وبيت جالا،وكانت الحكومة تسلم كل نفر من أنفار هذه الفرقة مكنسة وقفة، ومجرفة، ويتوزعون على أزقة المدن وطرقها، وعن الأيام الحالكة التي عاشها هذا الطابور يذكر السكاكيني بيومياته "بأن أحد أنفار هذه الفرقة ممن كان حظه بالعمل في بيت لحم وبيت جالا أخذ وهو يتجول في الطرق الرئيسة يصيح على الأهالي في بيوتهم بالقول: "مين عنده زبالة" وهو ما أدى إلى استياء الأهالي من الاستهتار بالمواطنين إلى هذه الدرجة حتى وصل الأمر إلى أن النساء كن ينظرن من نوافذ بيوتهن يبكين على هؤلاء الرجال[3] وهنا يتساءل العسكري "إحسان الترجمان" في مذكراته" ألم يكن أحسن لو ضموا إلى عدد منظفي البلدة بضعة أشخاص عوضاً عن هؤلاء؟ فيكونوا قد وفروا عليهم أشياء كثيرة، لأن عدد الزبالين يزيد عن مائتين فعشرون من أصحاب هذه الصنعة يقومون مقامهم"[4].

ويذكر أن الدولة العثمانية قد جندت عدداً كبيراً من المسيحيين واليهود في طابور العملة أيضاً وأجبروا على القيام بأعمال شاقة، ومات عدد كبير من مجندي الطوابير خلال هذه الحرب [5]

تغيرت سياسة التسامح الديني مع الأقليات الدينية في فلسطين في عهد الاتحاد والترقي ولا سيما خلال فترة الحرب العالمية الأولى، فلم يعامل اليهودي والمسيحي، ولا حتى العربي المسلم المعاملة التي يستحقها فالدولة العثمانية مارست أبشع الوسائل في كل من انضوى تحت الراية العثمانية وكذلك قامت بزرع بذور التفرقة، وكان لألمانيا أيضاً دورٌ كبير في القدس في إيقاد نار الحقد والكراهية بين

---

[1] تماري ، سليم، **عام الجراد والحرب العظمى** ؛126السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني** ،146

[2] تماري، سليم، **عام الجراد والحرب العظمى**، 126

[3] السكاكيني، خليل ، **يوميات السكاكيني** ، 253/2

[4] تماري، سليم، **عام الجراد والحرب العظمى**، 91

[5] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 212

الطوائف – سيرد ذكره عند التطرق للأوضاع الاجتماعية لأهالي القدس فترة الحرب ،وما خلقته هذه الحرب من طائفية–.

كانت حياة الذل والهوان التي عاشها الجندي في المعسكرات وما عاناه من الضباط في ميادين القتال سبباً للتهرب من الخدمة العسكرية، فيذكر السكاكيني[1]أثناء طلب الدولة العثمانية المعلمين للدخول في الخدمة العسكرية، وطلبه الالتحاق بسلك الجندية النظامية، فسأل أحد الجنود عن أوضاعهم، فقال له "كان أشد الضباط خشونة وقسوة على الجند هم الضباط العرب المقدسيون أولاً، ثم الدمشقيون، ثم الأتراك، وأن الجندي من القدس يفضل أن يكون ضابطه دمشقياً لا مقدسياً، ويفضل عليهما الضابط الألماني، لذلك كان الجندي لا يخدم ضابطه ولكن يخافه، لأن الضابط لا يخاطب الجندي إلا بأقبح الألفاظ، ولأقل الأسباب يضربه، بيديه، أو بعصا، أو بسوط[2] "هذا القول حدا بالسكاكيني أن يرثي حال الجندي العثماني وإذا أراد أن يتخلص من ورطته إما أن يذهب لطابور الحمالين، أو أن يدفع البدل النقدي، وكذلك الأمر عندما طلب الناس لتثبيت أسمائهم في دائرة أخذ العسكر في مدينة القدس قال السكاكيني: "كنت أتأمل الناس فلم أقرأ على وجوههم إلا علائم الخوف، والقلق والاهتمام، وعرفت منهم من لا يستنكف من استخدام أي واسطة كانت ليخلص من الخدمة العسكرية، يلفقون الأعذار ويقبلون الأذيال ويلثمون مواطئ الأقدام ويتوسطون زيداً وبكراً لا يملون ولا يخجلون والأعجب أنهم قد ينجحون"[3].

يعبر العسكري "إحسان الترجمان" وهو أحد الجنود الأتراك المقدسيين الذي كتب مذكراته خلال الحرب عن حياة الذل والهوان التي كان يعيشها الجندي العثماني، والذي عدّ الجندية وخاصة العثمانية مدرسة تعلم الجنود الذل والهوان "كلما أتذكر أنني جندي أحتقر نفسي لوجودي في هذا السلك، ما أضيق وما أصعب معيشة الجندي، يخاف ويحسب حساب الكل حتى من كان أدنى مرتبة في الجندية[4].

أصبح الجندي العثماني يريد أن يتهرب من الخدمة العسكرية، فكانت العائلات تبيع أغلى ما تملك مصاغها، وأثاثها، وحيواناتها، وأرضها لتدبير مبلغ البدل لإنقاذ عزيزها من موت محقق، ومن ذهاب دون إياب، فالذي يدبر البدل ينج ومن بعجز يهلك، وكان المجندون يتهربون من الخدمة العسكرية، أو

---

[1] **يوميات السكاكيني، 2**/151

[2]**نفسه،2**/ 152

[3] **يوميات السكاكيني 2**/ 152

[4] تماري، سليم، **عام الجراد والحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين مع أيام مثيرة في حياة العسكري إحسان القصيرة يوميات جندي عثماني 1915–1916**، 158

إلحاق العاهات المستديمة بالجسم، فكان المطلوب لخدمة العلم يلحق العاهة أو العجز الدائم بجسمه لينجو من الجندية[1].

ونتيجة التهرب من الخدمة العسكرية خلال سنوات الحرب قامت الدولة العثمانية بتجنيد متطوعين غصباً للخدمة في طابور العسكر في 10 حزيران 1915م، وقد عين لهذه المهمة "حسن بيك "قومندان يافا، وقد جمعتهم الحكومة بالسيف، وبالغصب حتى بلغ عددهم فوق الألف، وجمعت تحت سن العسكرية وفوق السن الذين لم يبلغ عمرهم 19-46 فصاعداً، وقدموا القدس وكانوا من جنود البادية وراكبي الجمال والسواري (الكتائب العثمانية التقليدية) والكثير من جنود البادية، وكلهم من أهل القرى والبدو كانوا مرتدين أغلبهم ثياباً بيضاء، وكان كل واحد منهم حاملاً بندقية، وكانت الحكومة قد أجبرت كل واحد منهم أن يأتي ببارودته، وكان هؤلاء الجنود من الطراز القديم، إذ كان هؤلاء الجنود المتطوعون تضربهم الجنود النظامية، وذلك لأنهم يمشون بغير نظام وانتظام ويتساءل العسكري "إحسان الترجمان" في يومياته مستهزئاً "أيضرب المتطوع ويهان؟ إن هذا لم يحدث ولا في أي حكومة كانت"، ويصف هؤلاء الجنود بقوله:" حالتهم لا تدل على أنهم جنود أبطال فأكثرهم- إن لم يكن كلهم- يجرون أنفسهم جراً؛ لأنهم ذاهبون بالرغم عنهم، وهؤلاء يستخدمون على السواحل، وفي النقاط المهمة للحراسة[2]".

كان إخلاء الميدان من القتلى والجرحى من واجباتهم، فتعودوا على رؤية الدماء والأشلاء، وأصابهم ما يصيب كثيرين ممن يشاركون في الحروب، وخاصة المدنيين منهم، تبلدت أحاسيسهم تجاه الموت، ولم بعد مشهد الدماء يخيفهم، أو قتل الآخرين يرعبهم، ولم يعد لقوانين المجتمع المدني الذي جاءوا منه التأثير الذي كان لها في نفوسهم، قبل أن يعيشوا في مجتمع الحرب حيث كان قتل الآخرين هدف في حد ذاته[3].

لم يكن فساد الضباط العثمانيين أقل حظاً من فساد السلطة الحاكمة ، فقد كان جمال باشا ينشر الأخبار الرسمية أنهم لم يأتوا إلا ليخّلصوا الإسلام، وليس لهم مأرب إلا سوى خلاص هذا الدين وإحيائه ورفعته، وكل يوم ينشرون البلاغات الرسمية ويذكرون بأن كل من اعتاد من الضباط على السكر، أو القعود في القهاوي، وحانات شرب البيرة، سيجازون أشد الجزاء ويطردونهم من الجندية وأنه يجب على الجنود إطاعة الله، ورسوله، والصلاة، وما هنالك من الخزعبلات الواهية التي أصبحت

---

[1] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 478

[2] تماري ، سليم، **عام الجراد والحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين مع أيام مثيرة في حياة العسكري إحسان القصيرة يوميات جندي عثماني 1915-1916**، 231-232

[3] عيسى، صلاح، **رجال ريا وسكينة**، 11-112

مألوفة، وهم مع ذلك يحضون على الصلاة، كما أنهم يذهبون في كل يوم جمعة إلى صلاة الجمعة، بينما يأتون بما نهى الله عنه، وهو الانغماس بالسكر والزنى، ويوهمون الناس أنهم مسلمون حقيقيون[1].

ونتيجة لعمل الجنود في الجبهات وابتعادهم عن نسائهم، فقد أقيمت دوراً مخصصة للبغاء لخدمة المجندين وانتشرت ظاهرة العشيقات في أوساط الضباط وأعيان المدينة، لكن في العام الثاني للحرب انتشرت ظاهرة البغاء لخدمة جميع مراتب العسكر، وخصوصاً أولئك الأنفار الذين اضطروا إلى الابتعاد عن عائلاتهم وزوجاتهم بسبب الخدمة العسكرية[2]، وبمناسبة ذكرى اعتلاء السلطان محمد رشاد الخامس العرش في 27نيسان 1915م، أمر جمال باشا بإحياء هذه المناسبة في حفلة ضخمة أقامها في المنزل العسكري وأصدر أمراً أيضاً بإضاءة جميع المحلات الرسمية، وقد كانت الهمة مبذولة في تزيين وتنظيف حديقة مبنى النوتردام، وهو الدير التابع للكنيسة الكاثوليكية، وامتدت الأسلاك الكهربائية في جميع أنحاء البستان وأضيئت البلدة وخصوصاً المحلات الرسمية بالقناديل وقد زينت أحسن زينة، وأحضر الطعام و الشراب والخمر، والموسيقيون، للاحتفال بهذه المناسبة.[3]

وقد أتى للاحتفال أمراء وضباط الجيش، والنمساويون الحلفاء، وروشن بك –مفتش المقر الإداري العسكري في القدس–، وحضر أيضاً عدد من وجهاء القدس، وأعيانها، ونسائها، وتم استدعاء خمسين من مومسات القدس العاملات في دور البغاء المقامة للترفيه عن الضباط، بينما دعي إلى الحفلة أيضا زوجات الوجهاء المحليين، ويعبر إحسان عن استهجانه هذا الخلط الفاضح بين السيدات المحصنات وبغايا القدس، وترافقت مع موت الآلاف من الشباب على جبهات القتال خلال الحرب[4]

أليس كان الأجدر على الحكومة إنفاق أموالهم على الفقراء الذين يتجولون في الأسواق، ويشحذون ويطرقون أبواب الناس، ولا من أحد يجيبهم، خصوصاً وقد أصبح الغني والفقير متساويين في هذه الأيام وما ذلك إلا بجهلهم. سلطة مغموسة بالسكر، والملذات، والاهتمام بأمورها على حساب الشعب، فأمة هذه حالها تبدل أيام سرورها بالمقت وأيام المقت بالسرور فماذا تكن حالتها يا ترى؟

إن أهمية حديثنا عن المومسات هو الإشارة إلى نقطة مهمة جداً، وهي استخدام مومسات القدس كجاسوسات يعملن لصالح الحلفاء وبخاصة بريطانيا، وذلك عن طريق الاحتفالات التي كانت تقام في القدس، والتي كان يرعاها كبار الشخصيات المقدسية، فكان كان كل ضابط، أو أمير، أو باشا يأخذ

---

[1] تماري، سليم، **عام الجراد**،144

[2] **نفسه**،55

[3] تماري، سليم، **عام الجراد** ، 50

[4] **نفسه**، 55

معه سيدة، أو سيدتين، أو أكثر، وهو يتمخنتر في البستان ويتجاذبون أطراف الحديث كم من سر يصدر منهم لهؤلاء السيدات مما يضر بمصلحة الدولة، وهم عن ذلك ساهون وما ذلك إلا من شدة سكرهم [1].

كان انحطاط الأخلاق والفساد منتشراً بين الجنود على الجبهات أيضاً، فظهرت الممارسات المثلية بين الجنود، والتي رفضها العسكري "إحسان الترجمان"، وكانت الشكوى التي وجهها من تصرفات الجنود أن أودت بحياته[2]، ويشير طوطح إلى سكان المدن ومن جاوروا المعسكرات الجنود كانوا أكثر فساداً من سكان القرى البعيدة، وازداد الوضع سوءا مع قدوم جنود الألمان والنمساويين الذين كانوا أحط منا، وأجرأ على ارتكاب الموبقات، فحوقلنا ومقتنا أعمالهم وأخلاقهم المنحطة، وسلوكهم الحيواني، وتوهمنا أن المرض التركي تفشى في مفاصلهم، وتسرب إلى أدائهم، فلما تقدمت الجيوش الإنجليزية وجدناها أدنى وأحط فلا عيب تتوقاه ولا حراماً تأباه فعلمنا أن الحرب مفسدة الأخلاق وأي حرب أعظم من هذه[3]

- الاستيلاء على المؤسسات

استولى "جمال باشا" على المباني الروسية، والفرنسية، والبريطانية في القدس لإيواء الجنود وخزن الذخائر الحربية[4]،ووضعت الحكومة يدها على ممتلكات الرعايا الأجانب من دول الحلفاء كالمدارس والشركات والبنوك، والمتاجر، والمؤسسات، واتخذت بعضها مراكز للجيش العثماني[5]، أو لدوائر البوليس كما فعلت مع دار كتسلير الروس[6]، واستعملتها لما يلزمها، فأخذت نوتردام، والمسكوبية والدومنيكان، ومدارس الفرير التي نقل إليها المكتب السلطاني، إضافة إلى مدرسة المطران المعروفة بـ St.Georges واستولت أيضاً على المستشفيات التابعة لتلك الدول، بل دمر الأتراك خلال انسحابهم من المدينة مستشفى العيون الإنجليزي وقد أعيد بناؤه بعد الاحتلال العسكري البريطاني للمدينة وافتتحه الجنرال أدموند اللنبي 26 شباط 1919م[7].

---

[1] تماري، سليم **القدس العثمانية**، 220؛ عدوان، ممدوح، **أعدائي**، 23

[2] تماري، سليم، **عام الجراد**، 219

[3]البرغوثي، وطوطح، **تاريخ فلسطين**، 253-254

[4] الطيباوي، **القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام**، 78

[5] صبري، بهجت ،**فلسطين**، 65

[6] السكاكيني، خليل ، **يوميات السكاكيني** ، 137/2

[7] **نفسه**، 86/2

كذلك استولت الحكومة على "بنك كريدي ليونيه"، "والبنك الإنجليزي" وغيرهما من المصارف الأخرى التي تخص الرعايا الروس، والإنجليز، والفرنسيين، وأخلى الرهبان والراهبات الكاثوليك كل أديرتهم خارج المدينة كما استولت على السكة الحديدية بين القدس ويافا[1]، وأنشأوا محطات للبريد والبرق _حيث كثرت في هذه الحرب أسلاك البرق، والتلفون، والتلغراف اللاسلكي _ولا يقرأ الناس اليوم غير التلغرافات، لأن أكثر الجرائد المحلية عطلت، والجرائد المصرية منعت من قبل الحكومة بسبب الحرب فلم يبق في المدينة مصادر يستقى الناس الأخبار منها سوى التلغرافات[2].

-الرقابة على الصحافة

ظهرت البراعم الأولى للصحافة العربية في البلاد بالعهد العثماني في القدس، ففي هذه المدينة صدرت قبل نشوء الصحافة العربية وقبل إعلان الدستور التركي تموز 1908م بعدة سنوات الجريدة الرسمية لمتصرفية القدس، وهي "جريدة القدس الشريف "[3] التي صدرت عام 1876م وتعد أول جريدة تصدر في فلسطين وقد كانت تصدر باللغتين العربية والتركية، وكان يرأس تحرير القسم العربي الشيخ "علي الريماوي" يساعده "راغب الحسيني"، بينما يحرر القسم التركي عبد السلام كمال، وهي جريدة رسمية تصدر مرة في الشهر بمدينة القدس، وتطبع في المطبعة المأمونية[4]، وصدرت في العام نفسه جريدة "الغزال" وهي جريدة رسمية طبعت وصدرت في نفس مكان جريدة " القدس الشريف "، وكان يرأس تحريرها الشيخ "علي الريماوي" أيضاً[5] .

ومن الصحف التي صدرت في القدس، النفير العثماني 1908م، وبشير فلسطين 1908م، الإنصاف 1908 م، والنجاح 1908م، والمنادى 1902م، والدستور1910م، بالإضافة إلى عدد من المجلات الأدبية مثل الأصمعي 1908م،والمنهل 1912م،والنفائس العصرية1908م وقد جمعت هذه الصحف

---

[1]**نفسه**، 116/2

[2]**نفسه**،97

[3]يهوشع، يعقوب، **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني**، 31، المدني، زياد، **مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني**، 267

[4] المحافظة، علي، **الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن**، **74**

[5]خوري، يوسف، **الصحف العربية في فلسطين**، 5

بين الموضوعات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والأدبية، ولم تكن الجرائد في تلك الأيام تباع في الشوارع بل كانت توضع في بعض الدكاكين لهذا الغرض[1]

ومع دخول تركيا الحرب العالمية الأولى توقفت الصحافة العربية في البلاد العربية عن بالصدور أما الصحيفة الوحيدة التي كانت تظهر بصورة متقطعة وغير منتظمة خلال الحرب فكانت (القدس الشريف) والتي تباع بكثرة لأنها كانت تنشر التعليمات والأوامر الحكومية، وكانت تطبع في إحدى مطابع القدس[2] وهي المطبعة الحكومية في السراي القديمة(دار الحكومة)،وهي اليوم بناية دار الأيتام الإسلامية الصناعية[3].

قام جمال باشا بإصدار صحيفة في القدس عرفت باسم جول (جمال) وطبعت في مطبعة صغيرة قبالة بستان البلدية، وقد ظهرت الصحيفة بالتركية فقط، واحتوت على التلغرافات(البرقيات) فحسب التي كان يترجمها عن الفرنسية ابن القنصل الإيراني شارل أيوب، بالإضافة إلى إصدار عدد من الصحف خلال الحرب[4] لخدمة أغراض الحكومة[5].

لم يكتف جمال باشا بنشر الأخبار على الصحف بل قام بالاتصال بعدد أثناء الحرب العظمى لم يقتصر الأمر على إصدار الصحف الخاصة بالحكومة لنشر أخبار الجبهات بل كان جمال باشا يلجا

---

[1]العقاد، أحمد خليل : **تاريخ الصحافـة العربيـة في فلسطين،** 80/1؛ قاسمية، خيرية، **المقاومة العربية للصهيونية أواخر العهد العثماني**، دراسات تاريخية، ع11،57

[2]ساعد على انتشار الصحافة في القدس إنشاء مطابع خاصة كمطبعة جورج حبيب، والمطبعة البروتساتنية وبعد عام 1908م انتشرت المطابع، وأصبح لكل جريدة مطبعة خاصة بها، بلغ عدد الصحف في القدس بعد عام 1908م والذي يعد نقطة انطلاق الصحافة العربية في ذلك العام 15 صحيفة، منها 12 في القدس، وقد أدت هذه الصحف دوراً بارزاً في الكشف عن الأهداف الحقيقية للصهيونية لتهويد فلسطين، وكما قامت بحملات ضد الهجرة اليهودية أحمد، محمد، **الحياة الثقافية والفكرية في القدس في العصر العثماني،** مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص،222

[3]خوري، يوسف، **الصحف العربية في فلسطين،** 3

[4]هناك صحيفة أخرى ظهرت في بئر السبع باسم مجلة جول، وقد أنشئت هذه المجلة ومطبعتها بأمر من جمال باشا ويبدو أن تركيا ركزت أجهزة الإعلام التابعة لها في دمشق، كذلك أصدرت صحيفة الشرق التي استقطبت من حولها نفراً من الأدباء والصحفيين من مؤيدي السياسة العثمانية، وقد كانت الصحيفة مصدراً إخبارياً لعرب البلدان المجاورة، وكأي وسيلة دعائية لم تكن الصحيفة ذات شعبية بين أوساط القراء العرب، يهوشع، يعقوب، **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني، 142–143.**

[5]**نفسه،** 142

إلى بعض الأدباء والشعراء لتنظيم القصائد في تعظيم انتصارات الجيش التركي وكان من بين هؤلاء الشعراء الشيخ علي الريماوي من القدس والشيخ "سليم اليعقوبي اليافي"[1].

وقد هدف جمال باشا من إصدار الصحف الخاصة بالحكومة حتى تقوم بنشر الأخبار التي يريدها في مواقع الجبهات، وكيفما يريد، وسيلة دعائية لنشر الانتصارات الكاذبة التي من شأنها أن تعزز وجود ومكانة الدولة العثمانية في نفوس الشعب، وحتى الخطب لتعظيم النصر، لدولة تعظم نفسها وهي على مشارف الموت، كمن يقرأ الفاتحة على نفسه وهو حي .

برزت من بين الصحف العربية في فلسطين جريدة الكرمل في حيفا، وجريدة فلسطين اليافاوية حيث قادتا الحملة ضد الحكومة التركية، إذ حملتاها تبعة تقديم المساعدات للهجرة اليهودية، وللحركة الصهيونية وضد الاستيطان اليهودي في البلاد، وقد نشرت الجرائد المقدسية أيضاً بين الفينة والأخرى مقالات عنيفة تهاجم فيها طرق الاستيطان اليهودي في البلاد[2]، وبرزت في هذا المجال بصورة خاصة جريدة المنادي الأسبوعية بأربع صفحات والتي كان يرأس تحريرها" محمد موسى المغربي"[3].

لم تحظ الجرائد المقدسية بالمرتبة الأولى في العهد العثماني ولا في عهد الانتداب، فقد كانت يافا بمثابة قلب الصحافة العربية النابض في العهدين[4]،وداومت صحيفة فلسطين على الصدور لأشهر قليلة بعد اندلاع الحرب، وكانت تكتفي بنقل أخبار وكالات الأنباء، وتوقف المقال الافتتاحي عن الظهور، وقد ردت الصحيفة على نشر تلغرافات (برقيات) خاصة باللغتين الفرنسية والعربية لقرائها من غير العرب ،وذهبت صحيفة فلسطين إلى أن على تركيا أن تتخذ موقف الحياد في هذه الحرب وذلك لأن زوالها وشيك، وهي فرصة سوف تغتنمها الدول العظمى للتسلط على بلدان الشرق، ثم هاجمت الصحيفة أولئك الذين يعملون زرع الفتنة وبذور الشقاق في صفوف الأمة، وإثارة الحزازات والأضغان والذين يدعون أن البلاد سوف تزدهر أكثر في ظل حكم الدول الأجنبية وهي تلفت الأنظار إلى الذي فعلته إنجلترا في الهند، وقد فتحت الصحيفة أعمدتها أمام كلا الفئتين من القراء المتحيزين إلى جانب ألمانيا وأولئك المتحيزين إلى جانب إنجلترا.[5]

---

[1] يهوشع، يعقوب، **تاريخ الصحافة العربية**،144-145؛ مناع، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني** 262

[2] قاسمية، خيرية، **المقاومة العربية للصهيونية أواخر العهد العثماني**، دراسات تاريخية، ع57،11

[3] أحمد، محمد، **الحياة الثقافية والفكرية في القدس في العهد العثماني 1517-1917**، محلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص،،222

[4] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 396

[5]يهوشع، **تاريخ الصحافة العربية**، 148

وأما العدد الأخير الذي ظهر في هذه الصحيفة في أثناء الحرب فهو العدد 362-365/ 12تشرين الثاني سنة 1914م كان سبباً لنفي صاحب فلسطين إلى الأناضول[1] .

عند تصفح جريدة فلسطين، يستوقفنا التغيير الذي طرأ على اسم الجريدة خلال الحرب إذ كانت جريدة فلسطين قد تم إغلاقها أكثر من مرة على يد السلطات العثمانية، وتحول اسمها إلى مجلة الدستور بعدد واحد للتمويه حتى تستطيع نشر أحداث الحرب، فنرى أحيانا اسمها جريدة فلسطين أو الدستور[2].

أما صحيفة الكرمل وصاحبها "نجيب نصار" فقد اتخذت موقفاً مخالفاً لصحيفة فلسطين إذ دعت إلى عقد حلف صداقة مع انجلترا وليس مع ألمانيا، وحجتها في ذلك أن البلاد التي تحت سلطان تركيا سوف تكون عرضة لقصف سفن الأسطول البريطاني، وقد أثارت هذه الآراء ارتياب السلطات التركية فتوقفت الصحيفة عن الصدور، وهرب صاحبها ملتجئا إلى أحدى قبائل البدوية طوال سنوات الحرب، لكنه ألقي القبض عليه وقدم إلى المحاكمة بتهمة الخيانة[3].

ونذكر في هذا المقام أن الصحافة قد خضعت للرقابة من قبل موظفي وزارة المعارف في ذلك الحين وكان الرقيب متشدداً يمنع نشر كل كلمة أو جملة يشك في أنها تسيء إلى الباب العالي، وأدى ذلك إلى جعل الصحفيين معرضين دائماً إلى الاستدعاء والاستجواب، وبالتالي إلى هجرة عدد كبير منهم إلى مصر التي كانت تعد في تلك الفترة بلد الحريات، وكانت الصحف كذلك مهددة دائما بالإغلاق وبإلغاء تراخيصها إذا أثير شك حول ما تنشره، وكذلك بالسجن إذا اشتمت في مقالاتها رائحة تمرد وعصيان على الصدر الأعظم[4].

كان متصرفو الألوية يقومون بانتقام من الصحافيين الذين تجرؤوا على انتقاد أعمالهم، ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يجبرون موظفيهم على الامتناع عن الاشتراك بالصحف التي قامت بتوجيه النقد إليهم، وقد أدى ذلك إلى انقلاب الصحافة العربية إلى مسارح التعظيم، وكثرت تلك التي تعظم الحكومة خوفاً من إيقافها الأمر الذي جعل الحكومة تسمح بتوزيع بعض الصحف العربية[5]،ولم تكن" القدس الشريف"

---

[1]**فلسطين**، 362-365،12تشرين الثاني سنة 1914م

[2]**الدستور**، ع1،1914/12/6م

[3]صبري، بهجت، **فلسطين**، 119

[4] الطيباوي، عبد اللطيف، القدس الشريف 64؛يهوشع، يعقوب، **تاريخ الصحافةالعربية**،153

[5]الصحف التالية(الحقيقة من الأستانة، الفلاح لسليم الحموي مصر) المقطم القاهرة، الأهرام القاهرة، لسان الحال بيروت، وكذلك المجلات الأدبية الهلال، المقتطف البيان المنار المحبة. يهوشع، **تاريخ الصحافة العربية**،130

الصحيفة الرسمية التي أصدرتها الحكومة التركية باللغتين العربية والتركية تنشر الأخبار العامة، فإن الرقيب كان يمنع نشر ما يجري في العالم باللغة العربية[1].

أخذت الصحافة في ذلك العهد تنحو منحى الأبحاث الأدبية، واللغوية، وترك السياسة جانباً[2] وانتشرت خلال الحرب الكتب والروايات البعيدة كل البعد عن السياسة، والتي كانت الدولة العثمانية تسمح بدخولها للبلاد طالما أنها لا تذكر الحكومة بسوء، ولا تؤدي لتمرد أو عصيان[3]، فمن خلال مطالعات العسكري "إحسان الترجمان" نتعرف إلى القصص الشعبية والعديد منها مترجم عن روايات غرامية ذات أصول أوروبية، وعلى الكتب التربوية التي كانت متوفرة للشباب والشابات في ذلك الحين، وقد انتشرت بين الجنود تحديداً كتب دليل اختيار الزوجة والتي تحتوي على إرشادات عن الحياة العاطفية، والجنسية والزوجية[4].

تشير مذكرات "إحسان الترجمان "إلى أنه كان شغوفاً بمتابعة الصحافة السياسية الهزلية، وعلى رأسها جريدة الحمارة القاهرية، التي كانت تصدر في حيفا [5]،والتي اعتادت أن تهزأ بقيادة حزب الاتحاد والترقي[6]

الأمر الذي يدل على أن الرقابة العثمانية على المطبوعات لم تكن تطبق تعليمات الحكومة الصارمة خلال أعوام الحرب والتي أشيع عنها فيما بعد .

-النفي والإعدام والعزل عن المناصب

اتخذت القيادة العثمانية عدداً من الإجراءات بحق من يقوم باختراق القوانين التي وضعتها الدولة وكان جزاء من يخالف القوانين النفي خارج البلاد، أو الإعدام، أو العزل عن المناصب، وقد أصابت سياسة النفي والتشتيت فلسطين جميعها، حيث قامت الدول العثمانية بعملية نقل سكاني من مساقط الرؤوس

---

[1]المحافظة، علي، **الحركات الفكرية في عصر النهضة**، 74-75

[2] يهوشع، **تاريخ الصحافة العربية**، 135

[3]المحافظة، علي، **الحركات الفكرية في عصر النهضة**، 62

[4]تماري، سليم، **عام الجراد**،45

[5]خوري، يوسف، **الصحافة العربية في فلسطين 1876-1948م** ، 21

[6]تماري، سليم، **عام الجراد**، 54

إلى أماكن أخرى، ففي عام 1917م تم اقتلاع قسم كبير من سكان مدينة غزة وطردهم إلى مصر، كما طرد قسم من سكان مدينة يافا[1] .

وكان معظم الأسر منفية في الأناضول، والمعتقلون السياسيون لم يعودوا بعد، ومثل هذا التشتيت يتحدث عنه "حسين فخري الخالدي" في مذكراته، _والذي كان يعمل في الحرب طبيباً في الجيش العثماني المرابط في غزة_ عن أفراد أسرته في تلك المرحلة فيقول: "إن شقيقاً له كان في معتقل للأسرى في الهند وشقيقاً ثانياً في المعتقل في مصر، وثالثاً مع الجيش التركي في حمص، ورابعاً في يافا المحتلة من قبل الإنجليز، وأما والده فقد كان في القدس، ووالدته مع الأخوة الصغار في قرية دير غسان من قضاء رام الله ويرى الخالدي أن هذا حال الجميع، كما يؤكد على أن الشباب الفلسطيني المتعلم المثقف قد بقي سواده الأعظم حتى سنة 1920 م مشتتا في جبهات القتال النائية في الأسر[2].

وقد قامت عدد من العائلات الفلسطينية التي لم تستطع إعفاء أبناءها من الخدمة العسكرية، أو أن تؤمن البدل النقدي، بتهريب أبنائها خارج البلاد خوفاً على مصيرهم في جبهات القتال[3]، فمن ذلك ما حصل مع عائلة "حسن أفندي الصلاحي" والتي قامت بما قامت به العديد من العائلات المقدسية الأخرى بتهريب ابنها على مصر كي يتفادى تجنيده في الجيش العثماني، وكان ردة فعل القيادة العسكرية إبعاد أفراد عائلته إلى سيواس (شمالي حلب) عقاباً على فعلتها، رغم أن هذه العائلة كانت قد قدمت استرحاماً للقيادة العثمانية بالبقاء في القدس ولكن القوانين كانت صارمة بالتنفيذ[4].

وقد تعرض أبناء البلاد العربية للنفي من بلادهم والقدوم إلى فلسطين والقدس، وخاصة من كان ينادي بضرورة الاستقلال عن الدولة العثمانية، نذكر من هؤلاء الشاعر اللبناني "رشيد نخلة" الذي كان عليه أن يختار أحد الخيارات الصعبة هو ومن معه، إما أن يقعوا تحت حبال المشنقة في لبنان وإما النفي، فوقع الاختيار على نفيه من بيروت إلى القدس[5].

لماذا اختار "جمال باشا" القدس، ليس المهم أين المنفى؟! المهم هو أن يموت المبعدون شوقاً إلى أرض الوطن، و ذكر نخلة كل حجر وزاوية في القدس، ووصفها بأجمل الأوصاف من ذلك قوله" قدس

---

[1] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 479

[2] الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات**،79

[3] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 478

[4] تماري، سليم، **عام الجراد**، 298

[5] نخلة، رشيد، **المنفى**،184

مشرف فكأنه ظل لعرش الله ينبسط فوق هذه الزاوية المباركة من الدنيا "إلا أنه يتمنى لو أنه لا يدخلها ليس كرهاً بل حزناً، لأنه سيغدو على ثراها منفيا فهي الآن دار منفى[1].

وعند وصول الموكب بالمنفيين إلى القدس طافت بهم العربات من فندق إلى آخر، وكان الليل قد هبط والمطر لا يزال يتساقط، والحجة المبيتة من قبل العثمانيين في طواف العربات من فندق لآخر هو البحث عن مبيت لهؤلاء المنفيين، ولكن اكتشف نخلة فيما بعد أن السبب في هذا الطواف هي السياسة المعتادة من قبل الدولة العثمانية في الترويج لانتصاراتها في الجبهات وسوقها الأسرى[2] يقول نخلة[3]:"وبينما نحن في بعض المنعطفات إذا جماهير من الناس، وإذا جلبة وأهازيج، وتصفيق بالأيدي، من أول الشارع إلى آخره، فأطللنا من العربات نتسقّط الخبر، فعلمنا أن القوم في تظاهرة كبيرة، فرحاً بفتح لبنان على يد جمال باشا، وبسوق الأسرى إلى القدس في تلك الساعة، مغلوبين صاغرين بعد الفتكة الحامية، فلم أتمالك نفسي من الضحك، وعلى الخصوص حين توسطت بنا العربات الجماهير، ورأيت الكثير من الفتيان في طرب شديد يرقصون ويتغنّون بقولهم: "العثملي بعون الله فتح لبنان". فأدركنا أنه يراد بنا، حينئذٍ، التطويف في الشوارع، تأكيدا لنبأ الفتح، لا تفتيشاً عن فنادق للمبيت، ورأينا أن "جمال باشا" كان قد زوّر لنا أسباب المجد ودواعي الفخر، على أتمّ ما يكون التزوير"!.

كانت الدولة العثمانية تقوم بمراقبة المبعدين، ومنعهم من الخروج إلى الضواحي إلا بإذن الشرطة[4]، فبعد أن استقر نخلة في فندق مرقس بالقدس على باب الخليل، قام مدير الشرطة التركي "شاكر بك أرطوغرول" والذي عين بعد أربعة أشهر من نفي رشيد، يقبل عليهم كل مساء، يسأل عن كل هؤلاء المبعدين، وكان بغاية اللطف على حد وصف نخلة، حتى قيل عن سبب لطافته "هذا رجل عجيب فهو إما أن يكون أدهى بني قومه في إخفاء ما لا يبدي، وإما أن يكون في قلبه وجع من جمال باشا، لأن المتعارف عليه أن المسؤولين العثمانيين الذين يجلسون على مقاعد المسؤولية يوصفون بالتوحش والقسوة في المعاملة[5].

لم تكتف الدولة العثمانية باتباع سياستها الظالمة من تزوير للانتصارات، وقلب للحقائق بل الأمّر من ذلك، هو سياسة الدولة في نقل الأخبار والشائعات التي تروجها حول مصير المبعدين بالإضافة إلى

---

[1] نخلة، رشيد، **المنفى،** 177–178

[2] الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين،**163/10

[3] **نفسه،** 180–181

[4] مناع، عادل، **فلسطين في أواخر العهد العثماني،** 420

[5] **المنفى،** 187

منعهم من بعث رسائل تطمئن أهلهم وذويهم عن أخبارهم، من خلال المراقبة على الرسائل[1] ونخلة خير مثال على الشائعات التي ذكرت حول مصيره فيذكر " أما في لبنان فقد كانت أخبار السوء تذاع عنا في كل مكان، فقيل إني والأمير" فائق الشهاب"،" ومصطفى بك عماد" قد شنقنا يوم وصولنا إلى القدس، وقيل في الجبل أنني قضيت نحبي في الطريق، من سم وضع لي في الأكل إلى غير هذه من الشائعات التي تم إطلاقها تشفيا بنا، فكان أهلنا على قلق لا يوصف، إذ أن رسائلنا من القدس لم تبلغ لبنان إلا بعد فترة طويلة"[2].

ومما يلاحظ أن النفي والتهجير لم يتخذ فقط بحق العرب، بل قامت الدولة العثمانية بترحيل القناصل ورعايا الدول الأجنبية بحجة أنهم أعداء للدولة العثمانية وتم ترحيلهم إلى بلادهم، وأبقت بقية الرعايا الأجنبية فهي رهينة عند الحكومة العثمانية حتى إذا تعدى الأسطول الانجليزي على أحد الثغور العثمانية غير المحصنة انتقمت الحكومة العثمانية من الأجانب في بلادها[3] .

ترى الباحثة أن سياسة الشائعات التي مارستها الدولة العثمانية حول مصير المنفيين من وإلى فلسطين إن هي إلا دليل أولاً على ظلم وتعسف الدولة العثمانية مع العرب، وباتباعها هذه السياسة تقوم بتحضير أجوبة مسبقة من قبل السلطة الحاكمة ستوجه للأهل عند سؤالهم حول مصير أبنائهم ثانياً أن كل من يجلس على مقاعد المسؤولية في الدولة العثمانية عليه أن يختار إما أن يمارس سياسة القمع ضد السكان وأن يكون سيفه كسيف "جمال باشا" يبطش كل من يحاول أن يستخدم سياسة اللين، أو السجن، والدليل واضح حيث إن معاملة قائد الشرطة "شاكر بك" الحسنة للسكان والمبعدين كان جزاؤه التكبيل بالحديد والإحالة إلى المحاكمة في الديوان العرفي في عالية بلبنان ليحكم عليه بالموت[4]،

أو أن يكون العقاب بالنقل والتنحي عن الرتبة من العمل، فقد ورد أمر من روشن بيك –مفتش مقر الإدارة العسكرية في القدس والمسؤول عن التنقلات– بنقل الضابط فارس ورتبته كاتب إلى السلط لطابور العملة وكان الضابط فارس وهو شامي رجل طيب يعامل العساكر أحسن من معاملة بقية الضباط، وإن كان قليل الذمة يحب الكسب والاحتيال، يذكر العسكري إحسان الترجمان،" رغم صفات الضابط فارس السيئة إلا أنه كان حسن المعاملة لي أيام كنت في ضيق[5]"، كذلك قيام الحكومة العثمانية بعزل رئيس البلدية "حسين أفندي الحسيني "حيث أوردت مذكرات الموسيقي" واصف

---

[1]شوفاني، إلياس، **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي**، 346

[2]**المنفى**،187

[3]صبري، بهجت، **فلسطين**، 77؛ السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 128

[4]نخلة، رشيد، **المنفى**،، 188

[5]تماري، سليم، **عام الجراد**، 244

جوهرية"،" والعسكري إحسان الترجمان" أن السبب في إقالة رئيس البلدية حسين أفندي الحسيني إطعامه العساكر المتطوعين في القدس بدون أخذ إذن من العسكرية[1]،والسبب الآخر والذي ترجحه الباحثة ومن خلال العديد من الأحداث، هو خوف الدولة العثمانية من الحركة العربية ومطالبتها بالانفصال عن الدولة العثمانية، لذلك أرادت أن يتولى أمور الدولة أتراك، فتمت إقالة حسين أفندي بصفته عربياً، ومن عائلة الحسينية المعروفة بالبلاد، وعين بدلاً عنه رئيساً تركياً لأول مرة في تاريخ القدس وذلك في آخر سنة من السنة الأولى للحرب العالمية الأولى[2].

كان رشيد نخلة يتحرق شوقاً لمعرفة أخبار بلاده، وكان يروي عطش شوقه لبلاده من خلال بعض المسئولين في القدس، أمثال مدير البرق والبريد "سليم بك" والذي أسر فيما بعد، وكان يأخذ رشيد إلى زاوية متخفياً يخبره بأخبار لبنان وما يحصل لها، أو من خلال أصدقائهم الذين عانوا مر الطريق، ليطمئنوا على أصدقائهم في المنفى، وهذا ما حصل مع نخلة حيث أتى صديقان له أتيا من لبنان إلى القدس لا يسلكان طريق العربات، ولا يركبان قطار الحديد، مخافة من أن يقعا بأيدي الحكومة العثمانية، أو سائل يسأل أمرهما، فقطعا المسافة على ظهور الدواب في المسالك المهملة والدروب المهجورة في خمسة وعشرين يوماً على التقريب[3] أما الأخبار التي وصلته من أصدقائه عن لبنان، لم تكن أقل سوءاً من الأخبار التي وصلت إلى لبنان عن الوضع في القدس فالحال واحد فتجويع، وغلاء وتشريد، وقتل بسيوف الظلم، وموت من الجوع على أرصفة الشوارع وفي عرض الطريق[4].

لم تكن الحكومة العثمانية تتساهل أو تتوانى في إعدام كل من يفر من الجندية، إن لم يكن النفي عقاباً كافياً –كما أشرنا سابقا– وكانت تقوم بإعدامه بطريقة تشمئز منها القلوب لتجعله عبرة لغيره[5] ويصف السكاكيني[6] طريقة إعدام شاب على باب الخليل وهو من إحدى قرى يافا كان قد فر من الخدمة العسكرية مرتين متتاليتين فقد "ألبسوه ثوبا أبيض وربطوه إلى شجرة على طريق مار إلياس، وأوقفوا أمامه اثني عشر جنديًا ببنادقهم، ومن ورائهم ثلاثين جندياً، حتى إذا لم يصبه الصف الأول أعدمه الصف الثاني، وكان الجنود كلهم واقفين يشهدون إعدامه ليعتبروا".

---

[1]تماري، سليم، **عام الجراد،**، 234؛ تماري، سليم، **القدس العثمانية**، 198

[2]تماري، سليم، **القدس العثمانية**، 198

[3]نخلة، رشيد، **المنفى**، 194

[4]**صحيفة هآرتس** ع 18 ، 9سبتمبر /أيلول، 2004

[5]الغوري، إميل، **فلسطين**، 39

[6]**يوميات السكاكيني**، 122؛ جوهرية، واصف، **القدس العثمانية**، 33

وقد يكون شنق الجنود ليس بسبب التهرب من الخدمة العسكرية، بل أيضا حول أي تصرف يظهر من الجندي لا يعجب جمال باشا وضباطه، حيث يذكر أبو السعود حادثة جندي تذّمر من الطعان المقدم للجنود ، فأمر الباشا بحبسه، ثم أطلقه بعد أن هدده بالقتل إن عاد للاعتراض، ويقارن المعلم المقدسي فؤاد أبو السعود "تصرف جمال باشا هذا مع ما رآه لاحقاً من تصرفات القادة الإنجليز والذين كانوا يعطوا جنودهم كامل الحرية لقول ما يريدون [1].

ويدافع إحسان عن اتهام الجنود بالمخابرة " أنه إذا كانت الحكومة الإنجليزية أو أية حكومة تريد جواسيس في البلاد هل يمكن أن تأخذ أخبار من مثل هؤلاء ؟ هذا غير ممكن لأن الذين أعدموا هم من العوام، وهل تعتمد حكومة هؤلاء على أقوال مثل هؤلاء أولا إذا كتبوا لا يعرفون ما يكتبون، أو تكلموا لا يعرفون ما يتكلمون، وإذا سمعوا شيئاً يحرفونه، فكيف تصدق بأن إنجلترا استعملت هؤلاء لأن هذا غير ممكن[2].

إن الشخصيات التي استخدمت لصالح بريطانيا هي شخصيات معروفة ،_سنوضحها لاحقاً_ وصلت إلى مراكز عالية في الدولة متظاهرين بخدمتها، ولم تشك الدولة بنوايا هؤلاء الجواسيس إلا في النهاية، بأنهم متعاونون مع بريطانيا لتحقيق الحلم اليهودي في فلسطين، وإذا رجعنا قليلاً للوراء لوجدنا أن الدولة العثمانية تهاونت في القتل والإعدام، حيث تشير المذكرات التي بين أيدينا إلى أن تنفيذ حكم الإعدام أصبح أمراً اعتيادياً وصارت شيئاً بسيطاً لتكرارها كل يوم، كان على الدولة العثمانية أن تبحث عن الأسباب التي أوجبت الجندي على الفرار من الخدمة العسكرية، ولأن منها المعاملة القاسية التي يعاملها الضباط للعساكر، والمذلة والمهانة التي يعيشها العسكري في الجبهات، وعمليات النفي، والأجر الذي كان يتلقاه العسكري قليلاً جداً –وهذا ما سنناقشه في الفصل القادم بالتفصيل – إذا نفذت دراهم الجندي ماذا يفعل ؟ هل يسرق والقانون لا يسمح له ؟ أو يبيع ثيابه التي أعطته إياها الحكومة .

2–سياسة الاتحاديين تجاه الحركة العربية في متصرفية القدس

كانت القدس جزءاً من الحركة العربية في مختلف أرجاء العالم العربي في إطار الدولة العثمانية إلا أن أبناء فلسطين ومدينة القدس خاصة كان لهم دور في الحركة العربية، والأحزاب والجمعيات[3]، لذلك فإن دراسة الحركة العربية في القدس تقتضي منا الحديث عن الجمعيات والأحزاب المختلفة التي أسهم

---

[1].حمودة، سميح، **ذكريات المعلم المقدسي فؤاد أسعد أبو السعود**، حوليات القدس، ع 21، 9

[2]حمودة، سميح، **ذكريات المعلم المقدسي فؤاد أسعد أبو السعود**، 83

[3]الناصر، معتصم، **الحياة السياسية العربية في القدس1918-1934م**، 20-21

عرب المتصرفية فيها، إلى جانب اهتمامهم المباشر بالهجرة اليهودية والمسألة الصهيونية وموقفهم منها.

كان أول مظهر من المعارضة السياسية تجاه الحكم العثماني خلال حكم السلطان عبد الحميد، قد ظهر عندما نشر "نجيب عازوري"[(1)] كتاباً له عام 1905م، حيث دعا فيه إلى تحرير بلاد الشام من السيطرة التركية وإقامة دولة عربية تضم الأقسام الآسيوية دون الإفريقية[(2)].

لم يكن هدف العرب الانفصال عن جسم الإمبراطورية العثمانية لهذا نظروا لثورة 1908م والتي خلع فيها السلطان عبد الحميد، وأعادت العمل بالدستور فرصة مناسبة للحصول على الحرية والمساواة في ظل الدستور الجديد[(3)]، ومن هنا نجد أن الحركة العربية هدأت إلى حين، وأعلنت نيتها تجاه الاتحاديين، وتمثل هذا الموقف في تشكيل أول جمعية عربية –عثمانية، عرفت باسم جمعية الإخاء العربي–العثماني، بقصد التعاون مع جمعية الاتحاد والترقي للنهوض بكيان الدولة بما في ذلك الولايات العربية وقد افتتحت وسط مظاهر الحماسة والابتهاج بين العرب والأتراك، وكان من بين المؤسسين شكري الحسيني، وجميل الحسيني، وموسى الخالدي، وفيضي العلمي، ونخلة زريق، وحنا العيسي، وخليل السكاكيني من القدس، أما أهداف الجمعية فكانت تحسين الأوضاع في المقاطعات العربية على أساس المساواة الحقيقة بين الأقوام العثمانية الأخرى، ونشر التعليم باللغة العربية، وتنمية الشعور الوطني بالمحافظة على العادات وأتباعها، وكانت عضويتها مباحة للعرب على اختلاف أديانهم، كما لاقت هذه الأهداف صدىً حسناً لدى الطلاب العرب في الأستانة، فكانوا أول من أقبل على الانتساب للجمعية، وقد عقدت اجتماعها العلني الرسمي في 5آب 1908م وقامت بتأسيس فروع لها في مختلف المدن العربية[4]، وسعى "شكري الحسيني" إلى تأسيس فرع للجمعية في القدس وكان أن كلفت الجمعية رسمياً إسماعيل الحسيني بتأسيس الفرع، فقام باستشارة العديد من الأصدقاء والشخصيات في مختلف مدن فلسطين، ودعا إلى اجتماع عام في منزل موسى الخالدي، وفي هذا الاجتماع انتخبت أول هيئة كاملة مكونة من 15 عضواً منهم حنا العيسي، وخليل السكاكيني، وفيضي العلمي، غير أن

---

[1] لبناني أقام في فلسطين كموظف في الإدارة العثمانية في متصرفية القدس 1898/1904م، وقد ترك وظيفته عام 1904م بعد تعيين المتصرف أحمد رشيد بك، الذي أيد الهجرة اليهودية علانية، ولم يعبأ بتنفيذ القوانين التي أصدرها الباب العالي، خلة، كامل، **فلسطين والانتداب البريطاني1922–1937م**،105

[2] الناصر معتصم ، **الحياة السياسية العربية في القدس1918–1934م**، 21

[3] صبري، بهجت، **فلسطين**،55

[4] الحوت، بيان نويهض، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين 1917–1948م**، 27

العمر لم يمتد لهذه الجمعية حيث بادر الاتحاديون عندما سيطروا على الحكم وخلع السلطان عبد الحميد 1909 م إلى إغلاقها.[1]

صحيح أن بعض الجمعيات السياسية السرية العربية، قد تألفت قبل قيام جمعية الاتحاد والترقي وكانت تنادي بنهوض العرب، واستعادة أمجادهم، ومقاومة الظلم والاستبداد في عهد عبد الحميد الثاني كما أن بعضها نادى بإعادة الخلافة إلى أهلها العرب، غير أن نزعة الانفصال عند الدولة العثمانية لم تظهر إلا في فترة متأخرة، وبعد أن اصطدم التيار القومي التركي المهيمن على جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة بالتيار القومي العربي، عند محاولة الاتحاديين تنفيذ سياسية التتريك في الدولة متجاهلين مشاعر العرب القومية والوجود العربي في الدولة [2].

هذا الصدام بين التيار القومي العربي، ثم التيار التركي المتمثل بجمعية الاتحاد والترقي، أدى إلى المطالبة العربية بالانفصال عن الدولة العثمانية، زاد هذا الصدام أوضاع صعبة عايشها العرب أدت للثورة العربية الكبرى 1916م وسيأتي تفصيلها فيما بعد .

أسس على أثر جمعية الإخاء العربي –العثماني ناد عربي عام 1909معرف باسم المنتدى العربي وكما انتشرت مجلة المنتدى الفكرية وذلك على أكتاف أبناء العرب الموجودين في الأستانة، من بينهم مثقفي القدس كجميل الحسيني، وعارف العارف، ومصطفى الحسيني، وكان الهدف من تأسيس النادي سد الفراغ بعد حل جمعية الإخاء العربي العثماني، وانتشرت فروع المنتدى العربي في البلاد العربية لكن السلطات العثمانية اتخذت قراراً بإغلاقه عام 1915م[3].

وخلال سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على الحكم تضعضعت مرحلة الوفاق بين العرب والترك حيث برزت عوامل جديدة أدخلت العلاقات العربية التركية مرحلة جديدة واتسمت بالفتور والتباعد وعلى رأس هذه العوامل ما اتضح للعرب من أن سياسة الحكومة الاتحادية تعمل على تفضيل العنصر التركي على غيره من العناصر، ومحاولتهم فرض اللغة التركية على مختلف عناصر الدولة على حساب

---

[1] عوض، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث1831-1914**، 31-32

[2] حداد، يوسف، **الاتجاهات الوحدوية في فلسطين في عهد الانتداب** ، مجلة شئون عربية،ع8، 210

[3] الحوت، بيان نويهض، **رجال من فلسطين**، 142؛ محافظة، علي، **الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني 1918-1948م**، 17

لغاتها القومية[1]، كذلك اتبعت جمعية الاتحاد والترقي سياسة التلاعب والتزوير والضغط لضمان فوز مرشحيها[2].

تم تأسيس حزب اللامركزية الإدارية العثماني عام 1912م، في القاهرة، وقد اشترك فيه من القدس سعيد بك الحسيني، وعلي النشاشيبي، وعوني عبد الهادي في نابلس، وحافظ بك السعيد في يافا وسليم عبد الهادي في جنين، أما رئيس الحزب فكان رفيق العظم، وقد جاء تأسيس هذا الحزب محاولة من العرب لتنظيم جهودهم، وقد قام حزب اللامركزية، بدور مهم في المؤتمر العربي الأول في باريس وأصبح أفضل ممثل لأهداف العرب وأمانيهم آنذاك[3].

وبعد مرحلة النفور والجفاء بين العرب والترك أخذ العرب في اتباع السرية في التنظيم والعمل وتأسيس الجمعيات السرية، كان لأبناء القدس وفلسطين دور في تأسيس هذه الجمعيات .

ومنها :-الجمعية القحطانية، التي تأسست عام 1909م، وكان من أبرز مؤسسيها من القدس، علي النشاشيبي، الذي كان طبيباً بيطرياً، وهو أحد الضباط في الجيش العثماني، ويعد موقد جذوة الوطنية في ناشئة القدس، واتهمته المحكمة العرفية بأنه يتطلع إلى استقلال العرب، حيث حكم عليه بالإعدام[4] وكان إلى جانبه مجموعة من الضباط العرب في الجيش العثماني منهم عزيز علي المصري، وسليم الجزائري، وغيرهم ،وكانت هذه الجمعية تهدف لضم الضباط العرب في الجيش العثماني للمشاركة في الحركة العربية[5]، وخلفتها جمعية العهد 1914م التي كان جميع أعضائها من الضباط العرب، واشترك الضابط علي النشاشيبي في جمعية العهد أيضا، وكانت تهدف أن تضم بين صفوفها عدداً من الضباط العرب.[6]

---

[1]دروزة، محمد عزة، **نشأة الحركة العربية الحديثة،** 350-357؛ عوض، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث 1831-1914م**، 114.

[2]منها الانتخابات النيابية التي جرت عام 1908م،حيث فاز عن العرب 60 نائباً، وعن الأتراك 150 نائباً في مجلس النواب، وجاءت بنتائج تفوق الترك على العرب بنسبة 2:5مع أن نسبة السكان بين العرب والترك بنسبة 2:3 لصالح العرب، أما في مجلس الأعيان فلم يكن للعرب فيه سوى ثلاثة أعضاء من بين مجموع أعضائه البالغ أربعين عضواً وفي الانتخابات التالية التي جرت في ربيع 1912 م ،**المقطم**، ع7006في 16 ابريل/ نيسان1912م

[3]عوض ، عبد العزيز، **الحركة العربية في متصرفية القدس**، م الشرق الأوسط، ع1، 120

[4]بوصير، صالح موسى، **جهاد شعب فلسطين**، 142

[5]عوض ، عبد العزيز، **متصرفية القدس أواخر العهد العثماني**، م شؤون فلسطينية، ع4، 37

[6] صبري، بهجت، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها ،1914-1920م**،56؛ الناصر، معتصم، **الحياة السياسية العربية في القدس1918-1934م**، 25

من الواضح أن الشباب العرب لم يجد حرجاً في الانتساب إلى أكثر من حزب أو جمعية في نشاطهم السياسي خلال هذه الفترة ، وكان ذلك أمراً مألوفاً بين المثقفين العرب .

كذلك تأسست جمعية العربية الفتاة في باريس عام 1911م، وكانت أهداف الجمعية السعي لاستقلال البلاد العربية والتخلص من السيطرة التركية، وكان من بين أعضائها رشدي الإمام الحسيني من القدس ورشدي الشوا من غزة [1].

وإزاء ازدياد الجمعيات العربية أخذت حكومة الاتحاد والترقي في ربيع 1913م تتقرب من العرب في صحفها لقطع الطريق على الحركة القومية العربية، ويبدو أن هذه السياسة التي أبدتها جمعية الاتحاد والترقي لم تكن ذات فعالية، حيث ردت جريدة الكرمل في إحدى مقالاتها "جربوا طرقاً جديدة"[2] وأوضحت الصحيفة أن هذه السياسة لا قيمة لها حيث بقي الحكم المطلق دستور الهيئات الحاكمة[3].

هذا وقد كان المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس 1913م انعكاساً لموقف الجمعيات العربية التي طالبت بالإصلاح على أساس الحكم اللامركزي، دون استجابة لذلك من قبل حكومة الاتحاديين عندما عرضت هذه المطالب على الحكومة الاتحادية مؤخراً من قبل لجنة الإصلاح في بيروت عام 1913م مما دفع بعض الجمعيات العربية إلى عقد المؤتمر خارج المنطقة العربية، وقد حملت الصحف الاتحادية بعنف على المؤتمر وعلى القائمين به [4].

ولما فشلت حكومة الاتحاد والترقي في الحيلولة دون انعقاد المؤتمر اتبعت أسلوب التفاهم والاتفاق وجرت المفاوضات بين الطرفين ، وقد تقرر أن تبقى الاتفاقية سرية لتتمكن جمعية الاتحاد والترقي من اتخاذ التدابير اللازمة بالأساليب التي تراها مناسبة، مع ملاحظة أحوال العناصر العثمانية الأخرى وقد استجاب لهذه السياسة بعض المؤتمرين حيث قبلوا ما عرض عليهم من مناصب جديدة بعد أن توصلوا إلى قرارات تخالف قرارات المؤتمر الذي طالب بنظام الحكم اللامركزي واعتبار العرب أمة واحدة[5].

في كانون الثاني 1914م كانت الدلائل تشير إلى أن الحكومة الاتحادية جادة في التقارب، وإزالة سوء التفاهم مع العرب، ولكن الحكومة الاتحادية التي تظاهرت بالإخلاص للعرب أخذت تماطل في تنفيذ

---

[1] أنطونيوس، جورج، **يقظة العرب**، 187.

[2] **الكرمل** ، ع324في 11نيسان، 1913م

[3] صبري، بهجت، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها ،1914-1920م**،56

[4] صبري، بهجت، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها ،1914-1920م** ،57

[5] عوض ، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث 1831-1914م**، 123-124

وعودها، مما أدى ذلك إلى زيادة التوتر بين العرب والترك، وقررت على أثره الحكومة الاتحادية عقد مؤتمر في 24 كانون ثاني عام 1914 وأهم ما جاء في قرارات هذا المؤتمر .

1. إقصاء ضباط العرب المقيمين في الأستانة.
2. تولية القيادة في البلاد العربية للضباط الأتراك.
3. الإسراع في تنفيذ سياسة التتريك للعناصر غير التركية.
4. تكليف أحمد جمال باشا للإعداد لذلك.
5. إلغاء الأحزاب العربية كلها وتأليف شعبة سياسية في وزارة الداخلية للإشراف على الشئون العربية.
6. مقاومة الحركات الإصلاحية التي ظهرت في بيروت وباريس.
7. إقصاء العرب الذين يعملون ضد الترك من الأستانة.
8. تعزيز نفوذ جمعية الاتحاد والترقي في البلاد العربية، والإكثار من المنتسبين إليها[1].

ومما يفهم من هذه القرارات أن جمعية الاتحاد والترقي وقفت موقفاً صارماً من مقاومة الحركة العربية العامة، وكلف لهذه المهمة أحمد جمال باشا أحد كبار رجال الدولة العثمانية، الذي كان يشغل منصب وزير البحرية، قائدا عاماً للجيش العثماني الرابع في البلاد السورية، وحاكماً عليها وكان هذا الرجل قاسياً متشدداً في أعماله، ومتعصباً متطرفاً في عنصريته التركية[2]، وكان إعلان الحرب العالمية الأولى فرصة مناسبة في الاستمرار في تنفيذ هذه السياسة الجديدة التي تعتمد في محورها على تتريك العناصر غير التركية، ومع هذا فإن هذه السياسة لم تؤثر إلا في نقل الموقف العربي إلى مرحلة جديدة تمثلت في المطالبة بالانفصال والاستقلال التام، ظهر ذلك واضحاً في الثورة العربية1916م، وبهذا دخلت العلاقات العربية مرحلة جديدة أثناء الحرب العالمية [3].

---

[1] العلمي، أحمد، **الاجتياح البريطاني لفلسطين1917-1918م**، 26

[2] الغوري، إميل، **فلسطين**،39

[3] صبري، بهجت، **فلسطين**،57

تبلورت سياسة الاتحاديين تجاه الحركة العربية في القدس بعد حملة السويس، حيث اتضحت السياسة الغاشمة لجمال باشا والتي تمثلت بضرب الحركة العربية [1].

إننا لن ندخل في تفصيل العمليات الحربية في القناة، ،لكن حديثنا عن حملة قناة السويس سواءً الحملة الأولى أو الثانية والتي أخفق الأتراك فيهما يكمن بأهميتين أولهما:-حالة الجيش العثماني خلال هذه الحملات خصوصاً أن الجيش كان يجتمع في القدس وبعدها يتم تقسيمهم إلى الجبهات، وعند نزولهم القدس كانوا يروون حكايات الألم والمصير، وما عانوه في هذه الحملات، ثانيهما:- الضربة التي وجهها "جمال باشا" إلى الحركة العربية، عندما فشلت الحملات على السويس، وكون القدس جزءاً من هذه الحركة، فقد كان لها نصيب من أحقاد "جمال باشا"، حيث تم توجيه الاتهامات للحركة العربية بالخيانة والتآمر مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية.

بعد اتخاذ القرار العسكري باقتحام القناة ومحاولة احتلال مصر، قام "أحمد جمال باشا" بنقل مقر قيادته من دمشق إلى القدس[2]، لتكون قاعدة متقدمة في حملاته على السويس، واتخذ من عمارة الألمان القائمة على جبل الزيتون والمعروفة باغستا فكتوريا أو (المطلع)مقراً له، وقد بناها الإمبراطور وليم الثاني (Wiliam II) تكريماً لزوجته فيكتوريا 1910م في المكان الذي ضرب فيه خيامه عند زيارته المدينة 1898م وقد انتقل هو وهيئة أركان حربه وجيشه [3].

بدأت استعدادات الجنود في القدس للذهاب إلى جبهة السويس، وبدت مظاهر القلق على الناس بأن الحرب واقعة لا محالة[4]، وصف السكاكيني[5]حالة الجنود التي تجمعت في القدس بقوله:-" غداً يسافر الجيش مشياً على الأقدام تحت أشعة الشمس المحرقة، يحملون أثقالهم على ظهورهم، ويقطعون

---

[1] كان هدف "جمال باشا" من احتلال السويس هي ضرب بريطانيا في مصر عن طريق تجريد حملة على قناة السويس، فقام بتحضير جنوده للسيطرة على القناة، وفي المقابل عملت إنجلترا على تقوية موقفها العسكري في مصر، ووضعت القيادة البريطانية خطتها العسكرية على أساس الاستفادة التامة من قناة السويس باعتبارها مانعاً مائياً جيداً، لذلك سحبت قواتها من شبه جزيرة سيناء، وركزت قواتها على الضفة الغربية لقناة السويس، انتظاراً لأي هجوم من الأتراك، لذلك لم يكن أمام الحملة عندما بدأت مسيرتها من سيناء نحو قناة السويس أية عراقيل، وما أن وصلت القناة حتى استطاعت بريطانيا أن ترد القوات العثمانية عن القناة والعودة بهم من حيث أتوا ،وقد اتخذت هذه الحملة من العريش وقلعة النخيل مركزين للتموين مرتبطين بالقدس بعد أن كان الاتصال بدمشق صبري، بهجت، **فلسطين** 70

[2]**مذكرات جمال باشا السفاح،** 185الفاهوم، زهير ، **فلسطين في أواخر العهد العثماني،** 445

[3] جبارة، تيسير، وآخرون، **تاريخ القدس،** 240-241

[4] تماري، سليم، **عام الجراد والحرب العظمى،** 91

[5]**نفسه**، 141

المسافات الشاسعة، ولا يجدون ماءً ولا ظلاً، فيقاسون ما يقاسون من الحر، والعطش، والتعب والجوع إلى أن يصلوا إلى حدود مصر، حيث يلتقون بجيوش الأعداء قام جمال باشا بعدد من الإجراءات خلال الحملة كإجراءات التموين ووسائط النقل [1]، وشق الطرق ومد الجسور[2]

أما أهم الإجراءات التي اتخذت عندما تم الإعداد لحملة السويس، هي استمالة العرب وحتى يقف العرب مع الأتراك في الحرب تقمص "أحمد جمال باشا" شخصية غير شخصيته، فأبدى تظاهراً واضحاً بميله نحو تحقيق المطالب العربية بقصد تعزيز الروابط بين العرب والترك، ومكنه ذلك من استمالة بعض العناصر العربية لتكون أداته في تنفيذ سياسته المرحلية الرامية إلى الكشف عن العناصر الوطنية والمستنيرة في البلاد في الوقت المناسب، بهذه الروح وبهذا التمويه أخذ "أحمد جمال باشا" في بث سياسة حزبه تجاه العرب من خلال الخطب والتصريحات معلناً أن حزبه ينوي تنفيذ سياسة إصلاحية تحقق للعرب مطالب أوسع بكثير مما يخطر بالبال[3] ، وكان لتلك الخطب وقع حسن بين الأهالي وتمثل في حسن استقبالهم إياه، معربين عن ذلك بالأناشيد والخطب الحماسية وحرص "أحمد جمال باشا" على أن ينال ثقة الأهالي لذا عمل على إشعار العرب بأن الدولة محتاجة لهم وإلى مساندتهم[4]، وكان قد أخذ المباركة والتأييد من شريف مكة وبذل مجهوداً لاكتساب قلب الشريف حسين،

---

[1] تكدست الأرزاق في مخازن الدولة فاحتاجت إلى من ينقلها ويوصلها إلى الصحراء حيث الجبهة الحربية، وكيف سيتم ذلك، ولا طرق عربات، ولا خطوط لسكك حديدية تتواصل بها البلاد ولتصل بها الصحراء فاحتاطت لتدارك هذا النقص، وجمعت أكثر من أربعين ألف جمل غير عجلات النقل، وطوابير الحمير والبغال، والحمالة (الذين يحملون الأرزاق والأشياء من القدس إلى الخليل والسبع) وقسمتها إلى شعب وطوابير، وربطتها بمفتش ورقيب ألماني، فكانت تسير هذه القوافل من أقصى بلدان فلسطين إلى جوف الصحراء محملة بالأرزاق والآلات، فلم تف بالحاجة واضطرت الحكومة إلى مقاولة المتعهدين لإتمام هذا النقص، فقصرت همتها عن إيصال المنقولات في حينها إلى محتاجيها وقد نكبت بموت كثير من جمالها لإهمال الضباط وقلة اعتناء الأفراد بها، فالأشلاء متناثرة على جوانب الطرق بعضها فوق بعض، نتيجة لذلك جاءت أوامر بمد الطرق الحديدية وتمهيد سكك العربات وحصرت مهمة الجمال في توزيع الأرزاق على الجنود داخل الصحراء، وورد عليها أوتوميبلات(سيارات) ألمانية ونمساوية ولكن بعد فوات الأوان العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس** ،564؛ طوطح، خليل، البرغوثي صالح ،**تاريخ فلسطين**، 24

[2] لما كانت ساحة فلسطين الحربية منحصرة في الصحراء الخالية من الموارد الطبيعية كالغذاء، والمياه والنبات عزمت الحكومة العثمانية على إيجاد هذه الأشياء، فحفرت الآبار، وجرت المياه إلى الأنابيب إلى مسافات بعيدة وبنت أحواضاً لسقى الحيوانات، وصنابير "حنفيات" للشرب، وقد عين ألمانيّاً لتحري المياه وقد وجدها في القدس في عدة محلات، البقعة، والطور، وبجانب شنلر (دار الأيتام السورية) [2]وقد عمل طابور الشغيلة على شق الطرق= =وتعبيدها، ومد الجسور، ووصلوا خط القدس يافا وعرّضوه وجعلوه خطاً واحداً وألحقوه بالخط الحجازي طوطح خليل، البرغوثي ،صالح ،**تاريخ فلسطين**، 250؛تماري، سليم، **عام الجراد والحرب العظمى**، 240

[3] **المقتبس**، ع 1687، 5 أيلول 1915، 1

[4] صبري، بهجت، **فلسطين** ،**71**

وقد أكد "أحمد جمال باشا" في مذكراته على الجهد الذي بذله العرب في هذه الحملة[1]، ولكن بعد أن فشلت الحملة ولتغطية فشله قام بتوجيه ضربته للحركة العربية.

لقد عبر أهالي مدينة القدس عن شدة انتمائهم للدولة العثمانية متناسين الخلافات القديمة وسياسة جمعية الاتحاد والترقي في طمس الهوية العربية وسياسة التتريك التي حاولت تطبيقها، فكانوا كلما سمعوا بانتصار للقوات العثمانية كسيطرة على أرض أوروبية، أو تدمير سفن أو انسحاب أسطول أو إغراق مدرعة يخرجون إلى شوارع المدينة ويزينونها، ويطوفون في أحيائها وهم يهزجون الأهازيج الحماسية المعبرة عن فرحتهم لهذه الانتصارات[2]، ومن الأمثلة على احتفالات المقدسيين بالانتصارات التي حققها الجيش العثماني، وصلت من التلغرافات العثمانية أن المدافع العثمانية أغرقت أربع مدرعات كبيرة للجيش البريطاني في "جنق قلعة" مما اضطر الأسطول البريطاني بالانسحاب، وبهذه المناسبة أقامت الحكومة احتفالا عاماً في المدرسة الصلاحية،[3] ثم سمع الأهالي بالدعاية التي تضمنت أسر القوات العثمانية ثمانية آلاف جندي بريطاني، والاستيلاء على ترعة السويس خرج الأهالي إلى شوارع المدينة وبدؤوا بإطلاق الرصاص وأسهم النار[4].

لم يكن خبر الانتصار صحيحاً، فقد كانت هذه الأخبار كاذبة، والانتصار مزيفاً، فقد فشلت حملات "جمال باشا" على القناة، فأصدر أوامره للجيش بالانسحاب والعودة إلى فلسطين[5]، ولم يلبث بعدها أن وصل إلى القدس مهزوماً، ونزل "لوكندة الألمان" على جبل الزيتون[6]، ويصف السكاكيني[7]حال الجنود الجنود التي ذهبت وعليها علامات الحماسة تنشد الأناشيد الحماسية، وعند عودتهم من ساحات القتال يصف مظهرهم باستياء "كلهم شباب، قامتهم طويلة، وبنيتهم صحيحة، ولكنهم للأسف منهوكو القوى مما رأوه من الأهوال، فمنهم من كان يتمايل على الجانبين ومنهم من كان يعرج، ومنهم من كان حاملاً

---

[1]**مذكرات جمال باشا السفاح**،186

[2]حزماوي، محمد، **الأوضاع العامة في مدينة القدس خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1914-1920م من خلال يوميات خليل السكاكيني** ،شئون فلسطينية، ع25/260

[3] نخلة، رشيد، **المنفى**،203-؛ السكاكيني ، خليل، **يوميات السكاكيني** 2/ 253-254

[4]**المقتبس**، دمشق، ع 1531، الأربعاء، 24 ربيع الثاني، 1915، مناع، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 260**

[5] نخلة، رشيد، **المنفى**،203-204

[6] تماري، سليم، **عام الجراد والحرب العظمى**، 280؛الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**،163/10؛ السكاكيني ،خليل ،**يوميات السكاكيني**،2/ 253-254؛ نخلة، رشيد، **المنفى**، 203-204

[7] تماري، سليم، **عام الجراد والحرب العظمى**،144-145

يده ومنهم من لم يلبس إلا الثياب الممزقة،، ومنهم من كان لابساً فردة حذاء، والأخرى لا يعلم أين تركها.

وقبل أن توجه حملة السويس وقعت تحت أيدي" جمال باشا" وثائق وتسجيلات خطية تفيد أن نخباً عربية بارزة قد اتصلت بالسفير الفرنسي، وعرضت عليه خدماتها وتعاونها ضد الدولة، حيث تم العثور على هذه الوثائق عند تفتيش القنصليتين الفرنسيتين في كل من بيروت ودمشق، وكانت قد أغلقتا بصفتهما قنصليتا عدو، وقد استمع "أحمد جمال باشا" إلى التقرير وكظم غيظه، وأبدى قدرة فائقة على التسامح، وأخبر الشريف حسين عن هذه الأوراق وأخبره أنه لن يضخم المسألة[1]، ولكن فشله في الحملات على قناة السويس، ومحاولته البحث عن كبش فداء يحمله تبعة الهزيمة ويفرغ عليه لجام غضبه، تذكر مستندات القنصليتين[2]، فاتخذ عدداً من الإجراءات كانت وبالاً على الحركة العربية.

وهكذا نجد أن سياسة اللين اتخذها "أحمد جمال باشا" من العرب لم تكن إلا بقصد الوصول إلى نقطة البدء وهي تنفيذ سياسة الحكومة الاتحادية المعروفة تجاه الحركة العربية، والتي تم وضع أسسها في مؤتمر يناير 1914 م لتي سبقت الإشارة إليه، وتقديم الخدمات له بالحرب حتى يبقى العرب موالين له.

ومما هو جدير بالذكر أن "أحمد جمال باشا" قد استطاع من خلال إقامته في الأقاليم الشامية ملاحظته قوة الحركة العربية وامتدادها إلى صفوف الضباط والجنود العرب في الجيش العثماني وكذلك استجابة العديد من ضباط العرب في الانتقال إلى خارج المنطقة العربية في تأدية واجبهم تجاه الدولة أمام الأخطار التي تحدق بها في المقابل حل محلها قوات عثمانية تتألف من وحدات تركية، وقام بتجريد الجنود العرب من أملاكهم وبيعها معللاً ذلك بأنهم سينالون مقابلها في المناطق والجهات التركية ولعل هدف" جمال باشا "من هذا الإجراء كان إخلاء المنطقة العربية منهم، في وقت كان قد أمر أيضاً بأن تكون مراسلات الجنود العرب مع ذويهم باللغة التركية وهذا الإجراء حرم العديد من الجنود العرب الذين لا يعرفون التركية من الاتصال بذويهم[3]، وفي الحملة على السويس كان "أحمد جمال باشا" قد مكر بالعرب وذلك أن جعل فصائلهم في المقدمة عرضة للرصاص ورداً للخطر عن الجنود الترك وكان أحمد جمال باشا في القدس، وما أن وصله هذا الخبر حيث أمر بتوزيع المناشير

---

[1] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 448

[2] أنطونيوس، جورج، **يقظة العرب**، 326

[3] صبري، بهجت، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1914-1920، 71** -72؛ الغوري، إميل **فلسطين**،39

للناس، وكذب هذا الادعاء وأن القصد من هذه الإشاعات التفريق بين العناصر العثمانية، وأكد أن الذي يجرؤ على ترويج هذه الشائعات سيعاقب بالإعدام [1].

تشكلت محكمة عسكرية خاصة انعقدت في عالية لبنان ، وقدم المقبوض عليهم أمام المحاكمة وقضت المحكمة بعد محاكمات بإعدام بعضهم الآخر، وفي 6أيار عام 1915م شنق واحد وعشرون من أركان الحربية، سبعة منهم شنقوا في دمشق، وأربعة عشر شنقوا في بيروت وفي 21 آب عام 1915م علق على أعواد المشانق في بيروت أحد عشر زعيماً عربياً آخر وأبعد الكثير من الزعماء والشبان العرب إلى بر الأناضول والعاصمة العثمانية[2].

كون فلسطين بعامة والقدس بخاصة جزءاً من الحركة العربية، فقد كان لها نصيب من الأحقاد والتعذيب الذي مارسه" جمال باشا" لا يقل عن نصيب غيرها من الأقطار الشامية، ففي القدس قامت الدولة العثمانية بتشكيل ديوان عرفي مؤلف من مجلسين[3]: هيئة تحقيقية "اتهام""، ومحكمة عرفية اتخذت القدس مركزاً لهذا الديوان ببيت القسيس سايكس قبالة الكنيسة العربية[4]، فكان الجحيم يخيّم على هذه المحاكم، وكان أعضاؤها ضباطاً عسكريين تربوا على سفح الدماء[5]،وقاموا بإعدام عدد من الشبان منهم "علي النشاشيبي" من القدس، والشيخ "أحمد عارف الحسيني "من غزة وابنه" مصطفى أحمد عارف الحسيني" فبعد أن قبض الأتراك عليهما وهما يحاولان اختراق الحدود الجنوبية للوصول إلى القاهرة وتمهيداً للسفر إلى الحجاز، اقتادوهما إلى القدس حيث جرت المحاكمة الصورية ثم نفذوا حكم الإعدام بالأب الشيخ أولا فشنقوه في باب الخليل على مرأى من ولده، ثم اقتادوا ولده فوراً إلى سهل البقعة غربي مدينة القدس وأعدموه رمياً بالرصاص[6].

كان لسياسة" جمال باشا" والتي تمثلت بشنق المناضلين في مختلف الأحزاب السياسية، أو اعتقالهم في سجون الأتراك والمعتقلات العسكرية، وحتى سياسة النفي أن جعلت الساحة السياسية الفلسطينية خالية

---

[1] نخلة، رشيد، **المنفى**،204؛الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**،163/10

[2]الغوري، إميل، **فلسطين**،39؛ طوطح، خليل، البرغوثي، صالح، **تاريخ فلسطين**، 255؛ محافظة، علي، **الفكر السياسي في فلسطين**، 19

[3]س.ش، 411، 27رجب،1443هـ/30أيار 1916، 232

[4]**المقتبس**، ع11،18أيار 1916، 3

[5]طوطح، خليل، البرغوثي ،صالح ، **تاريخ فلسطين**،254

[6] العارف ، عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، 556، الحوت، بيان نويهض، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، 51؛الناصر، معتصم ، **الحياة السياسية العربية في القدس 1918-1934م**، 29

من أي تنظيم سياسي، وكذلك خالية من عدد من الشباب المؤهل لبناء التنظيمات السياسية فترة الحرب[1] .

3-سياسة الاتحاديين تجاه الحركة الصهيونية في القدس خلال الحرب

بعد قيام ثورة 1909م، وخلع السلطان عبد الحميد، ازداد النفوذ الصهيوني في أوساط السلطات العثمانية ليس في تركيا فحسب، وإنما في فلسطين أيضاً، وكان الصحفي الصهيوني "بن يهودا" قد تدخل لدى متصرف القدس لإلغاء المضايقات التي كانت مفروضة على قبول المهاجرين اليهود من أصل روسي أو روماني وقد نجحت مساعيه، حيث شغل المهاجرون الأحياء المميزة والراقية، وقد بلغ نفوذ اليهود بين أوساط الاتحاديين ما جعلهم يؤثرون على اتجاهات جمعية الاتحاد والترقي من الناحية الدولية[2].

كذلك تشكل في مدينة القدس مجلس بلدي مختلط، يعكس من حيث التمثيل تزايد عدد المهاجرين للقدس وتساهل السلطات المحلية تجاه الهجرة اليهودية، فقد تشكل المجلس البلدي لمدينة القدس من عشرة أعضاء ستة مسلمين، ومسيحيين اثنين، أحدهما من الكاثوليك، والآخر من الأرثوذكس ويهوديين من الأشكناز[3] والسفارديم[4] ولقد بقي هذا التمثيل لمدينة القدس حتى عام 1917 م نهاية الحقبة العثمانية في فلسطين[5].

رغم التسهيلات التي منحها الاتحاديون لليهود في فلسطين ،إلى أنهم بقوا ينظرون إلى الهجرة اليهودية نظرة شك وريبة، وذلك لسببين اثنين: أولهما، مخافة أن يتحول اليهود إلى أداة غريبة تقوض سلطة الدولة على القدس وفلسطين، ثانيهما: أن من شأن إنشاء كيان صهيوني انفصالي في فلسطين يمكن

---

[1] الحوت، بيان نويهض، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين**، 79

[2] الحلاق، حسان، **موقف الدولة العثمانية من الأطماع الصهيونية1897-1909م**، 308

[3]الأشكناز: يهود شرق أوروبا (روسيا وبولندة)يتحدثون اليديشية، وكانت الكلمة تستخدم في بادئ الأمر للإشارة للبلد والشعب الموجودين على حدود أرمينيا في أعالي الفرات، لكنها في العصور الوسطى أصبحت تشير إلى الأراضي الأوروبية التي يسكنها الجنس الجرماني، ثم أصبحت تشير إلى ألمانيا ولم يستقر الأشكناز في ألمانيا فحسب، فقد هاجر بعضهم إلى شرق أوروبا في القرنين الخامس والسادس عشر، المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة المفاهيم والمصطلحات**،76/2

[4] اليهود الشرقيون وتعود أصولهم الأولى ليهود إسبانيا والبرتغال، الذين طردوا منها في القرن الخامس عشر وتفرقوا في شمال إفريقيا، وآسيا الصغرى، والشام، الكيالي، عبد الوهاب، وآخرون، **موسوعة السياسة**، 204/3

[5]L.KOllek,Teddy:**Jerusalem**,p.74

أن يشجع شعوباً أخرى في المنطقة العربية للانفصال عن الدولة العثمانية، وهذا بدوره ينعكس سلباً على الدولة العثمانية، لذلك أعطيت الدوائر الأمنية العثمانية المختلفة تعليمات واضحة بالاستمرار في مراقبة التحركات الصهيونية[1] إلى أن عصفت الحرب العالمية الأولى1914م، فنشط اليهود واستغلوا الظروف العالمية وانتزعوا تصريح وعد بلفور1917م.[2]

أعداد اليهود في القدس حتى عام 1914م

تبالغ التقارير الصهيونية في تقدير أعداد اليهود القاطنين في القدس، فآرثر روبن(Arthur Ruppin) الأب الروحي للاستيطان الزراعي ومدير الدائرة في المنظمة الصهيونية، فكان الأعلى أرقاماً في تقاريره التي وجهها للمؤتمرات الصهيونية واجتماعات المنظمة الصهيونية أن عدد اليهود قد زاد في القدس بين السنوات 1880–1904م من 34,000إلى 60,000، ويذهب روبين إلى أن عدد اليهود في سنة 1914م قد بلغ 85,000ألفاً [3]، أما الباحث الكزاندر شولش فقد أعد إحصائية اعتماداً على السجلات العثمانية الرسمية حيث تعطي أرقاماً أقل بكثير من التي ذكرها روبين، حيث قدرت سكان القدس طبقاً لما لديها من إحصائيات رسمية كالتالي[4]:

السنة	مسلمون	مسيحيون	يهود	العدد الكلي
1884	54,364	19,590	7,105	81,059
1914	70,270	32,641	18,190	101,121

[1]Gomy, Yousef: **Zionism and Arabs**,p.15

[2]**الدفاع**، ع 8650، 12–7–1964، 3

[3] أبو عليان، عزمي، **القدس بين الاحتلال والتحرير عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة** 3000ق.م–1967م،230؛صالحية، محمد، **مدينة القدس** ،44؛ ربابعة، غازي، **تاريخ القدس السياسي**، 155

[4] صالحية، محمد، **مدينة القدس** ،46

من الواضح أن اليهود قد لجأوا إلى لعبة الأرقام للتمويه، والتضليل، من خلال الهجرة السرية وغير الشرعية وعدم إعطاء أرقام صحيحة ، بل لتضع القارئ في حالة من الإرباك دون الوصول إلى نتائج موثوقة، وهي معروفة في السياسات الصهيونية القائمة على تزوير الحقائق بهدف تحقيق برنامجها لهذا فإن الإحصائيات العثمانية هي التي يمكن الوثوق بها، إذ تسجل كافة رعايا الدولة العثمانية بما فيهم تساهل الموقف العثماني مع الصهاينة في أواخر حكم الاتحاديين.

كشفت إحدى الوثائق العثمانية التي صدرت في عهد الاتحاديين عن صدور إرادة سامية من الباب العالي بتشكيل بنك عقاري في القدس، بالإضافة إلى شركتين باسم مبعوث القدس السابق، "سعيد الحسيني"، ورئيس غرفة التجارة الحاج "يوسف أفندي وفا"، ووكيل الإليانس أو الاتحاد الإسرائيلي العالمي (Alliance Israeal Universal)[1] السابق المسيو "ألبرت" وكبير معاصر الزيتون عيون قارة كلاسكون، ومدير جمعية الاستعمار اليهودي، الدكتور"روبرت"، ورئيس مستوطنة تل أبيب "المسيو دزنقوف"، وقد أنيط بهاتين الشركتين متابعة الأمور الزراعية والصناعية والعقارية في فلسطين[2].

استمر الاتحاديون في تبني إجراءات التساهل والليونة، وإزالة العراقيل والقوانين التي تحد من الأنشطة الاستيطانية الصهيونية، حتى وصل الأمر إلى تهديد الأماكن المقدسة ففي عام 1910م،إذ سمح شيخ الحرم للجنة التنقيب عن الآثار الإنجليزية بالحفر ليلاً تحت قبة الصخرة المشرفة وساحات المسجد الأقصى، وقد افتضح الأمر، واندلعت المظاهرات التي طالبت بالتحقيق مع ذلك الشيخ المرتشي، وفي حادثة أخرى دخلت مجموعة من الصهاينة، عددها 14 فرداً، من رجال ونساء إلى المسجد الأقصى وقامت بتناول الطعام في إحدى غرف المسجد ،وتراكضوا وهم يصيحون ويضحكون وبعد التحقيق تبين أن قيّم المسجد كان برفقتهم[3]، وبعد تردد طويل أصدرت الحكومة العثمانية قراراً بإلغاء التذكرة الحمراء في آذار مارس 1914م، التي كانت مفروضة على اليهود الأجانب منذ زمن السلطان عبد الحميد، وقد أرسل "طلعت بيك "وزير الداخلية تلغرافاً على السلطات المحلية في القدس وسورية، مبلغاً إياهم ذلك القرار، وقد أكد وكيل القنصل البريطاني في يافا في 27اكتوبر(تشرين أول)1913م خبر القرار، ويعود ذلك إلى النفوذ الصهيوني في الدوائر العليا، أما السفير البريطاني في اسطنبول "مالت" فقال:

---

[1] أسس عام 1870م،إليانس إسرائيلي في بريطانيا عرف باسم (Anglo–Jewish–Association)وهو على نسق الإليانس الإسرائيلي العالمي ويهدف على تطوير اليهود ثقافياً واجتماعياً في البلاد المحرومة والمتخلفة اقتصادياً والتي يتواجد فيها اليهود وفي عام 1873م،أسس الإليانس الألماني وفي تلك السنة اشترى بعض يهود القدس مساحة من الأرض، وأقاموا عليها مستوطنة بتاح تكفا أي بوابة الأمل، الحلاق، حسان، **موقف الدولة العثمانية**، 80

[2] قناة الجزيرة، **أرشيفهم وتاريخنا**، ،ج3

[3] الشناق، محمود، **العلاقات بين العرب واليهود**، 173-174

"إن الصهيونيين قد حصلوا بذلك على الغاية التي كانوا يجاهدون من أجلها يعني بذلك –الهجرة غير المحددة لليهود إلى فلسطين– وتوقع أن يبدأ تدفق كبير من اليهود، وكان مالت يقدر تلك الآمال التي تراود الصهيونيين، بأن يصبحوا في يوم غالبية السكان، وأن يكون لهم حاكم يهودي في القدس، ون تعترف السلطات العثمانية بالعبرية كلغة رسمية[1].

كان سبب التساهل من قبل لجنة الاتحاد والترقي مع الحركة الصهيونية حاجتها الماسة إلى الأموال لتدعيم خزينتها بعد حروبها في البلقان، لذلك كانت تطمع بالأموال الصهيونية فجرت مفاوضات سرية لبيع الأراضي الأميرية في فلسطين[2]، فتسارعت عمليات بيع الأراضي في عهد الاتحاديين بشكل كبير حتى قبل صدور الأوامر الرسمية بالتساهل تجاه الهجرة، وكان قد تقرر توحيد تل أبيب مع الضواحي الجديدة لتشكيل مدينة يهودية كبيرة، كما تم شراء مساحات كبيرة من الأراضي بجوار القدس تقدر ب4800دونممن قبل شركة تطوير أراضي فلسطين[3]، تمهيداً للتوسع في بناء الأحياء الاستيطانية وتمكن الصندوق القومي اليهود ي[4] ، من شراء أراض بجوار القدس ويافا تتجاوز قيمتها 2,950,500فرنك فرنسي، وقامت صحيفة "ذي تروق البريطانية" تحث أصدقاءها البريطانيين الذين ينوون الحصول على ملكية حول القدس أو داخلها للإسراع قبل أن يصلوا متأخرين"[5].

والجدير بالذكر أن معظم قيادات الاتحاد والترقي السياسية والعسكرية كانت من اليهود، أو من حملة آرائهم والمنفذين لمخططاتهم، ويذكر العسكري إحسان الترجمان بهذا الصدد أنه في إثناء الحرب العالمية الأولى تزوج "جمال باشا" قائد الجيش الرابع من مومس(جاسوسة) يهودية من القدس هي الآنسة ليئا تاننباوم المشهورة بجمالها كدليل على محاباته اليهودية، وقد نشطت في جمعية الهلال

---

[1] قاسمية، خيرية، **النشاط الصهيوني في المشرق العربي**،201

[2] عوض، عبد العزيز، **الأطماع الصهيونية في القدس**، الموسوعة الفلسطينية، مج6، 851

[3] شركة تطوير أراضي فلسطين، أسست عام 1908 م من قبل "آرثر روبن" وهو يهودي ألماني، ويوصف بالأب الروحي للاستيطان الزراعي في فلسطين، وقد شكلت الشركة جزءاً مهماً من المنظمة الصهيونية وقد تركز عملها في شراء الأراضي وجعلها مكاناً مناسباً للاستيطان الصهيوني، واستخدمت الشركة أموال الصندوق القومي في عمليات شراء الأراضي، M.Sacha ,Howard: **AHistoryof Israeal**,p.7

[4] الصندوق القومي اليهودي : يعد الصندوق المركزي للحركة الصهيونية، وقد تخصص في تمويل شراء الأراضي وإعداده اللاستيطان وزرع الغابات فيها"، وأسس هذا الصندوق بمبادرة صاحب الفكرة" تسفي هرمان شابيرا" وبموجب قرار المؤتمر الصهيوني الخامس في بال 1901م،وتركز عمل الصندوق في ثلاث نقاط رئيسة، أولها= =التمويل الواسع لعمليات شراء الأراضي في فلسطين، وثانيهما تطوير واستصلاح هذه الأراضي تمهيدا لإقامة المستوطنات الزراعية اليهودية، وثالثهما، بناء بنية تحتية يهودية مستقلة في الأراضي التي تم شراؤها، تلمي أفرايم، ومناحيم، **معجم المصطلحات الصهيونية**، 420

[5] عوض، عبد العزيز، **الأطماع الصهيونية في القدس**، الموسوعة الفلسطينية، مج 6،205

الأحمر المساند للمجهود الحربي العثماني [1]، لكن الموسيقي "واصف جوهرية ذكر بمذكراته" أنه لم يتزوجها بل كانت عشيقة له، فهي تزوجت بعد الحرب من المحامي المقدسي ميشال آبيكاروس وعاشت معه في بيت سماه على أسمها وهو فيلا "ليا" [2].

ترى الباحثة أن بناء الأحياء الاستيطانية وتجارة العقارات والأراضي في القدس قد ازدادت وانتعشت بشكل ملحوظ في فترة حكم الاتحاديين أكثر من غيرها ،وأن اليهود نالوا امتيازات لم يكونوا يحلمون بها بفضل العلاقات الحميمة مع قيادات الاتحاد والترقي الحاكمة، حتى سمي عصر الاتحاديين العصر الذهبي للاستيطان اليهودي في القدس وفلسطين، وذلك مرده إلى الثورة التي أطاحت بالسلطان عبد الحميد، وإلى تعاظم دورهم في الدوائر العليا العثمانية، وهذا بدوره انعكس إيجاباً على أعداد المهاجرين اليهود، والتي تزايدت بشكل كبير وعلى عمليات بيع وتسجيل الأراضي، وإنشاء الأحياء الاستيطانية الصهيونية في مدينة القدس.

خلال الحرب تغير موقف الاتحاد والترقي اتجاه اليهود، ودخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا وبدأت الملاحقات للصهيونيين، خصوصاً من قبل "جمال باشا" حيث كانت الشكوك والمخاوف تراود السلطة العثمانية ورجالاتها من اليشوف[3]، وعندما قامت الدولة العثمانية في9 أيلول سبتمبر 1914م بإلغاء قانون الامتيازات الأجنبية، أثر ذلك على أوضاع المجتمع اليهودي والمستعمرات الصهيونية بحكم أنها كانت تعيش تحت مظلة الحماية الأجنبية، روسية كانت أو بريطانية، أو فرنسية، أو أمريكية وبموجب ذلك سقطت عنها هذه الحماية وأصبحت مؤسساتها في عداد رعايا العدو[4]، فاقترح بن غوريون على "بيتسحاك بن تسفي" محاولة إقامة وحدة عسكرية صهيونية لحماية القدس، ووافق الحاكم العسكري التركي في القدس "زكي بيك" على اقتراحهما رغم اشتراطهما أن تكون تلك الوحدة من المتطوعين المحليين، ولا ترسل إلى أي مكان آخر للحرب، بل تبقى بصفتها ميليشيا عملية في القدس[5] وذلك مقابل وعد من ألمانيا باستعمار صهيوني لفلسطين بعد الحرب، غير أن ذلك الوعد لم يعط قط [6].

---

[1] تماري، سليم، **عام الجراد والحرب العظمى** ، 47

[2] جوهرية، واصف، **المذكرات العثمانية**، 201؛ تماري، سليم، **عام الجراد**، 221

[3] Marx, Alexander : **History of the Jewish people**, P. 726 Normanl, Zucker: **The Coming Crisis in Israel**, P.23

[4] صبرت، بهجت، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها من 1914-1920**، 77

[5] أبو حلبية، حسن، **تاريخ الأحزاب العمالية الصهيونية**،81

[6] الحوت، بيان نويهض، **القضية ، الشعب، الحضارة**، 460

وكرس" بن غوريون" "وبن تسفي" جهودهما لإنجاح الدفاع الشعبي، ولبى الدعوة مائة متطوع وبدأوا التدريب على السلاح لكن جمال باشا أمر بحل تلك الميليشيا، ثم أمر بطرد عدد من الصهاينة للإسكندرية في كانون أول ديسمبر عام 1914م،وكان معظم عناصر ميليشيا الدفاع الشعبي من حزب بوعالي تسيون، عمال صهيون، الذين وفدوا في الموجة الثانية01904-1914م من الهجرة الصهيونية على فلسطين[1]

في القدس دعا جمال باشا للاجتماع مع ممثلي الييشوف، وقد تركهم أياما على أعصابهم قبل أن يأذن لهم بالمقابلة ووجه لهم العديد من التهم منها: إقامة محاكم يهودية خاصة مستقلة عن المحاكم العثمانية، والتمسك بجنسياتهم الأجنبية، والتداول بالعملات الأجنبية والتخلي عن التعامل بالنقد العثماني المتداول وقد اتهم بنك أنجلو –فلسطين اليهودي بالترويج لهذه العملات، وقد سارع بإصدار أوامره بحظر الأوراق النقدية التي أصدرها البنك المذكور، استعمال رموز قومية يهودية العلم، والنشيد، وطوابع البريد، وسلب أراضٍ عربية وتحويلها لملكية يهودية، والاستهتار بسلطة الدولة العثمانية ومؤسساتها وكذلك إقامة مؤسسات حكم ذاتي وسلطات تنفيذية مستقلة، ومحاولة اقتطاع فلسطين وبترها عن جسم الدولة، وقبل أن يفض الاجتماع أصدر أوامره[2]، بحظر استعمال اللغات الأجنبية في المراسلات (معظم اليهود كانوا يتراسلون بالإيديش[3]) وقصر المراسلات على اللغة التركية، وحظر انتقال الأراضي من ملكية عربية لملكية يهودية، ووجوب التدريس باللغة التركية في المدارس اليهودية، وهذه التعديلات لم تكن ذا تأثير كبير لأن اللغة التركية لم تكن في المدارس اليهودية، فقد درست اللغة التركية في مدرسة التلمود للسفارديم في القدس، وحظر رفع العلم اليهودي والشعارات والرموز القومية اليهودية، وحظر أي نشاط عسكري أو شبه عسكري يهودي، وحل جميع الشركات بما فيها الدينية غير المسجلة بموجب قانون الشركات العثماني وحظر حمل السلاح واستعماله وتسليم أسلحة الييشوف للسلطات، ثم انتهى الاجتماع بالإعراب عن نيته تسفير بعض الزعماء اليهود للعاصمة اسطنبول للمثول أمام المحكمة العسكرية وأبلغ الحاضرين بنفي 15من مجموع 32 منهم إلى مدينة طبريا لمدة 11 يوما، وفي 17تشرين أول1914م أصدر أمراً حكومياً بطرد اليهود من رعايا الدول الأجنبية التي

---

[1] المحجوبي، علي، **جذور الاستعمار الصهيوني**،48

[2] الفاهوم ، زهير ، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**،490

[3] اليديشية: هي في الحقيقة ليست لغة وتسمى ذلك تجاوزا، فهي لهجة ألمانية تكتب بحروف عبرية وهي لغة اليهود الأشكناز في شرق أوروبا منذ العصور الوسطى، وظهرت اليديشية في الفترة الواقعة بين عامي = =1000-1350م،حيث تبنى أعضاء الجماعة اليهودية الألمانية آنذاك لغة الشعب الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيه، لكنهم في الوقت نفسه كانوا بحاجة إلى مصطلح خاص بهم للتعبير عن نمط حياتهم الخاصة كجماعة وظيفية يهودية**www.jewishvirtual library.org.History-yaddish**

هي في حالة حرب مع الدولة، وقد بلغ عدد المطرودين 7000نسمة وقد تطوعت الولايات المتحدة الأمريكية بتسهيل عملية النقل فأرسلت السفينة الحربية تنسي" وشرعت بنقل اليهود من يافا إلى الإسكندرية[1]، وفي أواخر 1915م بلغ مجموع اليهود المطرودين 12300نسمة،بعد ذلك قام جمال باشا بمطاردة زعماء الحركة ورموزها، وقد تحدث السكاكيني في كانون الثاني عام 1915 "أصدر جمال باشا إعلانا يهدد فيه الصهيونيين وطوابع البريد التي يتعاطونها في مدة 15 يوماً فمن وجد معه شيء من ذلك يعدم رمياً بالرصاص، وكذلك يأمرهم بإلغاء حراسهم، ومحافظيهم، وجمعياتهم[2]، وجاء بيان الحكومة في ذلك الصادر في 25 كانون الثاني 1915م أن الحكومة فعلت ذلك بناء على ما لديها من معلومات تثبت أن بعض العناصر تتآمر باسم الصهيونية لإقامة مملكة يهودية في فلسطين[3]،ونتيجة لذلك صدرت أوامر باعتقال أبرز الزعماء "إسرائيل شوحط"، "ودافيد بن غوريون"، "وإسحق بن تسفي" –شارك في تأسيس منظمة الحارس هاشومير –وغيرهم[4]، ثم أصدر أوامره بنفي الآخرين، واضطر آلاف الصهاينة إلى مغادرة فلسطين تحت ضغط الأتراك وخلال الحرب العالمية الأولى انخفض عدد الصهاينة في فلسطين بشكل كبير ووصل عام 1917 م إلى 20 ألفاً[5].

إن هذه الأوامر التي صدرت من جمال باشا اتجاه اليهود كانت من ضمن الإجراءات التي اتخذتها الدولة خلال الحرب ، وأن جمعية الاتحاد والترقي كانت تنظر بشك وريبة للأهداف الصهيونية ،ومراقبة كافة أعمالها ، خوفاً من أي خرق قد يهدد الدولة العثمانية.

وأدى قيام تلك الحرب إلى انقسام المنظمة الصهيونية إلى مجموعتين رئيسيتين الأولى: مؤيدة لألمانيا ودول الوسط [6] ،بينما الأخرى وكان يتزعمها "حاييم وايزمن"(Chaim Weizma) أحد الزعماء الأوائل

---

[1] **البشير** 387-84 /8 تشرين الثاني 1914ص3

[2] **نفسه**، 3-4

[3] العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، 547؛ أبو عليان، عزمي، **القدس بين الاحتلال والتحرر**،230

[4]**Encyclopedia of Zionism and Israel** ,Vol2, P.1031

[5]ربابعة، غازي، **تاريخ القدس السياسي**، 155

[6]أوتو واربورغ، وارثور هنتكه، وريخارد ليختهايم، وهؤلاء زعماء صهاينة ولدوا في ألمانيا ، وكانوا من أعضاء الحركة الصهيونية، وكان لهم دور بارز في وقوف الصهيونية إلى جانب تركيا وألمانيا في الحرب ،تلمي، أفرايم ومناحيم **معجم المصطلحات الصهيونية**،138-185

للحركة الصهيونية خلال الفترة التي تلت هرتزل (Theodor Hertzel)[1]الذي يعد المؤسس للمنظمة الصهيونية الموقف المؤيد لبريطانيا ودول الحلفاء[2] .

شعر "البيشوف الصهيوني"[3] مع نشوب الحرب العالمية الأولى عام1914م بمشكلة التجنيد الإلزامي حيث طالبت السلطات العثمانية "البيشوف الصهيوني" بالمساهمة في المجهود الحربي من خلال تزويد الفرقة الرابعة التركية، وأبدت استعدادها للانخراط في المجهود الحربي إذ قدم اليهود ما فرض عليهم من ضريبة الحرب بالإضافة إلى ضرائب العادية، وقدموا العربات، والدواب، والأسلاك الشائكة وخطوط الأنابيب واستدعي للجندية من هم في سن 21-40، ثم استدعي فيما بعد من هم في سن 18-50وشاركوا أيضاً في الأعمال الجماعية كشق الطرق أو بناء السكك الحديدية[4].

دعت تركيا الصهاينة للتعبئة العامة لمرة واحدة، وذلك من خلال التجنيد في الجيش كعثمانيين وكانت الخدمة غير سارة عند الصهاينة في الجيش التركي تحت أي ظرف من الظروف، ودخل فقط عدد قليل من الصهاينة الجيش والمدارس العسكرية العثمانية[5] .

فكانت الخدمة في الجيش التركي مصير أبناء الصهاينة في الدول التي شاركت مع تركيا في الحرب وكانت تلك الخدمة بالنسبة لكل صهيوني عامل شر يجب الابتعاد عنه.

ووصف "مئير ديزنغوف"(Meir Dizengoff)_أكبر عامل في مجال الاستيطان وأول رئيس بلدية في تل أبيب[6]_، بقول: "الجيش التركي هو مجرد قطيع ذاهب إلى المذبحة، وكل من دخل فيه انجر دون رغبة منه أو ارتباط أو التزام لأرض أو لشعب"[7].

---

[1]تلمي، أفرايم ومناحيم **معجم المصطلحات الصهيونية**،170-171.

Encyclopedia of Zionism and Israel ,vol1,p2

[2] محمود، أمين، **مشاريع الاستيطان**،187؛ المحجوبي، علي، **جذور الاستعمار الصهيوني**،48

[3]البيشوف، كلمة عبرية تعني التوطن أو السكن، وهي تشير إلى الجماعات التي تستوطن فلسطين لأغراض دينية واستخدمت الكتابات الصهيونية كلمة البيشوف، لتوحي بأن ثمة استمراراً يهودياً عبر التاريخ، وأن الوجود اليهودي في فلسطين كان مستمراً ومتواصلاً ويتألف البيشوف من ثلاثة عناصر هم اليهود الأصليين الذين لم يغادروا الأرض والسفارديم والأشكناز، وكان تركيز البيشوف بشكل أساسي في القدس وصفد والخليل، المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**،208/2

[4]Marx, Alexander : **History of the Jewish people**,P.726.

[5]Halpern, Ben: **Zionism and the creation**, P.174

[6]تلمي، أفرايم، ومناحيم **معجم المصطلحات الصهيونية**،106

[7] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 480

ساد جدال وخلاف بين طلاب مدرسة هرتسيليا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى حول التعثمن والانضمام للجيش التركي، وأيد جزء من المجموعة اليافاوية الانضمام للجيش الترك يلكن مجموعات أخرى رفضت الأمر[1].

وفي تلك الفترة نادت الصحف الصهيونية الصادرة عن الاستيطان الصهيوني في فلسطين بالتحريض للتعثمن[2]، وساد اعتقاد داخل الاستيطان الصهيوني في فلسطين فترة الحرب العالمية الأولى، أنه ومن أجل الخروج بسلام من الحرب، يجب أن يبدي الاستيطان درجة من الإخلاص وأن لا يظهر العداء لتركيا وبذلك ستعترف تركيا بوجودهم في فلسطين، وكان معظم الصهاينة الذين كانوا في فلسطين مع التطوع في الجيش التركي، وقد تم طرد كل الرافضين لذلك من فلسطين[3].

شملت ظاهرة التعثمن في القدس أطراً كثيرة غير الصهيونيين الروس في الاستيطان، فمنهم من أراد التظاهر بالولاء لتركيا خوفاً على مصير الاستيطان، أو على أمل أن تقدم لهم تركيا الحق في الاستقلال أو الحكم الذاتي فيها، وقررت لجنة التعثمن في القدس إنشاء منظمة للدفاع الشعبي تنضم من خلالها إلى خدمة الجيش التركي[4]، ونادت لجنة التعثمن في القدس بالتدريب والانضمام للجيش التركي، وجاءت فكرة التطوع للجيش التركي من بعض قياديي حزب عمال صهيون "بوعالي تسيون"(Poalei Zion)" "ومنظمة الحارس"[5]بهدف تأسيس ميلشيا تبقى في فلسطين وتستخدم للدفاع وكان صاحب الفكرة "إسرائيل شوحط"(Israel Shochat)مؤسس منظمة الحارس (هاشومير)[6]" كما ظهرت فئة أخرى من المتطوعين كان التجنيد بالنسبة لهم هو تحقيق الذات، والحصول على شهرة من خلال الحياة العسكرية؛ لأن نظرة التجمع الصهيوني آنذاك للضباط كانت نظرة احترام[7].

ويبدو أن الصهاينة حاولوا استغلال الحرب لتحقيق هدف سياسي، هو الحصول على بند من أهم بنود برنامج بال عام 1897م وهو الحصول على براءة دولية للاستيطان الصهيوني في فلسطين

---

[1] المحجوبي، علي، **جذور الاستعمار الصهيوني**،50

[2] الفاهوم، زهير ، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**،481

[3]**نفسه**،482

[4]بن أريه، يهوشع وآخرون، **موسوعة الفترات الكبرى بالعبرية4 في تاريخ ارض إسرائيل** /36

[5] منظمة الحارس، أسست عام 1909ويعد "يسرائيل شوحط" ورفاقه "بن تسفي"، "ويسرائيل جلعادي"، "والكسندر زايد" من أهم مؤسسي المنظمة وكان من أهم واجباتها تولي مسؤولية الأمن في المستوطنات، المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية**، 140/7

[6]إلياب، مردخاي، **في الحصار والضائقة أرض إسرائيل في الحرب العالمية الأولى**، (بالعبرية)،97؛ بن أريه يهوشع وآخرون، **موسوعة الفترات الكبرى** (بالعبرية)41/4-42

[7]إلياب، مردخاي، **في الحصار والضائقة**، (بالعبرية)،99

فقد اقترح الصهاينة على الحكومة التركية إنشاء فرقة من اليهود البولونيين تحارب مع الأتراك لحماية فلسطين، تتألف من عشرة آلاف يهودي؛ وذلك في مقابل وعد من ألمانيا باستعمار صهيوني لفلسطين بعد الحرب، غير أن ذلك الوعد لم يعطَ قط[1].

وجدت قيادة الاستيطان نفسها منقسمة بالنسبة للتطوع في الجيش التركي، والولاء للدولة العثمانية فقد كانت قيادة الاستيطان بين مطرقة التعبير عن الولاء، وسندان الرغبة في التخلص من الحكم العثماني هكذا عبر "إسرائيل شوحط" في إحدى مقالاته قائلاً على الرغم من شكوكنا المستقبلية في سلطة تركيا على فلسطين فنحن سنشارك ونتعاون مع الدولة العثمانية من أجل أن نؤمن لأنفسنا موقفاً في الحياة السياسية والتربوية[2].

تجند عدد من مستوطني "زخرون يعقوب" والتي أقيمت على أراضي القرية العربية زمارين[3] (جنوب جبل الكرمل)، ومن طلبة المدارس الثانوية، وطلبة المعهد الرياضي هرتسيليا في تل أبيب ومعهد المعلمين في القدس، وتلقوا تدريبات في الجيش التركي، لكنهم كانوا في الوحدات العربية وعملوا في مجال تقديم الخدمات وليس في حمل السلاح [4].

كانت التجربة الحقيقية الأولى للتطوع والتجنيد للجيش التركي من المستوطنين الصهاينة في فلسطين حيث تطوع أعضاء الجدعونيم في آب أغسطس1914 م للجيش التركي، فحاول "الجدعونيم[5]" إثبات ولائهم قبل دخول تركيا الحرب؛ وذلك من خلال انصياع أكثر من ثلاثة وخمسين شخصاً منهم تحت إمرة "ألكسندر أهرونسون"(Alexander Aharonson)[6] للتجنيد في صفوف الجيش التركي وذلك

---

[1] الحوت، بيان نويهض، **القضية ، الشعب، الحضارة**، 461

[2]إلياب، مردخاي، **في الحصار والضائقة**، (بالعبرية)،101

[3] شكري، عراف، **المواقع الجغرافية**،446

[4]بن أريه، يهوشع وآخرون **موسوعة الفترات الكبرى بالعبرية**41/4

[5]الجدعونيم وهي من المنظمات الصهيونية التي كانت قائمة عام 1913م ،وتم حلها بسبب تجنيد أعضائها في الجيش التركي في بداية الحرب العالمية الأولى، لكنهم لم يصمدوا في التجربة فقد واجهوا معاناة وقلة عتاد خلال وجودهم= =في الجيش فانسحب معظمهم قبل دخول تركيا الحرب، وقد أدى ذلك على تغيير وجهة نظرهم وأحدث تطرفاً في مواقف الجدعونيم تجاه تركيا فترة الحرب ، ونتيجة لردة الفعل وكره الجدعونيم لتركيا انضم عدد منهم لمنظمة نيلي الاستخباراتية، عام 1917م وعندما تشعبت أعمال المنظمة وأصبح هناك حاجة لعدد كبير من العملاء، حاولت نيللي تجنيد كل أعضاء جدعونيم لخدماتها، وتمكن بذلك أعضاء جدعونيم من تقديم خدمات لمنظمة نيلي الاستخباراتية وقامت بخدمة القوات البريطانية تلمي، أفرايم، ومناحيم، **معجم المصطلحات الصهيونية**، 90

[6] ولد في مستوطنة زخرون يعقوب 1888م، وتعلم في مدرسة زخرون يعقوب، وأنهى تعليمه الأساسي في سن الثانية عشر، وكان يعمل في صباه بكروم اللوز والعنب التي كانت تابعة للبارون روتشيلد.

حسب رأي أهرونسون، لإثبات أن الصهاينة مخلصين للحكومة العثمانية، وأنهم سيتطوعون للتجنيد لإثبات ولائهم لها وأن ذلك الأمر سيجعل تركيا تحترم حق الصهاينة في أرض فلسطين[1].

في عام 1916م، تم تجنيد عدد من أعضاء المجموعة اليافاوية[2] للجيش التركي، ثم انسحب جزء منهم بينما استمر آخرون في الجيش، واستطاعوا من خلال مشاركتهم مساعدة باقي أعضاء المجموعة في امتلاك السلاح، وانضم لتلك المليشيات المئات من المتطوعين من كل أنحاء فلسطين ولكن بعد رؤية المعاملة واجهوا معاناة، وسخرية، وقلة عتاد خلال وجودهم في الجيش التركية لليهود في الحرب، بدأت بتغيير موقفها، فهرب جزء منهم من الخدمة، وحصل الجزء الآخر على تسريح من الخدمة ،وانضم عدد كبير منهم للخدمة في الجيش البريطاني .

انسحاب المجموعة اليافاوية اليهودية من الجيش التركي وانضمام جزء منهم إلى الجيش البريطاني وإن كان السبب هو سوء معاملة الأتراك لليهود ،إلا أن السبب الذي ترجحه الباحثة أن هذا عملاً مخططاً له مع بريطانيا ليؤثر على معنويات الجيش التركي وتحقيق مكاسب من بريطانيا. إن المواقف المتناقضة لليهود حول أي فريق ينضموا إليه خلال الحرب ينسجم مع الموقف الصهيوني العام الذي حاول تقسيم ولاءات اليهود ،للبحث عن براءة دولية لتحقيق حلمهم على أرض فلسطين فهم ينضمون لحزب يستطيع أن يعطيهم آمالهم بغض النظر أي من المعسكرين.

وحتى ينجح اليهود في تحقيق مآربهم ،بالتعاون مع بريطانيا ،قامت باستخدام الجواسيس الذين تعاونوا مع السلطات العثمانية وكأنهم أتوا لخدمة العثمانيين في المجهود الحربي ،والحقيقة أنهم علموا بذكاء كل كبيرة وصغيرة دارت في عقول السلطات الحاكمة ، وأصحاب السلطة العثمانية منهم أهرون أهرونسون (1867–1919)مؤسس شبكة نيللي والذي عينه جمال باشا رئيساً لمكافحة الجراد الذي

---

www.tidhar.tourolib.org

[1]إلياب، مردخاي، **في الحصار والضائقة**، (بالعبرية)،102

[2]المجموعة اليافاوية:- سميت النواة وأراد أعضاء نيلي إنشاء علاقات مع أعضاء المجموعة اليافاوية، لجمع المعلومات من أجل شبكة التجسس لصالح بريطانيا، ووعدوهم بالمقابل بتأمين السلاح لهم، وحماية السكان الصهاينة في يافا إذا ما هاجمهم العرب والأتراك، وبعد تردد انضموا ، ونقل أعضاء المجموعة إلى مصر ،فاقتراح النقل تم في عام 1917م بعد اكتشاف أمر مجموعة نيلي من السلطات التركية، حيث إن أعضاء منظمة نيلي سيساعدونهم في الهرب من العقاب والمساءلة القانونية على أعمالهم مع منظمة نيلي، ولم تحرز أية إنجازات فقد ضعفت عند طرد الصهاينة من يافا ،وعند الاحتلال البريطاني لفلسطين تقرب جزء منهم لمنظمة هاشومير وانتهت بذلك المجموعة اليافاوبة ، بن أريه، يهوشع وآخرون **موسوعة الفترات الكبرى بالعبرية**41/4

غزا فلسطين والبلدان المجاورة خلال سني الحرب(1914-1918م) وكان "أهرون" وأخته "سارة أهرنسون "من المقربين "لجمال باشا" وقد عمل أهرون مديراً لمحطة التجارب الزراعية في (عتليت) بالقرب من حيفا[1] جمع أهرونسون حوله عدداً من الشباب وعلمهم على طرق مكافحة الجراد، وأرسلهم إلى أنحاء متعددة من فلسطين، ودخل هؤلاء الشباب مناطق كانت محظورة على المدنيين، وقد أعطت تلك الحملة العلمية لمكافحة الجراد أهرون وصفاً رسمياً وحرية تنقل في كل أنحاء فلسطين، وقد استغل أهرونسون هذا الوصف، إذ بدأ بجمع معلومات عسكرية عن المجهود الحربي التركي، وعن تحركات" جمال باشا "ومقر إقامته، وكانت هذه الحملة العلمية على تواصل مع الأسطول البريطاني المتواجد في البحر[2].

أقام أهرون أهرونسون تجمعاً عرف باسم" مجموعة أهرونسون" ، برز منها "أهرون أهرونسون" وأخوه "ألكسندر أهرونسون"،وأخته "سارة أهرونسون"، وصديقه "أبشالوم فينبرغ"[3]. تحول اسم المجموعة إلى نيلي فعلياً في عام 1917 م، وكلمة نيلي هي اختصار للجملة العبرية " "نيتساح يسرائيل لويشاكير" بمعني صديق إسرائيل لا يكذب، وذلك يعني" نصر إسرائيل مؤكد[4].كان من أبرز المهام التي تولاها أعضاء ذلك التنظيم السري القيام بجمع معلومات عسكرية عن الجيش التركي، وتحركاته، ومعسكراته، وجنوده في فلسطين وسورية، ونقلها إلى الجيش البريطاني، بهدف تقديم المساعدة والدعم لأعداء الدولة العثمانية، والمساهمة في تسهيل وصول الإنجليز إلى فلسطين، وأدرك مؤسسو نيلي أنه لا مستقبل للاستيطان الصهيوني في فلسطين إلا بنقل السلطة للإنجليز[5].
وقد بدأت مجموعة أهرون أهرونسون العمل في شهر تشرين الثاني عام1915، بعد إيجاد الاتصال لأول مرة بين عتليت ومكتب المخابرات البريطانية بالقاهرة وجمع المعلومات، فقد سافر أبشالوم فوراً إلى القدس ليجمع معلومات حول مصير الطيارين الفرنسيين اللذين وقعا في أسر الجيش التركي، بعد حدوث خلل في محرك الطائرة، واضطرارهما للهبوط في 29 تشرين أول أكتوبر 1915 م، في بئر السبع وتم القبض عليهم من قبل العرب، وقاموا بتسليمهم للجيش التركي[6]، وقد مكث أبشالوم في القدس13 – 17 تشرين ثاني للبحث عن معلومات عن أولئك الأسرى، وتعقب وضع الجيش التركي

---

[1] صبري، بهجت، فلسطين، 123

[2] مباشر، عبده، **جاسوسية وجواسيس**، 182

[3] **نفسه**، 182-183

[4] Herman, Carol: **Was the Spy Ring Avenged**?, P306

[5] مباشر، عبده، **جاسوسية وجواسيس**، 183

[6] ليفنا، أليعيزر، وآخرون، **تاريخ الشجاعة السياسية**(بالعبرية)،80

والأنشطة العسكرية هناك ولقد نزل في فندق" باست" الذي كان ينزل فيه الضباط الأتراك، وهناك التقى بالعديد منهم، وجمع المعلومات المهمة له، ووصف في تقريره لمكتب المخابرات البريطاني في القاهرة "استخدمت سمعي وبصري، ومكثت طويلاً بين الضباط الأتراك وتجولت معهم في المعسكرات والمستشفيات، والمخازن العسكرية، وعندي معلومات عسكرية مهمة جداً"[1] .

وفي إحدى الرسائل التي بعثها أبشالوم من القدس بتاريخ 22 تشرين ثانٍ نوفمبر 1915 م ذكر فيها تفاصيل مهمة عن القوات العسكرية التركية في القدس، فقد ذكر: "أن القدس هي المركز للكتيبة 27 والآن المدينة ومحيطها يتم حمايتها بواسطة الكتيبة 80[2]، وتحدث عن تعداد تلك القوة، وأن قوات المشاة مقسمون إلى كتيبتين، كل كتيبة تعد 180 رجلاً، وفي كل كتيبة هناك أكثر من 140 جندياً يحملون سلاحاً[3].

وأريد أن أقول: "إن القدس فيها 1000 جندي، فاعلم أن المرضى وقوة النقل وآخرين ضمن ذلك الرقم وقوة الفرسان وعددهم 33 خيالاً، وهم من الجيش المنظم، أما المدفعية فهي صفر، فالقدس ليس فيها أي مدفع ولا حتى قذيفة واحدة، وعن قوات المشاة والقوات الراكبة في كل سنجق القدس يوجد 300 شرطي مشاة منهم 100 راكبون، ومعظمهم مسلحون ببنادق من نوع (Gras) ومع كل واحد منهم ما بين 35-30 رصاصة، والآخرون يضعون سيوفاً معوجة (خناجر على الجنب)وذكر عن التسليح:"الجنود المشاة مسلحون ببنادق موزر التي يتم حشوها بخمس رصاصات، وكل جندي يحمل معه 50-60 رصاصة وبشكل عام هناك معلومات كاذبة عن الجنود الأتراك فإن الجنود الأتراك في وضع سيء للغاية، وذلك النقص يكملونه عبر أي شيء، حتى لباسهم يتغير لونه، ولم يبق لهم في فلسطين شيء ليصادروه، وألمانيا لم تقم بتغطية النقص"[4].

وفي تقرير لأبشالوم عن المستشفيات في فلسطين ذكر" : في البلاد يقومون بإعداد مستشفيات جديدة كل مرة يتم فرض ضرائب جديدة على السكان هنا، والمبالغ تصل إلى 1000ليرة تركية شهرياً، وذلك لشراء 5000سرير في القدس، و 3000 في الناصرة، وإن تلك الأَسرة ستكون للجنود الألمان الذين سيحاربون هنا[5].

تحدث أبشالوم عن حال القيادة الألمانية قائلاً" :الضباط الألمانيون غير متواجدين في فلسطين، وعندما كنت في القدس كان هناك ضابط ألماني واحد برتبة صغيرة، وذهب إلى غزة، وفي كل فلسطين لا يوجد ضابط برتبة كولونيل، والشخصيات المهمة من الضباط المتواجدين في القدس هم روشن بيك _برتبة

---

[1] ليفنا، أليعيزر، وآخرون، **تاريخ الشجاعة السياسية**(بالعبرية)،80-81

[2] أمير، أهرون :**رسائل ومكاتبات أبشالوم فينبرغ** (بالعبرية)، 244-245

[3] **نفسه** ،244-245

[4]**نفسه**، 251

[5] أمير، أهرون :**رسائل ومكاتبات أبشالوم فينبرغ** (بالعبرية)،250

مفتش في المقر الإداري للجيش العثماني الرابع في القدس، والمسؤول عن التعبئة والإنشاءات ومتابعة ملفات الجنود وإضباراتهم_ "وسعد الله بيك "سكرتير جمال باشا.

وفي تقرير آخر عن الخدمات العامة قال:"الآن يتم استغلال الجنود المرضى وكبار السن، لاستخدامهم في حفر الطرق، وبناء السكك الحديدية ذلك هو" طابور العمل" وكتيبة المعاقبين، ولقد علمت من أحد الضباط الأتراك أنه يعمل حوالي 8000 شخص في تلك الخدمات"[1]وكان في القدس أيضاً "نحوم فيليفوتش" ينقل إلى نيلي الخرائط ، والوثائق، والسجلات، وفي أحد تقاريره بتاريخ 13 آذار مارس 1917 م ذكر فيه: "حصلنا في القدس على خريطة المدينة، وفيها الأماكن المهمة كافة، وقريباً سنحصل على خرائط أخرى من أماكن مختلفة، والتي هي مهمة وضرورية جداً[2]"، وقدم تقارير مهمة تحتوى على التفاصيل العسكرية حول الجبهة التركية ، ومعطيات اقتصادية، وحتى وضع السكان المعنوي في فلسطين[3] .

ذكر أبشالوم في تقرير آخر" ليس هناك عمل، والمصادرات تسببت في الضرر للجميع، والأمراض زادت والموت تزايد في القدس، والسبب هو الجوع، وأنا متخوف لو استمر الوضع هكذا، ستجعل تركيا من فلسطين مقبرة كبيرة، وفي القرى الوضع أكثر خطورة؛ لأن محاصيل السنة الماضية أكلها الجراد والمراعي جفت، والطعام في تناقص، والحيوانات العاملة نفذت من فلسطين بسبب مصادرتها، حتى الرجال الأصحاء في القرية إما هربوا، أو تم إرسالهم للجيش، أولئك الناس لا يفكرون أبداً في التمرد والأتراك مستمرون في سياستهم لتمويل جيشهم الضعيف، وعندما أقصد تمويل الجيش فأنا أقصد أن المرضى من الجنود لا يتم إطعامهم، وأولئك يموتون من الجوع على أسرتهم[4]".

أسهمت المعلومات التي قدمتها نيلي لبريطانيا في تفجير مطار الرملة من الجو، وكذلك محاولة اغتيال "جمال باشا " في 26 تموز يوليو 1917 م، عندما تم قصف مكان سكنه على جبل الزيتون في القدس وفي تلك المحاولة تم إصابة جنديين، وإحداث ضرر كبير في المكان[5].

ومع تولي الجنرال اللنبي قيادة القوات البريطانية استعداداً لطرد القوات التركية من فلسطين كانت "نيللي" تزود باستمرار قسم المخابرات العسكرية البريطانية بالمعلومات عن الاستعدادات والمواقع العسكرية للجيش التركي [6].

---

[1] **نفسه**،247

[2] ليفنا، أليعيزر، وآخرون :**تاريخ الشجاعة** ، بالعبرية، ص262

[3] أمير، أهرون :**رسائل ومكاتبات أبشالوم فينبرغ** (بالعبرية) ،247 -248

[4] **نفسه**،251

[5] ليفنا، أليعيزر، وآخرون :**تاريخ الشجاعة السياسية**(بالعبرية) 263

[6] جريس، صبري، **تاريخ الصهيونية**، ج1 ،294

وقد استطاع أحد رجال نيللي ويدعى "نعمان بلكيند" تجنيد أحد الضباط الأتراك من مواليد ألبانيا واستطاع الحصول بواسطته على خريطة لمواقع الأتراك وقواتهم في غزة وبئر السبع، وكانت هذه الخرائط من الأسباب الرئيسية التي جعلت النصر في جانب الجيوش البريطانية في جنوب فلسطين[1].

كان "كامل البديري[2]" له اليد الطولى في القبض على الجواسيس اليهود المعروفين بالأخوة "نيلي" وعلى رأسهم أهرون وإعدامهم[3]،وعندما سقط نعمان بلكيند في يد السلطات التركية كشف أسماء منظمة نيلي وطليعتهم أهرونسون الذي كان موجوداً بالقاهرة، وبدأت مطاردة طويلة من السلطات التركية لأفراد الشبكة فاعتقلت بعضهم وفر البعض الآخر، ولم تستطع منظمة "هاشومير" الصهيونية تقديم المساعدة للرجل المتبقى من نيلي وهو ليشنسكي الذي تولى قيادة الشبكة بعد أهرونسون تخوفاً من أن تلحقها مطاردة السلطات التركية وعندما ألقي القبض على ليشنسكى ذكر في اعترافاته انتقاماً "أن نيلي وهاشومير تعملان معاً"[4] .

على هذا النحو،يبرز نشاط نيلي الترابط الوثيق بين مصالح الحركة الصهيونية والمصالح البريطانية بتقديمها معلومات هامة عن الاستعدادات والتحركات العسكرية لقوات الجيش التركي والألماني خلال الحرب، والتي أبرزت الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية التي تمر بها القدس، هذه المعلومات أسهمت بشكل كبير في تسهيل عمل بريطانيا، والكشف عن المخططات العثمانية في الحرب. لقد كان لمنظمة نيلي خصوصية عالية في تاريخ القوة العسكرية والأمنية، فقد كانت المنظمة الأولى التي عملت في مجال الاستخبارات العسكرية؛ لأجل أغراض وأهداف سياسية، وهي إنهاء حكم الأتراك في فلسطين ورغم أن تجربتها كانت قصيرة، إلا أنها كانت أساساً للعمل الأمني الصهيوني بعد ذلك.

ألتر ليفين

هو أساف هيلفي (1883-1933 م) هاجر إلى فلسطين مع عائلته من روسيا العام 1891م، وعمل وكيلاً لشركات تأمين عالية[5]، كان ليفين على علاقات متشعبة مع قنصل أمريكا، والقنصل الإسباني وغيرهما، هذه العلاقات المتنوعة مع قناصل الدول الأجنبية وزعماء الحركة الصهيونية، هو الذي دفع أحد رجال المخابرات الأتراك "عزيز بيك" إلى أن يذكر في مذكراته أن الجاسوس الأهم والأكبر الذي أفاد

---

[1] ليفنا، أليعيزر، وآخرون، **تاريخ الشجاعة السياسية** (بالعبرية)، 264

[2] أحد رجالات الحركة العربية في القدس ،عندما احتل الإنجليز فلسطين حاولوا استمالته ،وعرضوا عليه التعاون معهم في سلك الإدارة، لما رفض اعتقلوه، ونفوه إلى الزقاقيق في مصر، البديري، خليل،**ستة وستون عاما مع الحركة الوطنية الفلسطينية**، ، 11-12

[3] **نفسه**، ، 11

[4] ليفنا، أليعيزر، وآخرون :**تاريخ الشجاعة السياسية** (بالعبرية)، 264، 265؛ الفاهوم، زهير ،**فلسطين في أواخر العهد العثماني**،500-501

[5] عدوان، ممدوح، **أعدائي**، 14

الانجليز في الحرب العالمية الأولى، هو "ألتر ليفي" وليس شبكة الجاسوسية اليهودية المسماة نيلي بقيادة أهرونسون فاتهمته الحكومة العثمانية بالجاسوسية، إضافة إلى كونه مواطناً أمريكياً لم يسلم نفسه للسلطات بعد أن دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب إلى جانب دول الحلفاء[1].

تقرب ألتر من الدولة العثمانية التي كانت في طريقها إلى الزوال، ولبس لباس الضباط العثمانيين وعمل معهم، وكان لا يكل ولا يمل وهو يعمل ويسعى، وتقرب من العساكر ليقدموا له ما يريد من معلومات وحتى ينجح بمسعاه تقرب من الدولة ظاهرياً، وأبدى تعاطفاً معها وكان يتظاهر بأنه حريص عليها ولذلك ما أن بدأت الحرب العالمية الأولى حتى وجدناه، يتبرع بسخاء للعثمانيين ولجمال باشا، وفي لحظة حب مع امرأة يهودية يفصح لها عن تبرعاته، ومن تلك التبرعات: الأدوية الفاسدة لحملة السويس لكي يكسب ود جمال باشا وصداقته، ومواد للزراعة منتهية الصلاحية، وملابس نسائية، ويقول للمرأة اليهودية:" كم هم الأتراك أغبياء."[2]كان ألتر نموذج اليهودي الذكي أو المتذاكي الذي يحتقر الآخرين ويتعالى عليهم، ولذلك ينعت الأتراك بالغباء، وإلا لما مرر عليهم ما مرره، ولو كانوا أذكياء_ كما يقول_ لانتبهوا إلى المساعدات وفحصوها[3]. وحسب رأي "عزيز بيك" فإن "ألتر" الذي تنقل في مدن الشرق الرئيسية وفي القدس أقام فيها شبكة من بيوت الدعارة ،وكان يحصل عن طريق العاملات فيها على معلومات مخابراتية مهمة[4].

أما عن علاقة "ألتر" "بالسكاكيني" ،فقد أعلنت الدولة العثمانية عن ضرورة تسليم المواطنين الأمريكان أنفسهم خلال أربع وعشرين ساعة، ومن لا يسلم نفسه يعد جاسوساً، ومن خبأ أمريكياً عمداً أو بلا عمد يعد جاسوساً أيضاً، ولما طرق ليفين باب السكاكيني مستجيراً مستغيثاً قرر هذا إجارة صديقه رغم علمه خطورة عمله الذي قد يعرضه لحكم الإعدام، وفي 4 كانون أول ديسيمبر 1917 م أي قبل سقوط القدس بأيدي الإنجليز بأقل من أسبوع طرق باب السكاكيني "عارف بك" رئيس شرطة المدينة ومعه عجوز يهودية جاءت تدل على البيت الذي اختبأ فيه "ألتر" مما أدى بالاثنين معاً إلى دخول السجن، ثم إلى المنفى في دمشق. وكان ألتر قد قام بشنق نفسه قبل أن تقدم تركيا على ذلك[5] .

تبين لنا أن اليهود لعبوا دوراً كبيراً خلال الحرب، ألقوا جواسيسهم في كل مكان، واستخدموا النساء كمومسات ليمضوا أوقاتهم مع شخصيات مقدسية لمعرفة أخبار البلاد ليس ذلك فحسب، إنما أيضا جعلوا من بعض الشخصيات تتقرب من السلطة الحاكمة ،وكأنها مؤيدة للحكم التركي، لتتعرف إلى أوضاع البلاد وعن نقاط ضعف القوات العثمانية لتحقيق الحلم اليهودي في فلسطين والسيطرة على البلاد بمساعدة بريطانية"، وقد تسنى لهم ذلك.

---

[1] السكاكيني ، خليل ، **يوميات السكاكيني** ، 24

[2] عدوان، ممدوح، **أعدائي**، 15، 35

[3] **نفسه**، 36

[4] السكاكيني ، خليل، **يوميات السكاكيني** ، 15

[5] عدوان، ممدوح ،19

الفصل الثاني

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في القدس خلال الحرب العالمية الأولى (1914- 1918م)

أولاً:- الأوضاع الاجتماعية في القدس

1: أوضاع أهالي القدس خلال الحرب

تعد مدينة القدس مدينة تاريخية قديمة ذات مكانة دينية، أهّها لتكون أكثر المدن الفلسطينية ازدحاماً بالسكان، فبعد أن كان سكانها داخل سور القدس خلال الفترات السابقة بدأت منذ عام 1858 م في إقامة المباني السكنية في المناطق خارج السور، منها المباني التي أقامها الروس لاستقبال وفود الحجاج المتزايدة الأعداد، كما أقام الألمان منشآت عمرانية كمدرسة شنلر، وشيدت عدة بيوت صغيرة لاستيعاب المهاجرين اليهود، والذين زادت أعدادهم خلال موجات الهجرة التي بدأت عام 1882 م، وقد أدى ذلك إلى تفوق عدد اليهود في هذه المدينة دون غيرها من المدن الفلسطينية فبلغ عدد سكان القدس عام 1912م،90 ألف شكل اليهود ثلثي السكان، وبسبب أحداث الحرب العالمية تناقص عدد السكان في مدينة القدس إلى 48 ألفا فقط[1] .

تحدثنا في الفصل الأول عن أهم العائلات المتنفذة التي وجدت في القدس منها الحسيني، والعلمي والخالدي، والنشاشيبي، وجار الله، ونسيبة[2]، وأشرنا إلى عائلة الحسيني التي ملكت أهم منصبين في القدس: الإفتاء ونقيب الأشراف، وكانت رئاسة البلدية بيد هذه العائلة أيضاً[3]، كان لهذه العائلات نصيب من الإجراءات التي اتخذها جمال باشا كالإعدامات، والنفي، والقتل والتشريد، وذكرنا عدداً من عائلات القدس التي تم إعدامها في القدس عند باب الخليل وباب العمود منهم "علي النشاشيبي" من القدس، والشيخ "أحمد عارف الحسيني" من غزة وابنه "مصطفى أحمد عارف الحسيني"، فبعد أن قبض الأتراك عليهما وهما يحاولان اختراق الحدود الجنوبية للوصول إلى القاهرة وتمهيداً للسفر إلى الحجاز اقتادوهما إلى القدس حيث جرت المحاكمة الصورية ثم نفذوا حكم الإعدام بالأب الشيخ أولاً، فشنقوه في

---

[1]صبري، بهجت، **فلسطين**، 108

[2]مسعود، قدري جمال، **عائلة الحسيني في مدينة القدس**، 31

[3]الناصر معتصم ،**الحياة السياسية العربية في القدس1918 -1934م**،11؛جبارة، تيسير، **الحاج أمين الحسيني**، 10

باب الخليل على مرأى من ولده، ثم اقتادوا ولده فوراً إلى سهل البقعة غربي مدينة القدس، وأعدموه رمياً بالرصاص[1].

هذا وتطلعنا اليوميات والمذكرات عن طبيعة المجتمع المقدسي خلال الحرب، وأسلوب حياتهم وعقلياتهم وأنماط تفكيرهم، من ذلك الأوامر التي صدرت من الدولة العثمانية حول الخدمة العسكرية الإجبارية خلال الحرب، حيث إن الكثير من الناس استخدم الواسطة لبقائهم في القدس لدى "روشن بك" المسؤول عن التنقلات، حتى لا يتم إرسالها على الجبهات، وكان العسكري إحسان الترجمان من جملة الذين طلبوا من الأصدقاء والمقربين، أن يتوسطوا لدى روشن بك ليبقى في القدس فهو يخاف من قلة الماء والأكل ويخاف إن ذهب أن يذل ويحتقر، ففكر بالانتحار إلا أن واسطته نجحت بأن يبقى بالقدس[2]، وكان أبناء المتنفذين يقومون بدفع البدل النقدي ويقدمون الرشاوي حتى لا يذهب أبناءهم للعمل في الجبهات، ورغم أن كثيراً من القرارات كانت تصدر من الحكومة، مفادها أنه يجب إرسال أسماء جميع الأفراد المتعلمة الموجودة في المؤسسات والمستشفيات وما شاكلهم لسوقهم إلى الجبهات، واستبدالهم بأفراد غير متعلمة وممن أخذوا خدمة غير مسلحة، وطلبوا إرسال الأسماء عاجلاً، وكان هذا الطلب هو في محله، ولكنه لا ينفذ فإنه سيذهب كما ذهب قبله مئات مثله في هذا السفر، وذلك لعدة أسباب :- جميع الأفراد المستخدمين في الوظائف الكتابية هم من أبناء المتنفذين والأشراف، ومن متنوري الشعب المسكين، وكلهم لم يجلسوا في محلاتهم إلا بالالتماس والترجي وما يجده أبناء العائلات المتنفذة من الراحة في وظائفهم لا يمكن أن يستبدلوها حتى ولو بأدنى رتبة بالجندية، لن تنجح الحكومة في تنفيذ هذه القرارات من ذلك فإنها ستأخذ القرويين والفقراء ليس إلا ويذهبون ضحية غيرهم،فأبناء الأشراف في المكاتب، والقرويون إلى الجبهة[3].

وكان الأشخاص الذين تمكنوا من الإفلات من التجنيد هم الابن الوحيد لأبويه كما ذكرنا سابقاً، ومن كان متزوجاً من امرأة غريبة، أهلها يقيمون في أماكن تبعد أكثر من 250 كيلومتراً عن مكان إقامة الزوج، لذلك كثر في ذلك الوقت زواج المقدسيين إما من تركيات، أومن بيروت وطرابلس، أو شاميات، أو قبرصيات، ومثل هذا الزواج كان هدفه التهرب من التجنيد الإجباري، ومن الطريف أنه كان أحياناً الأب يقوم بالسفر إلى قبرص بالباخرة، ويحضر له من هناك زوجة لابنه بعد الاتفاق مع أهلها[4]

---

[1]العارف ، عارف، **المفصل في تاريخ القدس،** 556، الحوت، بيان نويهض، **القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين،** 51؛الناصر، معتصم، **الحياة السياسية العربية في القدس 1918-1934م،** 29

[2]تماري، سليم، **عام الجراد،** 272-273

[3] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني،** 485؛ تماري، سليم، **عام الجراد،** 256

[4]أوراق شخصية لدى عزام أبو السعود، لتوفيق أبو السعود المولود بالقدس عام 1902

كانت هناك أوامروصلت من "جمال باشا" على الشرطة ومن يعمل بالرقابة على المطبوعات والمراسلات، والمؤسسات، بأنه لا يجوز لأحد من أهالي البلد أو القرى أن يستخدم في بلده، ويطلب تنظيم دفاتر بأسمائهم بعد أن ينقلوا إلى صحراء بئر السبع وأن يعرفوا عن تاريخ نقلهم وهناك في السبع يتم طريقة توزيعهم، وقد استثني من ذلك الأفراد الموجودون في الطوابير، وكانت من جملة الأوامر أن يبقى في المدن من كان محمود السيرة، والذين إذا ذهبوا تتعطل الأشغال التي كانت منوطة بهم والبقية يجب إبعادهم عن بلادهم "وروشن بيك" هو الذي سيختار اللائحة بالأسماء التي يريدها[1].

يبدو من طبيعة التعميم وهذا ليس خاصاً بأهالي القدس أن قيادة الجيش الرابع أرادت تجنب أن يمارس أصحاب النفوذ الضغط على القيادة العسكرية المحلية لمحاباة أبنائهم الأمر الذي يولد فوضى إدارية في هيكلية الجيش، والنقطة المهمة التي نود أن نشير إليها أن "جمال باشا" يريد أن ينفذ الخطة التركية بحذافيرها هو أن يمزق أي تكتل عربي، ويشتت رجالها، ويبعث بهم إلى بلاد نائية، وهذا من شأنه أن يحافظ على دولته ضد أي محاولة للانفصال عنها .

أما عن عقليات الناس في فترة الحرب العالمية الأولى، منها قصة تتعلق بالموقف من لبس البرنيطة الغربية، فيقول فؤاد أبو السعود :أن الحكومة أعطته ملابس عسكرية، وألبسته" الأنورية "(نسبة إلى "أنور باشا"–أحد زعماء الاتحاد والترقي البارزين–على رأسه، وكانت الأنورية هذه تشبه البرنيطة شبهاً عظيماً, ومرة لبست بدلتي العسكرية، ولبست الأنورية وذهبت لدائرة الأوقاف بالقدس لآخذ استحقاقي من مخصصات قمح الخليل، فطلبت من الموظف في ذاك الزمن الحج عمر طهبوب وهو زوج عمتي فقلت له أعطني مخصصاتي من قمح الخليل فنظر مستغرباً وكأنه قد استهجن المنظر في لما رآني البس الأنورية

قال لي :من أنت؟

قلت له :أنا فؤاد" أبو السعود[2]

---

[1]السكاكيني، خليل **يوميات السكاكيني** 2 ؛ تماري، سليم، **عام الجراد** 262–265

[2]مقدسي المنشأ، التحق بالمدرسة السلطانية حتى الصف الثامن، ليدخل قبل الحرب العالمية الأولى بدار المعلمين سنة 1915م، وخلال الحرب انضم للجيش العثماني، حيث التحق كضابط صغير(مرشح)، لينضم بعدها للثورة العربية الكبرى التي أعلنها الشريف حسين ضد الأتراك العثمانيين، ثمّ عاد للقدس سنة 1918 ، وعمل مأمور مخزن في القيادة العسكرية البريطانية التي شغلت مبنى المسكوبية منذ دخول قوات الاحتلال البريطاني للقدس أواخر سنة 1917 وكانت وظيفته كما وصفها بكلماته" :أستلم الألبسة العسكرية العتيقة وأسلم مثلها ألبسةً جديدة ".ثم عمل مسئولاً عن

قال لي :من أنت؟

قلت له :أنا فؤاد" أبو السعود

قال لي :لقد هززت بدني، والله لن أعطيك مخصصاتك وأنت لابس هذه الكفرية(نسبة إلى الكفار على اعتبار أن لبسها تقليدٌ لهم)

فهرعت بعدها إلى الدار وغيرت ثيابي، وجئت له ثانية فلما رآني قال لي الآن دخل الإيمان في قلبك، وأعطاني ورقة بما أستحقه"[1].

كان هناك عدد من أغنياء القدس كما وصفها الموسيقي "واصف جوهرية" أنهم بعيدون عن الأحداث التي تمر بها القدس، يقضون لياليهم بالسمر، والسهر، والشرب، وكأن البلاد بألف خير، أغنياء وضباط يعيشون على حساب هؤلاء الفقراء، فمن ذلك قوله عن دار "المرحوم إسماعيل الحسيني" في محلة الشيخ جراح في القدس والتي تعد من أرقى وأضخم منازل السكن في البلد، وتلتف حول بيته الأشجار بمختلف أنواعها وكان يزور بيته كل شخصية رسمية، وكانت الموائد الفاخرة بأصناف المأكولات والمشروبات كافة، وعندما قضى الجراد على المزروعات كافة في القدس بقي بستان إسماعيل الحسيني، وكان جوهرية يعزف ويغني، ولكنه في قرارة نفسه كان يرى ما يعيشه هؤلاء من سهر وحفلات غير مبالين بما يحدث بالبلاد وبين ما يعيشه عامة الناس من فقر وجوع [2] ".

أ- العلاقات بين الطوائف في القدس

تصور المذكرات واليوميات العلاقة التي كانت تربط بين مسيحيي القدس، واليهود، والمسلمين من خلال الاجتماعات وليالي السهر والسمر التي جمعتهم قبل الحرب وبعدها، فتذكر يوميات خليل السكاكيني الوضع الاجتماعي للمجتمع المقدسي بشكل دقيق، سيما أن السكاكيني أرثوذكسي مقدسي

=المشروبات الروحية في الكنتوري بالقدس في سنة 1919م.حمودة، سميح، **ذكريات المعلم المقدسي فؤاد أسعد أبو السعود حوليات القدس،** ع9، 20

[1]**نفسه،** ع 9، 20–21

[2]تماري، سليم، **القدس العثمانية،** 191–192

عاش في البلدة القديمة من مدينة القدس، وكانت تربطه علاقات اجتماعية وثيقة مع بعض الأسر المسلمة في المدينة وبخاصة الحسيني، النشاشيبي، والعلمي[1].

ففي يومياته المؤرخة في 1كانون الأول عام 1917م أي قبل ذلك بنحو العام عندما خرج من السجن في دمشق بجهود ومساع من قبل بعض أصدقائه المسلمين يقول: « إني قد جربت أخلاق الناس في هذه البلاد، فلم أجد من أهل الفضل والمروءة غير المسلمين، وإن فتشت وجدت كل أصدقائي من المسلمين[2]، وتشهد الكثير من يومياته في مدى العلاقة الحسنة والمودة بين مسلمي القدس ومسيحييها وبخاصة مع السكاكيني نفسه، والذي يمضي ليالي السهر في دور المسلمين وفي داره أيضاً، كما يذكر الموسيقي المقدسي المسيحي الأرثوذكسي "واصف جوهرية "السكاكيني في مذكراته من خلال الاجتماعات التي جمعت مسلمي القدس ومسيحييها وأحيانا اليهود أيضاً يستمعون لأنغام عوده وأخيه توفيق، وبحضور العديد من الشخصيات المسلمة والمسيحية[3]، ناهيك عن المساعدات المالية التي كان يقدمها بعض أعيان المسلمين للسكاكيني، فيذكر في أحد يومياته أنه استدان من "الحاج أمين الحسيني" ثماني ليرات دفعها أجرة للبيت نود أن نشير إلى نقطة مهمة أن شح الموارد في القدس ناجم عن محاصرة الأسطول البريطاني سواحل المدن الفلسطينية ،والذي منع وصول الإمدادات للمدينة، والذي نجم عن نقص المواد التموينية في المدينة مما أوجب على بعض التجار تخزين المؤن لوقت الحاجة والتزهد في استعمالها بسبب الحصار[4]،ويعترف السكاكيني بأنه في بعض الأحيان لم يكن وأسرته يأكلون سوى «الخبز، والعنب، والسلطة، أما اللحمة فلم تدخل دارنا». وهنا لم يفكر السكاكيني في اللجوء لمساعدته في هذه الضائقة إلا بأحد أعيان أسرة الحسيني وهو "حسين سليم الحسيني" رئيس البلدية[5]، فما كان من حسين إلا أن استجاب لطلب السكاكيني حيث أوصى أحد تجار الطحين "الخواجة حنا" أن يرسل إليه كيسي طحين، وأوصى أحد باعة الخضرة أن يرسل لهما يحتاجه يوماً فيوماً، فشكر فضله وأثنى على وفائه ومروءته وصداقته التي لا تثمّن[6].

بعد ذلك يصدر السكاكيني حكماً قاسياً على المجتمع الإسلامي، حيث نرى تناقضاً في موقفه تجاه المسلمين يقول: "ورغم أن الدولة العثمانية حرصت على عدم إثارة الفتن والنعرات الدينية بين أصحاب الديانات السماوية الثلاث داخل مدينة القدس إلا أنها حاولت من جهة أخرى تعزيز الجانب الديني ضد

---

[1]أحمد، حامد، **السكاكيني في النهضة الفكرية المعاصرة**، 25

[2]السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 185/2

[3]تماري، سليم، **القدس العثمانية**، 260

[4]مناع ، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 455

[5]تماري، سليم، **القدس العثمانية**، 97/2

[6]تماري، سليم، **القدس العثمانية**، 102/2

دول الحلفاء وتشويه صورتها"، فيروي السكاكيني "أنه سمع ذات يوم فلاحاً مسلماً يخاطب آخر مسيحياً بأن الروس يضطهدون المسلمين في بلادهم ويجبرونهم على عبادة الصليب وأن المسيحيين في حروب البلقان كانوا يخطفون النساء المسلمات، ويمتهنون حرمتهن، وينتهكون أعراضهن، ويتلقفون رؤوس الأطفال المسلمين بعد جزها بالسيف ورؤوس الحراب"[1].

ويذكر السكاكيني أن النزعة الدينية والتعصب الديني لدى المسلمين امتدا ضد المسيحيين الوطنيين في مدينة القدس، حتى وصل الأمر إلى تهديد الأطفال المسيحيين والنساء المسيحيات في شوارع المدينة

وهنا لا نوافق السكاكيني في رأيه هذا، خاصة أنه عندما فرض عليه البدل العسكري قدم له حسين سليم الحسيني 22 ليرة عثمانية [2]".إضافة إلى أن المسيحيين الشرقيين هم جزء من ثقافة الشرق ولم يتم معاملتهم على أساس ما فعله الروس أو غيرهم من العالم المسيحي .هذه حرب وتكثر فيها الشائعات كنوع من الحرب النفسية[3] .

من الطبيعي خلال الحرب وكحالة استثنائية أن نجد من يدس الخلافات ويزرعها بين كافة الطوائف لإثارة الفتن ، فمن خلال استطلاعنا للمذكرات نجد أن سياسة التسامح الديني بين كافة الطوائف كالمشاركة في الأعراس والجنائز، وفي التعاملات، إضافة إلى وجود القنصليات الألمانية والروسية والبريطانية والأمريكية في هذه المدينة المقدسة، أوجدت تعايشاً حتى في مجال التعليم والعمل ولكن دول الصراع حاولت أن تثير الفتن كل لصالحها بريطانيا من جهة، وألمانيا على نفس النسق، أما الدولة العثمانية فليست معنية بحصول حالات من التناحر بين الطوائف كونها في حالة حرب ، فهي تريد الاستقرار لأن ما جنته على نفسها كاف ، وما قامت به تجاه عرب القدس وفلسطين كان يكفي لإثارة الحقد والكراهية عليها فمن خلال النصوص نجد أنها كان تحاول جاهدة عدم إثارة النعرات بين الطوائف ودليل ذلك منعها المسلمين في مدينة القدس من إحياء ذكرى فتح صلاح الدين الأيوبي لمدينة القدس الذي كان من المقرر إقامته بالمدرسة الصلاحية، وجاء ذلك القرار من قبل نظارة الداخلية العثمانية خوفاً من أداء المسلمين الصلاة بمحراب المدرسة على روح صلاح الدين واعتقادهم بأنهم إذا دخلوا المدرسة فسيخلصونها من المسيحيين، واقتصرت هذه المناسبة على زيارة المسلمين لمقبرة مأمن الله[4] التي دفن فيها الشهداء المسلمون خلال فترة الفتح الصلاحي للمدينة[1].

---

[1] **نفسه**، 120/2

[2]**نفسه**، /2، 168

[3] الفاهوم، زهير ، **فلسطين في أواخر العهد العثماني** ، 520

[4]مقبرة مأمن الله: وتعرف أيضاً بمقبرة ماميلا، وهي مقبرة قديمة ومن أكبر المقابر الإسلامية في مدينة القدس، تقع غربي المدينة على بعد نحو 2كم من باب الخليل، ودفن فيها عدد كبير من الصحابة والمجاهدين أثناء الفتح

نشير إلى نقطة أخرى هو أن نسبة المثقفين في القدس كانت عالية جداً ، ووجود المدارس التبشيرية وانفتاح المدينة على الدول الأوروبية ، جعل لهذه المدينة نصيب متميز من الثقافة، يدركون هذه الشائعات ،وأن الغرض من نشرها بث بذور التفرقة بين الطوائف، مع هذا وبسبب حالات الفقر وطبيعة التركيبة السكانية هناك من الشعب جاهل غير مثقف، ما أن يسمع شيئا يصدقه وبالتالي تحصل الحزازيات داخل المجتمع، إذن هذه حالات استثنائية أوجدتها الحرب

وبالرجوع لمذكرات العسكري "إحسان الترجمان" "وطوطح" "والموسيقي جوهرية" نجد فيها الكثير من الدلالات على عمق العلاقة بين المسلمين والمسيحيين، وعن علاقة واصف جوهرية بالمسلمين فبالرغم من وعي عائلة جوهرية العميق لتراثها الأرثوذكسي، كانت أيضاً ذات انتماء عميق للثقافة الإسلامية، مما جعل جريس والد "واصف" أبناءه يقرؤون القرآن، ويحفظونه في سن مبكرة، وعندما مات والد واصف رثاه خليل السكاكيني بموت جوهرية انتهى عصر الظرف، وتبعه الشيخ "علي الريماوي" صديقه الحميم بقوله: "لم أصدق أن روح جوهرية تبقى في مقبرة صهيون، بل تنتقل هذه الليلة إلى مقبرة مأمن الله "ومثل هذا الموقف يتجاوز بكثير أنماط التعايش العادية التي كانت رائجة في ذلك العصر[2].

كل ذلك يعيدنا إلى المعرفة التقليدية بشأن بنية القدس الطائفية والمذهبية في العصر العثماني المتأخر وعلى سبيل المثال قصص لا حصر لها، والكثير منها يرسم صورة حية لتعايش عميق الجذور بين عائلات مسيحية ويهودية في قلب أصبح يعرف بالحي الإسلامي، ولم يكن ذلك تجاوزاً متسامحاً لأقليات ذمية تتمتع بالحماية، وإنما انخراط إيجابي في شئون الجيرة كانت ديانتهم تشكل اعتباراً ثانوياً بالنسبة إلى تراثهم المديني الأوسع .

كان هناك تماسك بين الطوائف في الزيارات والمشاركة بالطقوس بما فيه الأعراس والجنائز، كما أن المشاركة في الأعياد الدينية كانت مبنية على التسامح والتعدد الثقافي[3]، وكان الشبان المسلمون والمسيحيون يحتفلون بعيد البوريم(المساخر) في الأحياء اليهودية، فقد شاركت عائلات مسلمة

=الإسلامي عام 636م، وقد تعرضت هذه المقبرة إلى اعتداءات متكررة من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي حيث أنشئت على مساحات واسعة منها بعد هدم الكثير من القبور منشآت ومراكز يهودية مختلفة، الأنصاري فهمي **مقبرة مأمن الله– ماميلا**، 5

[1]السكاكيني، **يوميات السكاكيني**، 181/2

[2]غوشة، صبحي، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، 44، تماري، سليم، **القدس العثمانية**، 25

[3]غوشة، صبحي، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، 47

ومسيحية في الاحتفالات اليهودية على ضريح شمعون الصديق في الشيخ جراح[1]، والمناسبة معروفة باسم شطحة يهودية، والاحتفالات التي شارك فيه المسلم مع اليهودي والمسيحي مع المسلم بغض النظر عن انتمائه الطائفي تدل على عمق العلاقة بين هذه الطوائف[2] .

لكن كانت فترة الأعياد والمشاركة في الطقوس قد قلت مقارنة عما كانت عليه القدس قبل الحرب والتي كانت تشهد ازدحاماً كبيراً بالزوار عددهم بالآلاف فترة الأعياد المسيحية والإسلامية[3]، ولكن مجريات الحرب أثرت على الاحتفال بالأعياد كالاحتفال بموسم النبي موسى–عليه السلام–(مسيرة النبي موسى تخرج إلى أريحا ثم تعود إلى القدس) وحتى عيد الفصح يأت إلى القدس بالفترة نفسها (الفصح والنبي موسى) لم يبلغ ريعه ما كان يبلغه في السنين السابقة من 30ألى 40 ألف مسافر ما بين مسلم ومسيحي أما في هذا العام1915م فلم يحضره أكثر من 30 أو 40 شخصاً وذلك لاشتداد الأزمة[4] .

قامت بعض العائلات المقدسية ببناء الأوضة[5] خارج أسوار القدس والتي تحتوي على طبقتين وعدد محدود من الأوض، أو طبقة واحدة، وعدد من الأوض، وكان من عادة الرجال من أبناء العائلات الأرستقراطية الغنية المقدسية بمن فيهم "آل الحسيني" و"النشاشيبي"، أن يستأجروا الأوضة، حيث كانوا يمضون مساءهم يلعبون الورق، ويدخنون، ويشربون، وفي ليالي الشتاء الطويلة يحيون جلسات عود[6] ومذكرات جوهرية تسجل عدداً من الأوض[7] المعروفة جيداً في المدينة القديمة والشيخ جراح . حيث كان أصحابها يحتفظون بشقق خاصة لصديقاتهم في ضواحي المدينة الجديدة، وكان واصف يؤدي موسيقاه ولعدة أعوام كان هو نفسه يحمل مفتاح الأوضة لحسين هاشم الحسيني الواقعة خلف مقبرة ماميلا حيث كان يعزف لسيدات روسيات ويونانيات برفقة راغب بك النشاشيبي، ويشير واصف إلى الكثير من الوقائع والمناسبات الاحتفالية التي أمضاها برفقة أبناء النخب الاجتماعية وصديقاتهم برفقة مطربين مسلمين، ومسيحيين، ويهود[8].

---

[1]من الأحياء التي بنيت خارج القدس، س.ش القدس، 412، 27 ذو الحجة 1332هـ/ 16 تشرين الثاني، 1914م،120

[2]غوشة، صبحي، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، 47، تماري، سليم، **القدس العثمانية**، 24

[3]**البشير**، ع 2390، 24 نيسان، 3

[4]مناع، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 265

[5]**س.ش.** 407، 27 رجب، 1329هـ/ 28 حزيران، 1911 م، 13

[6]غوشة، صبحي، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، 47–48

[7]كدار السرور س.ش412، 16 ربيع أول 1333هـ، / ا شباط، 1915م،423

[8]غوشة، صبحي، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، 216

بالنظر لما سبق نجد أن الطبقة العليا في المجتمع ترى نفسها معصومة في أنماط سلوكها عن الضوابط الاجتماعية لجمهور العامة، وفي كثير من الأحيان كان أبناء هذه النخبة يتباهون بهذا السلوك مثلما كان الحال مع الشراب في العلن، والعلاقات بين الجنسين من دون خوف من عقاب لعل ذلك يعود إلى طبيعة المدينة المقدسة كونها مركزاً لوجود القناصل الأوروبية المختلفة، وأنها مركزًا للبعثات التبشيرية، والتي خلقت نوعاً من ثقافة تتميز عن باقي المدن الفلسطينية، أيضاً إن التغيرات التي طرأت على المجتمع المقدسي اقتضتها وجود غرباء من النسيج الاجتماعي مثل الجيش، وهذا أدخل بعض السلوكيات الغير مقبولة داخل القدس خصوصاً أن القدس مدينة محافظة دينياً ولكن الحرب أوجدت حالات استثنائية وليست ظاهرة عند كافة شرائح المجتمع[1].

ب- التغيرات التي طرأت على المجتمع المقدسي خلال الحرب

ظهرت خلال الحرب تحولات مهمة في أنماط العمل والحياة اليومية، فقد بدأ سكان المدن اقتناء ساعات الجيب لتحديد بداية ساعات العمل ونهايتها، وظهرت الساعاتعام1901م، فوق برج باب الخليل التي أنشأتها بلدية القدس احتفالاً بذكرى تنصيب السلطان عبد الحميد على العرش [2]، وبعدها ظهرت ساعات الحائط في الساحات العامة وفوق المباني الرئيسية، والتي تعد دليلاً على تنظيم مرافق الحياة اليومية في الدوائر الحكومية ومن ثم في قطاعات العمل المدني، وتشكل بذلك شاهداً على محاولة تنظيم القوى العاملة في القدس، وإخضاعها لرتابة نظام العمل اليومي المحصور في ساعات دوام عمل رسمية[3].

وكان استخدام ساعات الجيب مكلفة وصل سعرها خلال الحرب إلى ليرة ذهبية عثمانية[4] في الوقت الذي تدهورت فيه الليرة وأصبحت في الحضيض مرة 68غرشاً، ثم حددته الحكومة فيما بعد ب23غرش صاغ مما أدى لارتفاع الأسعار[5].

وسمح وجود الساعات بفرض قوانين جديدة مثل تحديد ساعات الخلود إلى البيوت، إن وجود الساعات وتحديد ساعات الخلود بالبيت أوجدتها حالة الطوارئ التي كانت تعيشها البلاد، فمن ذلك إصدار "جمال باشا" قرار ينص على عدم جواز مرور العساكر بعد الغروب، ومن رآه يتجول يجب أن يساق

[1] **نفسه**، 45

[2] الطيباوي، عبد اللطيف، **تاريخ القدس الشريف**، 240

[3] الطيباوي، عبد اللطيف، **تاريخ القدس الشريف**، 241؛ تماري، سليم، **عام الجراد**، 36

[4] س.ش 411، 29ربيع الأول 1335هـ/ 23 كانون الثاني 1917م، 410

[5] **البيان**، ع574، 8 تشرين الثاني، 1917،ص4

إلى مركز القيادة العسكرية، وإذا أراد الذهاب من محل إلى آخر عليه أن يأخذ وثيقة تبيح له ذلك، وأن يذكر فيها الساعة التي هو ذاهب فيها[1]، أما السكان فكان عليهم أن يأووا إلى بيوتهم قبل الساعة السابعة، والذي يرى في الطريق بعد هذا الميعاد يعدم رمياً بالرصاص[2] .

أحدثت الحرب تغييرات أخرى في أنماط الحياة الاجتماعية للسكان، حيث ظهرت المقاهي وأخذت مقام المنازل، كأماكن تجمع وزيارة للرجال، وخرج عدد غير محدود من نساء الطبقات الوسطى للعمل ونزع بعضهن الحجاب في المدن الكبرى، وفي القدس، ويافا، كما هو الحال في بيروت وحلب، ودمشق شجعت الدولة على إنشاء الملاهي الليلية[3] للترفيه عن الجنود[4].

كان دخول الفوتوغراف والسينما إلى مقاهي المدينة 1910م والدهشة التي رسمت على وجوه من مر بها عندما رأوا الصورة المتحركة أول مرة في المسكوبية، وكان رسم الدخول بشلكاً عثمانياً يدفع عند المدخل[5]، كذلك كان استيراد للآلات الموسيقية الجديدة بداية آلة التسجيل الشمعي الأسطوانية، ومن ثم ثم الغراموفون المسير يدوياً الذي يوضع عليه الأسطوانات البلاستيكية ذات 78 دورة في الدقيقة والذي يشير إليها باسم فونوغرافات إديسون، ومع بداية الحرب العالمية الأولى كان في القدس عشر آلات كهذه فقط، ثمن كل واحدة منها نحو25 جنيهاً فرنسياً، وهي ثروة كبيرة في تلك الأيام، الأمر الذي يجعل الحصول عليها مقتصراً على عدد من المالكين القلائل، وخلال الحرب بدأ عدد من مقاهي القدس يجذب الزبائن عبر شراء فونوغرافات وعزف قطع مختارة بحسب الطلب [6].

---

[1]تماري، سليم، **عام الجراد**، 38

[2]السكاكيني، خليل، **يوميات خليل السكاكيني**، 117/2

[3]بعد نهاية الحرب، قدمت عائلة جوهرية مساهمة كبيرة لهذا الوسط الفني الاحتفالي من خلال افتتاح مقهى جوهرية سنة 1918م بالقرب من المجمع الروسي عند المدخل الجنوبي لطريق يافا، وقد جلب خليل شقيق واصف إلى المقهى مهارات كان قد اكتسبها في بيروت أثناء خدمته في الجيش العثماني، وقد شملت هذه تقديم وجبة خاصة مع طلبات العرق والماء المثلج، الذي كان تجديداً في القدس وأصبح ممكنا مع إدخال مولدات الطاقة الكهربائية، وخلال أشهر على افتتاح المقهى أصبح نقطة جذب رئيسية للباحثين عن الطرب في جميع أنحاء المدينة واشتهر باستقدام أفضل المغنين إلى البلد . تماري،سليم، **القدس العثمانية** 21

[4]تماري، سليم، **عام الجراد**، 23

[5]جبارة، تيسير، وآخرون، **تاريخ القدس**، 244؛تماري، سليم، **عام الجراد**، 66

[6]تماري، سليم، **القدس العثمانية**، 23

2- المؤسسات التعليمية في القدس خلال الحرب العالمية الأولى

كانت مدينة القدس في أواخر العهد العثماني تتميز عن غيرها من المدن الفلسطينية بتقدم مستوى التعليم فيها لكثرة وجود المدارس الحكومية منها والأهلية، التي أوجدتها المؤسسات الخيرية والإرساليات التبشيرية المختلفة، ونذكر منها على سبيل المثال مدرسة "شنلر الألمانية" "ومدارس الفرنسيسكان"، وكان يعهد بالإشراف على إدارة المدارس الحكومية فيها إلى مجلس المعارف في القدس الذي يتألف من أربعة عشر موظفاً وآخر من تولى رئاسته "إسماعيل حقي بك الحسيني" الذي أسهم كثيرا في تطوير المدارس والتعليم في القدس [1]

ومع نشوب الحرب العالمية الأولى ووقوف العثمانيين إلى جانب ألمانيا في حربها ضد الحلفاء أغلقت المدارس التبشيرية في القدس والتي جاءت من ضمن الإجراءات التي اتخذت ضد الدول التي شاركت في الحرب ضد الدولة العثمانية، وما أن اشتعلت الحرب على الأراضي الفلسطينية حتى أغلقت كافة المدارس في المدن الفلسطينية كافة، ولم تفتح مدارس القدس وباقي المدن الفلسطينية أبوابها حتى أواخر صيف عام 1918م حين أتم البريطانيون احتلال المدن الفلسطينية كافة[2].

اتخذت الدولة العثمانية خطوات عملية في سبيل إصلاح التعليم في فلسطين خاصة وأنها نظرت للتعليم كأساس لتوطيد دعائم الحكم، وإعداد أبناء العائلات لتولي المناصب المهمة في البلاد فأسست خلال الحرب العالمية الأولى المدرسة السلطانية في القدس لإعداد المعلمين لتولي مهمة التدريس[3] وكانت هذه المدرسة مفتوحة أمام أبناء الإمبراطورية، حيث حضر 15 طالباً من الأستانة لدخول هذه المدرسة، في حين بقي لأبناء فلسطين 10مقاعد فقط، وحددت رسوم الدراسة ب20 ليرة عثمانية[4]غير أن سياسة الدولة العثمانية التي انتهجتها لإصلاح التعليم اصطدمت بأحداث الحرب العالمية التي أدت إلى إغلاق الكثير من المدارس، واتخاذ الجيش العثماني المؤسسات التعليمية معسكرات له ومستودعات للتموين، ونتيجة لتوقف النشاط التعليمي تابع بعض أبناء العائلات تحصيلهم العلمي خارج البلاد ليكونوا بذلك مؤهلين لمتابعة دورهم البارز في الحياة الإدارية والقضائية، والاجتماعية[5].

---

[1]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني 1917-1920**، 69؛مناع، عادل، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني**،27

[2]الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاما**،33

[3]Tibawi**, Arab education in mandatory Palestine**, p 19-20

[4]**فلسطين**، ع 303- 6-8 كانون الثاني، 1914

[5]صبري، بهجت، **فلسطين**، 117

كانت المدارس التبشيرية تلقى من العناية والتطوير أكثر من المدارس الحكومية، ولأن المدارس التبشيرية كان هدفها الأساسي هدفاً عقدياً تبشيرياً، وكانت تتلقى الدعم من جهات خاصة تابعة لهذه الدولة أو تلك من الدول التي تنتمي إليها هذه المدارس، وأخص بالذكر المدارس الألمانية والمدارس الروسية[1]يضاف إلى ذلك المدارس التي يدعمها اليهود، والى جانب ذلك كله فإن اليهود كانوا يعملون ليل نهار على إنشاء جامعة لهم لكي يثبتوا أقدامهم في فلسطين بعامة وفي القدس بخاصة كالجامعة العبرية، وكانت المدارس التبشيرية في القدس على درجة عالية من التطور[2]،لذلك كان يدعو السكاكيني بصراحة إلى زيارتها بغية الإفادة من أساليبها ومناهجها[3].

بلغ عدد المدارس في القدس عام 1914م العشرات، وتضم مائتي معلم، وحوالي أربعة آلاف تلميذ أما خارج القدس فقد وجد نحو 20مدرسة أكثرها في تل الربيع(تل أبيب)، بلغ عدد معلميها 51 وتضم 1400 تلميذ، أما المدارس اليهودية الحديثة في فلسطين فكان أول من أنشأها جمعية الإليانس الإسرائيلية، وكانت هذه المدارس تضم حوالي ألفي طالب عام 1914م، وأشهر هذه المدارس مدرسة الإليانس، ومدرسة بيت ساليل ومدرسة لاميل، ومدرسة الجمنازيوم في تل أبيب، والمدرسة الزراعية قرب تل أبيب، ومعهد الموسيقى ومعهد التمثيل في تل أبيب[4].

أما بالنسبة إلى أهم المدارس العثمانية في القدس خلال الحرب العالمية الأولى، فهي المدرسة الصلاحية المعروفة رسمياً بكلية صلاح الدين الأيوبي الإسلامية، وقد أنشأها "جمال باشا" عام 1913 بمبادرة شخصية في مبنى القديسة آن، وهو صرح فرنسي قبالة الحرم الشريف، وتعود أصوله إلى الفترة الصليبية وكان الهدف من وراء تأسيس مدرسة الصلاحية على يد "جمال باشا" لمدة سنتين تربية جيل من الدعاة لتركيا، وكان ينوي بعثهم إلى بلدان الشرق وخاصة في الهند التي كان مسلموها تحت الحكم الإنجليزي[5].

وقد اشتملت المدرسة على قسم دراسات عليا مدته عامان بعد الدراسة الثانوية، وبذلك تكون الصلاحية أول مؤسسة للدراسة الجامعية في فلسطين في تلك الفترة[6]، وأشرف على إدارتها ثلاث شخصيات موالية

[1]القطشان، عبدالله، **التعليم الخاص اليهودي والمسيحي والإسلامي 1920–1948**، 65

[2]الشورة، صالح، **مدينة القدس تحت الاحتلال والانتداب البريطاني**،242

[3]غوشة، صبحي، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، 190؛السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 212

[4]المحافظة، علي، **الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن**، 37

[5]يهوشع، يعقوب . **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني 1908–1918**، 144

[6]تماري، سليم، **عام الجراد**، 40؛ شعث، شوقي، **القدس الشريف**، 39

موالية لسياسات "جمال باشا" شخصياً، الشيخ "عبد العزيز الجاويش"،"وشكيب أرسلان" "وعبد القادر المغربي"، وكان ثلاثتهم من أنصار تركيا الفتاة، ومن دعاة حزب الاتحاد والترقي أما أهم أساتذة الصلاحية فكان "رستم حيدر" (1886–1940م)الذي أنشا جمعية العربية الفتاة السرية 1911م بالتعاون مع "عوني عبد الهادي" "وأحمد قدري"[1]،وكان رستم من الداعين للاستقلال العربي ومن معلمي الصلاحية أيضاً" إسعاف النشاشيبي"، "وعادل جبر" وكلاهما من الشخصيات الثقافية البارزة، درّس الأول اللغة والأدب العربيين، بينما درس الثاني اللغة الفرنسية والجغرافيا وكان السكاكيني أيضاً من أساتذة المدرسة الصلاحية عندما كان يسنح له برنامجه التعليمي المكتظ في المدرسة الدستورية[2].

قام جمال باشا بزيارة القدس عدة مرات خلال الحرب، وفي إحدى هذه الزيارات عام 1915 م، قام بزيارة المدرسة الصلاحية، وتحدث إلى طلاب وأساتذة المدرسة الصلاحية، ودعا إلى تحويل التدريس للمواد العلمية والإنسانية في المدرسة من اللغة العربية إلى اللغة التركية، أثار ذلك حنقا لدى الزعماء العرب في القدس، وكان نتيجة ذلك أن تم تأسيس" مدرسة روضة المعارف "في القدس عام 1916م، والذين أسسوها هم الشيخ" محمد الصالح"، "والشيخ حسن أبو السعود"، "وعبد اللطيف الحسيني"، وكثير من طلاب الصلاحية تحولوا إلى مدرسة الروضة[3].

الهدف الذي كان يصبو إليه جمال باشا من خلال إقامة المدرسة الصلاحية وهو تعزيز سياسة التتريك في هذه الكلية لم ينجح خاصة عندما هدد الجيش البريطاني منطقة القدس من الجنوب أمر "جمال باشا" بنقل المدرسة بمعلميها وإدارتها وطلابها إلى دمشق .لم تنجح هذه المدرسة بتحقيق الهدف الذي أنشئت لأجله، إذ ما لبث السكاكيني وحيدر أن تركا المدرسة والتحقا بقيادة الثورة العربية[4].

لعب السكاكيني دوراً كبيراً في عملية إصلاح التربية في القدس[5]فحين عاد من أمريكا عام1908م وأنشأ وأنشأ مدرسة ليلية في القدس، كما انشأ1909 م بالاشتراك مع "علي جار الله" ،"وجميل الخالدي"،"وأفتيم مشبك" مدرسة سماها المدرسة الدستورية نسبة إلى الدستور العثماني الذي أصدره السلطان عبد الحميد، وتظهر اليوميات نشاط رجالات التربية وفي مقدمتهم خليل السكاكيني، إذ كان

---

[1]Strohmeier و Martin, **Alkulliya al –Salhiya, A late Ottman University in Jerusalem in Ottman Jerusalem: The Living City 1517-1917**Pp.57-62

[2]تماري، سليم، **عام الجراد**،43

[3]غوشة، صبحي، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، 201؛ العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، 342–343،

[4]تماري، سليم، **عام الجراد**،43

[5]السكاكيني، **كذا أنا يا دنيا**،**48**، المحافظة، علي، **الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن**، 55

السكاكيني يستغل كل فرصة من شأنها بث رغبته الملحة في نهضة المدارس في القدس[1]،ومن هنا سجلت يوميات السكاكيني سمات المدارس المطلوب إنشاؤها في القدس خاصة فقال: "المدارس التي نحتاج إليها مثل المدارس في أوروبا بساتين أطفال مدارس ابتدائية، مدارس ثانوية، بشرط أن تكون مدارس حقيقية لا بالاسم فقط كما كان عندنا قبل الحرب، وأن نختار لها المعلمين الأكفاء المقتدرين لا أن تكون المدارس مأوى عجزة خاملين كما كانت في عهد تركيا، وأن يكون التعليم فيها مجرداً من كل تأثير ديني، أو جنسي، أو سياسي[2]".

ويتحدث السكاكيني عن المدرسة الدستورية فيقول: "أنه مهما أجرى عليها من الإصلاحات إلا أن العمل بها لا يجدي لسببين:- أولا وعلى حد تعبيره "لأن مدرسته يقوم بها وحده فلا أحد يساعده بها ولا شريك يقاسمه الاهتمام، ولا حتى جمعية تمول مدرسته، وأنه لا يستطيع أن يزاحم المدارس الأجنبية ذوات الجمعيات الغنية، يضع وجهاً للمقارنة بين مدرسته والمدارس التبشيرية، والتي مهما حاول الإصلاح في مدرسته لن تصل إلى مستواها فلو افترض أن أحضر معلماً، تقوم المدارس التبشيرية بإحضار معلمين، وإذا خفض الرسم قليلاً، جعل التعليم مجاناً، وثانياً: لأن المبادئ التي يجري عليها مدرسته في التعليم أو التربية لم يألفها الناس، فلا ينتظر منهم أن يقدروها قدرها هذه الجهة السيئة من اشتغاله بمدرسته وأما الجهة الحسنة فهي أنه ولي أمر المدرسة يصدر فيها كل شيء عن رأيه يعلم ما يريد لا عليه رئيس ولا مسيطر[3]".

يقارن السكاكيني بين المدارس الوطنية والتبشيرية من حيث الأجر الذي يتقاضاه ولكنه رغم ذلك لم يدم فيها بالعمل طويلاً معللاً ذلك : أن المدارس الأجنبية كانت تريده أن يجري في التعليم والتربية على الطرق التي يرسمونها له، وكانت نفسه تأبى ذلك حتى اضطر أخيراً إلى تركها رغم أن أجرته كانت كافية والدفع كان في أوقاته، أما عن عمله في مدرسة الروم الأرثوذكس فقد تركها _مع أن معاشه كان كبيراً لم يتناول احد من المعلمين مثله من قبل_ ولكن رأى من انحطاطهم وسوء نيتهم في مدارسهم ما حمله تركها، واشتغل أخيراً في المدرسة الصلاحية، وكانت أرقى المدارس الوطنية وقد كان

[1]الخالدي، وليد، **قبل الشتات التاريخ المصور للشعب الفلسطيني 1876-1948م**، 72؛السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 2/ 86

[2]السكاكيني، خليل، **كذا أنا يا دنيا**، 160

[3]السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 2/ 136

يجد لذة في العمل، إلا أن عادة المدارس الوطنية التأخير في الدفع بحيث يمر الشهر والشهران والمعلم عندهم لا ينال من معاشه شيئاً هذه حال المدارس في الزمن[1].

صدرت أوامر من الحكومة العثمانية بتعطيل مدارس الإنجليز، والفرنسيس، والروس، وإذا ضاقت مدارس الحكومة أو المدارس الخصوصية الوطنية بأولادها تعطى إحدى المدارس الأجنبية بأدواتها ومقاعدها للمدارس الوطنية والحكومية، ومن بين المدارس التي أغلقتها السلطات العثمانية مدرسة الفرير التي نقل إليها المكتب السلطاني، إضافة إلى مدرسة المطران المعروفة بـSt.Georges وتحول طلبة هاتين المدرستين إلى المدرسة الدستورية[2]..ويروي خليل السكاكيني أنه حاول أن يستغل هذا الأمر ليحافظ على مدرسة المطران[3] التي كانت تعد من أعرق المدارس الأجنبية في مدينة القدس حتى لا تتحول إلى ثكنة عسكرية، أو أن يطلبها الشيخ "محمد صالح" صاحب مدرسة روضة المعارف. ورغم عدم احتياج المدرسة الدستورية التي يمتلكها السكاكيني لمدرسة المطران إلا أنه قرر أن يطلبها من المتصرف، وكان قد التقى قبل لقائه بالمتصرف مع كل من القسيس Nick، والمستر رينولدس Mr Reynulds، وقد رحبا باقتراحه إلا أنه تراجع فيما بعد خوفاً من أن يوشى به إلى الحكومة العثمانية بأن ذلك جاء بناء على اتفاق بينه وبين الإنجليز ويتهم بالتالي بأنه أجنبي النزعة، علاوة على أن الحكومة العثمانية قد تتراجع عن قرارها السابق فيشمت به البعض على حد قوله ويعرض نفسه للسخرية.[4]

---

[1]غوشة، صبحي، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين،** 192؛السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني،** 169/2

[2]الطيباوي، عبد الطيف، **القدس الشريف،** 72

[3]مدرسة المطران (سان جورج)هي مدرسة بريطانية تأسست في القدس قبل الحرب العالمية الأولى واكتسبت شهرة واسعة في فلسطين، واسمها الحقيقي سان جورج، ولكنها عرفت بمدرسة المطران، لأن المطران الأنكليكاني في القدس كان يشرف على رئاستها بعد الحرب مدير بريطاني اسمه كينيث رينولدز، وكان أساتذتها من العرب والبريطانيين، ومن أشهر أساتذتها العرب "خليل بيدس"، "ومعروف الرصافي" (الشاعر العراقي المعروف) وإبراهيم قمر، وسليم قعوار، وشريف النشاشيبي، وداوود عدس وشكري الحرامي، وأمين الصيداوي، وفوتي فريج، وعبد القادر الشهابي، وتوفيق فرح، وحسن عوض، وروفائيل عبد النور القرعة، بدأ عامها الدراسي الأول بعد الحرب في شهر تشرين أول 1918 م، وكان عدد طلابها وغالبيتهم من أبناء القدس في المرحلة الثانوية يبلغ 121 طالبا، لكن تناقصت أعدادهم بعد أربعة أعوام 7 طلاب فقط القطشان، عبد الله، **التعليم الخاص اليهودي والمسيحي والإسلامي،** 112؛الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاما،** 33–34؛الطيباوي، عبد اللطيف، **القدس الشريف،** 73

[4]السكاكيني، **يوميات السكاكيني،** 135

لم تقصر الحكومة العثمانية بالسيطرة على المؤسسات والمدارس الأجنبية، بل كانت تضع الحكومة العثمانية يدها على كل بيت معلق لا يتم استخدامه في القدس واستعماله ثكنة عسكرية[1] أقفلت الإدارة العسكرية المدارس التي كانت قائمة بالقدس في العام الدراسي 1917-1918م،واقتصر التعليم على الكتاتيب التي كانت تتبع نظام التعليم الديني[2] وقد أعادت الإدارة العسكرية فتح المدارس القديمة القائمة قبل الاحتلال، وذلك بعد أن تم لها السيطرة على أنحاء البلاد كافة، وأتت ببعثة من المدرسين الإنجليز كانت في مصر فكانت نواة لإقامة إدارة معارف فلسطين[3].

كذلك قامت الإدارة العسكرية بإعفاء مجلس المعارف السابق في القدس من مهامه وشكلت إدارة معارف جديدة في القدس برئاسة الميجور البريطاني تادمن (Tadman)، ومساعده اللفتانت لِك (I.lick)[4]وفي شهر تشرين الأول من عام 1918 م بدأ العام الدراسي الأول بعد الاحتلال حيث فتحت المدارس الحكومية أبوابها كما شرعت المدارس التبشيرية بفتح أبوابها باستثناء المدارس الروسية، والألمانية، والعثمانية والإسبانية، والأمريكية[5].

لم تعن الإدارة العسكرية كثيراً بأمور التعليم في فلسطين، ولم تعمل إلا على تأمين المتطلبات الأساسية للمدارس الحكومية الابتدائية في المدن والمناطق الرئيسية لتجمع السكان[6].أما المجتمعات المسيحية واليهودية فقد تولت الاهتمام بشؤون مدارسها الخاصة، وفتحت المدارس التبشيرية المسيحية أبوابها لتعليم أتباع الديانات الثلاث كافة، وعملت على تأمين نفقاتها ذاتيا، أما المدارس اليهودية فقد كانت مقتصرة على اليهود فقط، وكانت تعتمد في نفقاتها على المصادر الخارجية حيث أنشأت الإدارة العسكرية مدرسة القدس للموسيقى، وحتى نهاية فترة الحكم العسكري كان 90% من طلابها من اليهود وكان ستورز Storrsقد اتخذ نسبة عدد الطلاب اليهود حجة في تقديم تلك المدرسة لليهود[7]. ويتضح عدم اهتمام الإدارة العسكرية في التعليم من خلال معرفة مدى فارق الاهتمام في التعليم بين العهد العثماني السابق والعهد البريطاني، حيث تم في السنة الأولى للاحتلال البريطاني تخصيص مبلغ (19،000) تسعة عشر ألف جنيه مصري للتعليم في الأراضي الفلسطينية كافة، في حين كان في

---

[1]تماري، سليم، **عام الجراد**، 304

[2] مدخل إلى التعليم، الدراسات الخاصة، **الموسوعة الفلسطينية**، ق2، مج2، 37

[3]خلة، كامل، **فلسطين والانتداب**، 81

[4] الموسوعة الفلسطينية، الدراسات التاريخية، الدراسات الخاصة، ق2، مج2،، 997

[5]الغوري، إميل، **فلسطين**، 32-34

[6]**Palestine & transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,19.

[7]قاسمية، خيرية، **المقاومة العربية للصهيونية أواخر العهد العثماني**، دراسات تاريخية، ع11،57

عهد العثمانيين السابق يرصد مبلغ (28،000) ثمانية وعشرين ألف جنيه مصري لحساب التعليم، ونفقات ملاجئ الأيتام المسيحية في سنجق القدس فقط[1].

3- الجوع و الفقر

من أهم سمات الحرب دورها في إحداث تغيير في القيم الاجتماعية السائدة واستحداث أنماط سلوكية جديدة، ففي غياب أعداد كبيرة من الرجال والشباب عن عائلاتهم؛ بسبب التجنيد الإجباري والموت على جبهات القتال تعرضت مئات الآلاف من العائلات لضربات الفقر المدقع، والجوع، والمرض ودُفع سكان المدن الكبيرة إلى أنماط سلوكية لم تشهدها هذه المدن بهذا الزخم من قبل كالتسول والسرقة، والدعارة التي أصبحت معالم يومية في شوارع القدس .

كان في القدس مشاهدات لطوابير النساء والأطفال واقتتالهم على رغيف الخبز، وانتشار المجاعة في مدن سورية، وفلسطين، وجبل لبنان وخاصة بعد تضييق حصار الأسطول البريطاني على الساحل السوري وكذلك إجراءات جمال باشا داخلياً عقاباً على ما رآه لتآمرا للتيارات الوطنية على الدولة العثمانية[2]ظهر الشحاذون في جميع أطراف المدينة وخصوصاً في الشوارع والأسواق والواقع أن أوضاع الحرب هي التي أدت إلى تفكك العائلة المقدسية ومصادر قوتها، وخلقت جيوشاً من المتسولين في طرقاته[3]،وانتشر السراقون بكل مكان علهم يجدون شيئاً يسدّ جوعهم [4]، وهذه ظاهرة أصبحت اعتيادية في القدس أن النساء يشحذن ولا معين لهن وهن حاملات أولادهن في الأسواق ويطلبون متاليك، مما اضطر النساء العفيفات لأن يبعن أعراضهن، بسبب الجوع والفقر[5].

لقد كانت الأعوام السابقة لسقوط القدس بأيدي الإنجليز من أحلك وأقسى الحقب التي مرت فيها المدينة، إذ تضافرت قسوة الطبيعة مع الحرب، والمجاعة، وارتفاع الأسعار، ففي سنة 1915 م بدأ الأسطول البريطاني بضرب مدن الساحل الفلسطيني، وتم تهجير قسم كبير من الناس إلى القرى والمدن الداخلية بما فيها القدس[6]،ورافق ذلك إرسال أبناء فلسطين إلى الجبهات للقتال وموت الآلاف منهم، وقمع الحركة الوطنية والتنكيل بهم، ثم بدأت المجاعة في لبنان وانتقلت إلى سورية وفلسطين،

---

[1]**Palestine & transjordan administration reports,1918-1948, vol1** ,p96.

[2]دروزة، عزة، **مذكرات**، 54/1

[3]الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 482

[4]حمودة، سميح، **ذكريات المعلم المقدسي فؤاد أسعد أبو السعود**، حوليات القدس، ع 9، 21 ؛ **السكاكيني**، 122

[5]انطونيوس، جورج، **يقظة العرب**، 299–300

[6]مناع، عادل، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 259

ولم تكن المجاعة نتيجة القحط فقط كما ذكرنا سابقا، وإنما جاءت بعد أن بدأ الجيش الرابع بقيادة جمال باشا بمصادرة القمح والحنطة، وغيرها لمصلحة الجيش في ربيع سنة 1916م ولدينا وصف لشاهد عيان من القدس هو الدكتور عزت طنوس الذي كان طالباً في كلية الطب، ثم تجند في الجيش العثماني في بيروت على تأثير المجاعة في الحياة اليومية :"كنت أمر يومياً انطلاقاً من الثكنة العسكرية في رأس بيروت إلى ساحة البرج في مركز المدينة وكان من المشاهد المألوفة في أثناء مروري رؤية عشر أو خمس عشرة جثة ملقاة على أرصفة الطرق كل يوم، تنتظر أن تأتي عربة البلدية لتنقلها حيث تدفن، وصرت معتاداً القفز فوق هذه الجثث كي أتفادى التعثر بها الأطفال الصغار يبكون ليلاً نهاراً، وتسمعهم من النوافذ، جوعان.. جوعان ثم تراهم يركضون نحو القمامة لعلهم يعثرون على ما يأكلونه، وكانت كثيرات من النساء يتركن أطفالهن الرضع عند أبواب المستشفى في الليل كي يطعمهم الممرضون في الصباح[1].

ولم يختلف الوضع السيء والمرير في بيروت عن مدينة القدس، فقد أصبح الافتقار إلى المواد الغذائية هاجس الناس، واقترن ذلك في أذهانهم بعملية التجنيد وغياب الشباب، ويخبرنا الموسيقي "واصف جوهرية" بأسلوبه الساخر، كيف كان هؤلاء الناس يستحضرون في أغانيهم الشعبية الأطباق الشهية التي خلت حياتهم منها، وقد ساهم هو بإحدى أهم هذه الأغاني من تأليفه وتلحين الموسيقار الحلبي "عمر البطش" معلمه في الجوقة الموسيقية التابعة للجيش العثماني . أنشودة المجاعة[2]

كرشات محشية ـــ بيضات مشوية ـــ يا سمك مقلي والعرق جنبي

بادر واشرب ـــ واسكب واشرب ـــ وغني واطرب

واعلم أن السكر مجرب ـــ ما على الإنسان من مهرب

فالسكر أنفع ـــ منه لا تفزع

قبوات مقلية كبة باللبنية ـــ يا جزر محشي أقم في كرشي

كوسا بلحمة كشكة بشحمه ـــ كوسا بلحمة كشكة بشحمه

يخني بتنجان ـــ مع رز مفلفل

يا كنافة أبداً لا تغيبي عني ـــ يا مهلبية أنتي منيتي وقصدي

يا هريسة اللوز أنت أفخر

---

[1] نصار، عصام، تماري، سليم، **دراسات في التاريخ الاجتماعي لبلاد الشام قراءات في السير والسير الذاتية**، 212

[2] جوهرية، واصف، **القدس العثمانية**، 66

بعد المحاشي

فستق بندق طقش فقش عبي الأرجيلة وحشش

وعن القطايف فتش بعدها أسنانك نكش

آكل هالألوان لازمله حمام

وكان واصف قد أدى هذه الأغنية أول مرة في احتفال أقامه متصرف القدس لنخبة من الضباط العرب والأتراك خلال الحرب، ويقول في هذا المجال كنت طوال الحفلة وأنا أفكر بأوضاع أهلي وأصدقائي في الخارج الذين كانوا محرومين ليس فقط من تناول هذه الأطعمة، وإنما أيضاً من مجرد النظر إليها[1].

ومن المفارقة والملفت للنظر أن أنشودة المجاعة هذه كان لها تأثير سحري في خيال المجتمع المقدسي فقد بدأ الناس ينشدونها في الشارع كأنها طقس من طقوس استحضار المحاشي الشهية التي اختفت من حياتهم ورافقها موقف مستهزئ ورافض للانهزام أمام الموت والدمار، واستمرت هذه الأغنية في الانتشار حتى أصبحت ما يشبه النشيد الوطني لعدة أعوام بعد الحرب [2].

وتشير سجلات محكمة القدس الشرعية إلى توجه العديد من الناس ممن كان وصياً على أطفال لم يبلغوا سن الرشد، إلى دار الأيتام في القدس[3]،لطلب الأموال التي أودعها أهلهم فيها، لأنه لا معين لهم بعد أن ذهب آباؤهم على جبهات القتال، أو فارقوا الحياة[4]، أو البحث عن أي وسيلة لإنقاذهم كأخذ قروض من الدار شريطة تقديم كفالة لتسديد القرض[5]، وما يترتب عليه من فوائد، ومن أبرز الضمانات التي تقدم لهذه الصناديق، حجز الأراضي لصالحها في دوائر الطابو[6].

---

[1]تماري، سليم، **ما بين الأعيان والأوباش الرؤية الجوهرية في تاريخ القدس الانتدابية**، 119

[2]جوهرية واصف، **القدس العثمانية**، 66

[3]عام 1871م صدر أول تنظيم عثماني لتأسيس صناديق الأيتام في مراكز الولايات والألوية والأقضية العثمانية لتعنى بالمحافظة واستثمار أموال الأيتام القاصرين إلى حين بلوغهم، وأموال المجانين والمصابين لحين شفائهم وأموال الغائبين حتى يعودوا، وأنشئ في القدس ومراكز الأقضية التابعة لها صناديق للأيتام، المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 59

[4]س. ش القدس، 414. 25–جمادى الأولى، 1334هـ، /30 آذار 1916م، 110

[5]س، ش، القدس 414–10 شعبان، 1334هـ/ 12 حزيران1916م،442

[6]أبو بكر، أمين، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس**، 544

ورغم الجوع والأمراض إلا أن السكاكيني يعد أن لهذه الأيام الحالكة على مدينة القدس بها فوائد عديدة "أن الناس هجروا أسباب السرور والتلهي، وصاروا أقرب إلى البساطة في لباسهم ومعيشتهم حيث يقول: "فبعد أن كنت أمسح حذائي كل يوم مرة أو مرتين لم أعد أمسحه إلا مرة في الأسبوع وبعد أن كنت لا ألبس إلا أفخر ثيابي وأجدّها صرت اليوم لا استنكف من لبس ثيابي وأحذيتي القديمة، وبعد أن كنت لا أعرف قيمة الدراهم قلت أو كثرت صرت اليوم أحرص من نملة على المتليكات[1]"

لم يرو التاريخ مثل هذا الغلاء، وقلة الأشغال، وحرب هائلة ورجال تموت في ساحات الحرب، إذ لا يمر يوم إلا واستحكمت حلقات الضيق على القدس وأهاليها، والحكومة صماء، عمياء، متبلدة الأحاسيس إزاء آلام ومعاناة هؤلاء المساكين، وكانت جثث الموتى ملقاة على قارعات الطريق[2] ولا وصف للدولة العثمانية في هذه الفترة إلا أنها دولة ميتة أماتت مواطنيها لتظهر للعالم قوة ضعفها.

4- الشؤون الصحية

أ- المستشفيات

تميزت القدس عن بقية المدن العثمانية بتوفر مرافق صحية متطورة نسبياً، وذلك بسبب وجود مستوصفات ومستشفيات حكومية، وإرسالية وفرت للفلسطينيين خيارات صحية متعددة[3]، ومن المستشفيات التي استخدمت في الحرب العالمية الأولى:-

1. المستشفى البلدي: أنشأته بلدية القدس في حي الشيخ بدر قرب لفتا (من قرى القدس)[4] استخدمته الحكومة العثمانية خلال فترة الحرب لمعالجة الأمراض المعدية، وبخاصة التيفوس، وكان المستشفى مزوداً بغرفة عمليات مجهزة تجهيزاً كاملاً وصيدلية[5].

وبتولي الإدارة العسكرية حكم فلسطين أنشأت إدارة متخصصة بشؤون الصحة العامة في القدس وجعلت من المستشفى البلدي في المدينة مقراً لها، ووجهت النفقات المخصصة لهذه الدائرة لمكافحة الملاريا بشكل خاص، ولاتخاذ التدابير اللازمة لتحسين الأحوال الصحية العامة بشكل عام [1].

---

[1] السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني،** 98

[2] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني،** 484

[3] العسلي، كامل، **مقدمة في تاريخ الطب،** 219-220

[4] س.ش القدس 407، 2 صفر 1330هـ/ 21 كانون الثاني، 1912، 203

[5] غوشة، صبحي، **شمسنا لن تغيب،** 87-88؛ العسلي، كامل، **مقدمة في تاريخ الطب،** 219-220

2. مستشفى العيون (مستشفى القديس يوحنا)، كان قبل الحرب بعدة سنوات يقدم خدماته المجانية بشكل واسع ومعروف للمرضى كافة القادمين إليه من كافة المناطق المحيطة بفلسطين، من سيناء في مصر إلى حلب في شمال سوريا، وقد تعاقب على إدارة المستشفى عدد من كبار أطباء العيون الإنجليز[2]، وفي سنة 1914م احتل العثمانيون مبنى المستشفى وحولوه إلى مخزن للذخائر، وفي لليلة انسحابهم من المدينة قامت قواتهم بتفجيره فتهدم قسم منه[3]، وبدخول بريطانيا القدس وجد المستشفى بحالة يرثى لها، فاستغرق بناؤه عدة أشهر حتى الصبح جاهزاً لاستقبال المرضى [4]
3. المستشفى الألماني (مستشفى الشماسات الألمانيات)يعد من أكبر المستشفيات التي أقيمت في القدس حيث يتسع لمائة سرير، وقد بني خارج السور في حدود العام 1894م في الحي المعروف بالشيخ عكاشة وكان المقدسيون يطلقون عليه المستشفى المجيدي، حيث كان يتقاضى من كل مريض ليرة مجيدية مقابل إقامته في المستشفى مهما طالت مدة إقامته أو قصرت. وبعد الاحتلال البريطاني للقدس حوله الانجليز سنة 1918م لمستشفى عسكري[5].
4. المستشفى الروسي بناه الروس في مجمعهم الشهير المسكوبية الواقع خارج الأسوار في القدس سنة1859م لخدمة الحجاج الروس القادمين إلى المدينة، وقد اتخذته الإدارة العسكرية البريطانية سنة 1918ممستشفاً خاصاً لموظفيها، وأصبح فيما بعد مستشفى حكومياً لعلاج المرضى كافة[6].
5. مستشفى روتشيلد، وهو مستشفى خاص باليهود بناه المليونير اليهودي "روتشيلد" في بادئ الأمر سنة 1854 على قطعة أرض جنوبي شرق حارة اليهود في القدس، وفي سنة 1888م نقل المستشفى إلى مبنى جديد خارج السور في منطقة واقعة بين المسكوبية ودير الحبش [7]،وفي سنة 1918م_ونتيجة لتزايد أعداد المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين وبشكل كبير _عملت مؤسسة هداسا (المؤسسة الطبية الصهيونية الأمريكية) على إرسال بعثة طبية إلى فلسطين في سبيل

---

[1]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني،** 60

[2]Storrs , Ronald, **The Memoirs of Sir Ronald Storrs** ,p278

[3]Ibid,p278

المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني،** 63

[4]العسلي، كامل، **مقدمة في تاريخ الطب،** 227–228

[5]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني،** 64،

[6]المدني، زياد، **مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني،** 271 ؛المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني،، 65**

[7]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني،** 65، المدني، زياد، **مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني،** 271

تأمين الخدمات الصحية اللازمة لهم، وسميت الهيئة الطبية للأمريكان الصهيونيين[1]، وكانت هذه البعثة مؤلفة من أطباء، وممرضات، وغيرهم، فتولت إدارة المستشفى ونقلته بعد ذلك إلى مبنى جديد وكبير على جبل الطور، كما عملت على إنشاء العديد من المراكز الصحية في القدس، والمدن الرئيسية في فلسطين، وكان الفقراء من العرب يستفيدون من خدماتها أيضاً[2]. وهناك العديد من المستشفيات لكن لم يذكر لها شأن فترة الحرب[3].

والجدير بالذكر أن الحكومة العثمانية كانت قد أنشأت مستشفى للحيوانات لمعالجتها، لكثرة استخدامها في فترة الحرب في القدس [4].

ب- الصيدليات في القدس

وجدت في القدس أيضا صيدليات قدمت خدماتها، ولم نعثر بهذه الفترة إلا على صيدليتين: صيدلية حلبي إخوان وهي لصاحبها أنطوني بن حنا حلبي، وكان موقعها عند باب العامود وكان يباع فيها أدوية ومستحضرات مستوردة من بريطانيا، والصيدلية الإنجليزية والأميركانية لصاحبها الخواجا "جاك أسطفان" وكانت حديثة الإنشاء، وعلى الطراز الأوروبي، وموقعها تحت البوسطة (مكتب البريد)، وكان يتوفر فيها جميع الأدوية من مستحضرات إنجليزية، وفرنسية، وألمانية، كما كانت تبيع جميع أنواع الزينة وأصباغ الشعر[5].

ج- أطباء القدس

---

[1]العسلي، كامل، **مقدمة في تاريخ الطب**، 227-228

[2]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 66

[3]مستشفى الفرنسي (القديس يوسف) أنشىء خارج أسوار المدينة في منطقة (عقبة المنزل)بالقرب من دير اللاتين الفرنسيسكان، ولا يزال المستشفى قائماً إلى اليوم، وكذلك المستشفى الإيطالي فقد شرع الإيطاليون في بنائه عشية الحرب العالمية الأولى على طريق القديس عندبولس ومفترق الطرق المؤدية إلى باب العمود في منطقة الطليانية تم الانتهاء منه 1920م غوشة، صبحي، **شمسنا لن تغيب**، 1/87-88؛ العسلي، كامل، **مقدمة في تاريخ الطب** 230-237

[4]س.ش 413 ، 24 رمضان 1334هـ / 25 تموز 1916، 62

[5]**مرآة الشرق** ع 17، 1920/1/7؛ العسلي، كامل، **مقدمة في تاريخ الطب**، 241-242

برز عدد من الأطباء المقدسين، منهم من عمل داخل القدس في فترة الحرب، ومنهم من عمل خارجها منهم:

1. حسام أبو السعود، كان من رجالات الحركة الوطنية[1].
2. حسين فخري راغب الخالدي تخرج سنة 1916 من كلية الطب العثمانية في بيروت، وعمل مع الجيش العثماني، وهو أول طبيب في فلسطين، تخصص في الطب الشرعي بعد أن درسه في معهد الحقوق بالقدس[2].
3. يوسف بشارة مانويل: أول طبيب أسنان عمل في القدس منذ العهد العثماني، واستمر في مزاولة عمله حتى 1941[3]م.
4. نقولا شحادة :وهو من أوائل الأطباء الذين أوقفوا أنفسهم لمكافحة مرض الملاريا المنتشر آنذاك بكثرة في القدس وفي أنحاء فلسطين كافة، وهو صاحب جريدة مرآة الشرق المقدسية[4].
5. توفيق بشارة كنعان: هو من أشهر أطباء القدس على الإطلاق منذ أوائل القرن العشرين، وفي فترة الحرب العالمية الأولى عمل طبيباً في الجيش العثماني بالناصرة، ثم رئيساً للمختبرات الطبية في الجيش وخدم فيما بعد في مختبرات الجيش البريطاني لمدة شهرين[5].

د-الأمراض

عاشت القدس ظروفاً اجتماعية قاسية، وابتليت بأوضاع اقتصادية أقسى، وكانت أياماً صعبة عاشتها القدس، فالجوع، والفقر، وظهور الشحاذة، والدعارة، وتردي الآداب العامة، وكان سببه الوضع الاقتصادي المتردي، والذي أوجدته الحكومة العثمانية بسبب سوء تصرفها خلال الحرب، فهي وضعت الناس على أبواب المجاعة، فما الذي قامت به الحكومة لجعل الناس تعيش وضعاً اقتصادياً صعباً انعكس ذلك على تصرفاتهم وعلى أساليب حياتهم ؟

انتشرت الأمراض والأوبئة في فلسطين، نتيجة لسوء التغذية، وانعدام الرعاية الصحية والخدمات الطبية، ووسائل الوقاية، وقد ساهم على انتشار الأمراض المعدية والأوبئة تنقلها بين الجيش بالإضافة إلى سوء أو انعدام شبكات تصريف المياه، فانتشر التيفوس والجدري، والزهري والكوليرا[6].

---

[1]نويهض، عجاج، **رجال من فلسطين**،142

[2]العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، 150-152

[3]نويهض، عجاج، **رجال من فلسطين**،243 ؛ المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 67

[4]**مرآة الشرق**، ع6/،1919/10/29

[5]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 67-68

[6]**البيان**، ع 895، 15 كانون أول، 1917؛الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 482

كانت القدس ما تزال تشهد انتشاراً كبيراً لمرض الملاريا بين مواطنيها ومن مختلف الطبقات، وذلك نتيجة لاعتماد السكان فيها على صهاريج من مادتي التنك والصاج؛ لتزويدهم بالمياه وهي الوسيلة غير الآمنة صحياً[1]، كما كانت تكثر فيها حالات وفيات الأطفال، ويعزى السبب في ذلك وبشكل رئيسي إلى عدم توفر الخدمات الصحية بوفرة، وكذلك عدم توفر الوعي الصحي بين السكان حيث كان اعتماد السواد الأعظم منها في معالجة الأمراض على أساليب الطب الشعبي السائدة بدلاً من مراجعة الأطباء، وفي كثير من الأحيان يرجعون في ذلك إلى المفاهيم والتقاليد البالية[2].

مع نشوب الحرب العالمية الأولى انتشرت الأمراض بأحياء البلدة القديمة في القدس، وأخذت تفتك بكل الناس من أطيافه كافة، ومما جعل الأمراض تتفاقم، نقل الكثيرين من الأطباء إلى مراكز القتال، وذلك من أجل معالجة الجنود المصابين بالأمراض فلا أطباء ولا دواء فكثر الموتى في القدس [3].

هذا وقد تعرض المسلمون بالأمراض أكثر من غيرهم، وفتكت بهم لعدم اعتنائهم بصحتهم، على حد تعبير العسكري "إحسان الترجمان" في مذكراته: "وقد أخبرني من أثق بكلامه أنه سمع من أحد مأموري الصحة إنه أصيب بهذا الداء أربع بيوم واحد في باب حطة_ حي من أحياء البلدة القديمة في القدس_ أليس لأنهم لا يعتنون بصحتهم"، وكان إحسان يخاف من أن يصاب بالأمراض خصوصاً أنه يقضي وقته بين العساكر والمكان مليء بالبراغيث والقمل أيضاً، فقد أصيب بالهوس المرضي وأخذ يفحص جسمه يومياً بحثاً عن دلائل المرض، وكان خوفه من الإصابة بالأمراض المنتشرة في فلسطين خلال الحرب كالملاريا، الكوليرا، والتيفوس، وكان خوفه مبرراً فقد مات العديد من معارفه ورفاقه نتيجة الإصابة بأحد هذه الأوبئة[4] وكانت قد صدرت أوامر من "جمال باشا" بعدم جواز الجنود أن يبيتوا في بيوتهم لئلا يصابوا بالأمراض، والمحافظة على الصحة العامة، ورمي النفايات في سلات المهملات وتغطيتها لئلا تنتشر الأمراض، وغسل الأيدي بالماء والصابون جيداً عند ملامسة أي شيء خاصة بعد الخروج من المنزل ولكن هذه الأوامر لم تأت أكلها فالأمراض في كل مكان، ولم يسلم أحد من الإصابة بها[5]، مما أدى لوفاة الكثيرين[6]، ونتيجة لتفشي الأمراض والذي تزامن مع المجاعة في البلاد

---

[1] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 61

[2] العسلي، كامل، **مقدمة في تاريخ الطب**، 197

[3] **البيان**، ع 895، 15 كانون أول، 1917م

[4] تماري، سليم، **عام الجراد**،62

[5] أوراق محفوظة في مركز إحياء التراث

[6] تماري، سليم، **عام الجراد**، 201

البلاد وظروف الحرب خسرت القدس ما يقرب من 50,000نسمة أي ما يقارب من نصف سكانها[1] .

ثانياً :- الأوضاع الاقتصادية في القدس خلال الحرب العالمية الأولى

كانت فلسطين كسائر البلاد العثمانية، قد أخذت نصيبها من إجراءات الحروب، فالدولة العثمانية أثقلت كاهل الناس بمصادرة ما يقع تحت أيديها من محاصيل، وأثاث، وأراض، إلى أن جاء الجراد عام 1915م، وأكل الأخضر واليابس، وارتفعت الأسعار ووقع الناس تحت طائلة الديون والفقر، والجوع، وازدادت الأوضاع سوءاً، فلا تجارة، ولا صناعة، ولا حتى سياحة في البلاد فالحرب قضت على البشر والحجر، وساءت أوضاع الناس في كثير من الأمور [2] .

- مصادرة الحكومة ممتلكات الناس

خلت مدينة القدس أيام الحرب من معظم رجالها، وبقيت النساء، والصغار، والكهول فقط فيها[3]،وكان الأتراك يحتاجون إلى مال أكثر لتمويل الحرب، فقد قاموا بالاعتداء على السكان ونهب الأموال، وفرض العقوبات والغرامات الجماعية[4]، وكان الجيش التركي المرابط في فلسطين بحاجة إلى غذاء، لذلك استولى الجيش التركي على المخزون الغذائي في القدس وفي القرى المجاورة، حيث كان الجيش العثماني يقتحمونها فيأخذون مخزون الفلاحين من القمح، والشعير وباقي الحبوب، فلم يبق منها ما يكفي للزراعة ويصادرون الدواجن، والأغنام، والأبقار، والجمال وحتى الحمير، والبغال دون أن يتركوا منها ما يصلح للتوليد والتناسل حتى يضمنوا مواصلة إنتاج تلك الثروة الحيوانية في البلاد[5].

وكان الجيش التركي يستخدم الرجال عوضا عن الدواب، فكان هؤلاء يحملون المتاع على ظهورهم من القدس إلى الخليل، وبئر السبع، وكانوا يلقبون بحمير الوطن، فكنت ترى القوافل من هؤلاء البشر والقوافل من الجمال جنباً إلى جنب، والمأساة أنه لما وصلت السيارات النمساوية والألمانية الصالحة كان ذلك يعد فوات الأوان[6] .

---

[1]جبارة، تيسير، وآخرون، **تاريخ القدس**، 235

[2]شوفاني، إلياس، **الموجز في تاريخ فلسطين**، 355

[3]**البيان**،ع 568، 23 تشرين الثاني 14،1917

[4]الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 79؛ البرغوثي، عمر، طوطح، خليل، **تاريخ فلسطين**،274

[5]س.ش413، 24 رمضان1334، / 25 تموز 63،1916

[6]الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات**، 55

هذا وكانت الحكومة تصادر كل شيء فصادرت الدراجات، ولم يكن أحد يمر من باب الخليل على دراجته إلا أنزلوه منها وأخذوها منه[1]، كذلك اقتحم الجنود البيوت ومخازن الناس التي كانت تخفي بعض المواد الغذائية بعيداً عن عيون الأتراك حتى لا تتم مصادرتها، ولكن الحرب كانت طويلة وبدأ المخزون من الطعام بالتناقص، وكان معيلو معظم الأسر قد تم تجنيدهم، وقلت الأخبار الواردة منهم وقل وصول القرويين أيضا للقدس من القرى المجاورة، لأنه لم يبق عندهم محاصيل زراعية ليبيعوها في المدينة[2].ووصل التردي في أوضاع الحكومة إلى أن طلبت من الناس أن يقدم كل منهم صندوق كاز فارغاً وصفيحتين فارغتين، وكيساً من الخيش [3].

عاش الناس في القدس في حالة صعبة جداً، إذ اختفت البضائع من الأسواق كالطحين، والقمح والسكر والشاي، وإن وجد بعضها فثمنه ارتفع ارتفاعاً كثيراً بحيث لم يتمكن معظم الناس من شراء قوت يومهم[4]

ولم تسلم الأشجار الحرجية والأشجار المثمرة أيضا من الأذى التركي، وكانت هناك حاجة إلى أخشاب كثيرة إما للتدفئة، وإما لاستكمال بناء خطوط سكك حديدية لخدمة تنقلات الجيش العثماني أو لحرقها لتسيير القطارات البخارية، لم تكتف الحكومة عند هذا الحد بل صارت تتاجر بالأخشاب وتبيع الحطب إلى الأفران، مما أدى إلى اقتلاع الكثير من أشجار فلسطين، ويذكر أن المنطقة من قمة جبل الزيتون وحتى الخان الأحمر كانت منطقة حرجية، إذ اقتلع الأتراك جميع الأشجار في تلك المنطقة، وكان جزء منها اقتلع عند إنشاء الخط الحديدي الحجازي، وخطوط سكة الحديد الداخلية قبل ذلك، والباقي تم اقتلاعه أيام الحرب العالمية الأولى فأصبحت منطقة قاحلة وشبه صحراوية[5].

ويحدثنا العسكري" إحسان الترجمان" في مذكراته عن قصته ومصادرة الحكومة لأرضه بمنطقة كرم الأعرج حيث كانت الأرض مغروسة بأشجار الزيتون، وعبر عن فعلة الحكومة هذه باستهزاء يشوبه القهر "لأن الحكومة تأخذ، وتكسر، وتبيع كأنها شيء من مخلفات السلطان أو الدولة، ولو كانت كذلك لما قدر أحد أن يأخذ منها بل احتفظوا بها، ولمن يشكو الناس عن أوضاعهم للضباط؟ سيقولون لا

[1] السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 240/2

[2] شوفاني، إلياس، **موجز تاريخ فلسطين**، 345

[3] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 480؛ السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 131

[4] مناع، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 280

[5] أوراق شخصية لتوفيق أبو السعود المولد في القدس عام 1902 م وهي محفوظة لدى عزام توفيق أبو السعود كاتب وباحث متخصص في شؤون القدس ؛شوفاني، إلياس، **موجز تاريخ فلسطين**، 345

نقدر أن نضبط العساكر، وإن قلنا لمن هم أعلى منهم رتبة يظنون أن هذا مالهم ولهم الحق بذلك لأن كل شيء يفعله العسكري جائزاً[1].

نلاحظ أن الدولة العثمانية تتخبط في الإجراءات التي قامت بها ، دون وعي ودون انتظام، هذا دليل على الضعف ، دولة لا تملك الإمكانيات اللازمة لتخوض الحرب ،تسرق وتنهب سكانها ، وما كان ذلك إلا زيادة الحقد والكره للحكومة العثمانية ، والذي انقلب ضدها بعد أن سئم الناس من تجريدهم من كل ما يملكون، تحت قوة السوط

ومما زاد الطين بلة على الناس وتردي الأوضاع الاقتصادية في البلاد، غزو الجراد لفلسطين وباقي بلاد الشام عام 1915م، وكان الجراد في القدس قد وصل إلى البلدة القديمة، فباب الخليل وباب المغاربة والمناطق المحاذية للحرم الشريف، وفلسطين كافة، وجاء في تقرير قنصل أمريكا في القدس عن الجراد قوله:" نكبت فلسطين في سنة 1915م بجراد لم ير الجيل الحاضر مثله في كثافة جيوشه فقد غطت جيوش أرجله الحقول، وامتدت منها إلى أسواق القدس، فكان منظر الشارع الذي أمام القنصلية الأمريكية وجيوش الجراد السواء والخضراء زاحفة فيه، كمنظر نهر جار ويظهر أنه التهم كل خضراء ويابسة من غابات الزيتون وبساتين من الأثمار والكروم ومعظم المواسم الصيفية[2]" .

كثر الجراد الطيار وأكل الأشجار، ولم يكن هناك وسائل مكافحة حديثة، ولم يكن هناك طائرات ترش مبيدات ولا هم يحزنون، الناس نزلوا على الحقول لقتل الجراد بأيديهم . وقد كان أصحاب البساتين يحملون التنك وتدق عليه لتطيره عن ثمارهم ولكن دون جدوى، فارتفعت أسعار الخضار ارتفاعاً باهظاً لم تر القدس مثله في السنين الفائتة[3].

أصدرت الحكومة أمراً بأن يذهب من هو في سن 15إلى 60 ليجمع 20 كيلو من بيض الجراد، ولم يبق في المدينة غير العجزة والأولاد الصغار[4]، حتى أن الأهالي لم تتجول في الأسواق، لأن البوليس كان يأخذ من يجده في طريقه لإهلاك الجراد، ولكن الحكومة كانت تسوق الفقراء والضعفاء، ويترك الوجهاء والأغنياء، وقالت الحكومة أن من لا يريد الذهاب يدفع جزاءً أو بدلاً وجعلت المبلغ المطلوب دفعه على الأغنياء ليرة عثمانية، وعلى متوسطي الحال 60غرشاً صاغا[5] وعلى الفقراء 30 غرشاً[1]

---

[1]تماري، سليم، **عام الجراد،** 79

[2]الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين،** 10−161

[3]حمودة، سميح، **ذكريات المعلم المقدسي فؤاد اسعد أبو السعود حوليات القدس،** ع 9، 21

[4]أبو بكر، أمين، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس،** 522

[5]الصاغ، هي القيمة التي تحددها الحكومة، وهي كلمة تركية، تعني سليماً وصالحاً غير فاسد، العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس،** 514

وكذلك عينت الحكومة العثمانية لجنة لمكافحة الجراد بقيادة الدكتور أهرونسون مدير حقول الاختبار الخاصة باليهود.

اعترض الكثير من الناس على قيام الحكومة العثمانية بفرض ضريبة الجراد، لمن لا يريد جمع بيض الجراد[2]،ولكن من وجهة نظر الباحثة هذا صواب، فإن فقس بيض الجراد معادٍ للجميع فلا غني يسلم ولا فقير، ومتى انتشر الجراد حتى يجعل الأراضي قاحلة صحراء فارغة، وكان على الحكومة أن تتخذ التدابير اللازمة للذين يذهبون لجمع البيض من مأوى، ومأكل، ومشرب، ولكنها تذكرت أشياء وتركت أشياء.

قضى الجراد على المزروعات كافة في البلاد باستثناء الحنطة؛ لأن تفريخ البيض كان أيام الحصاد بعد أن نضجت الحنطة وصلبت، أما المزروعات الصيفية كالذرة والقطاني فلم تنج، وكذلك أتلفت الخضروات والأثمار، كالبطيخ، والشمام، والخيار، والبندورة، والعنب، والتين، ولم ينج من الأثمار إلا برتقال يافا ؛بسبب اجتهاد الأهالي في مقاومة الجراد، وعلى أثر الرياح البحرية التي كانت تهب شرقاً وتمنع الجراد من التقدم إلى الساحل[3] .

أعلن الأتراك عن أن كل من يجمع مائة جرادة ويسلمها للمأمور تصرف له مكافأة بارة أو بشلك _كانتا أصغر عملة تركية_ وكان الأولاد يخرجون إلى السهول، والجبال، والوديان، يحمل كل منهم علبة يجمعون فيه الجراد، ويعودون لتسليمها في القشلة(المعسكر) بالقدس للمأمور ليقبضوا البارة أو البشلك، ورغم ذلك فقد قضى الجراد على الأخضر واليابس، ولم يبق للناس ما يأكلونه فزادت المجاعة[4] .

إن الهدف الذي كانت تصبو غليه الدولة العثمانية من وراء فرض ضريبة الجراد، هو إهلاك الجراد، الذي لن يسلم منه الغني ولا الفقير، وهذا إجراء صائب، للتخفيف ولو قليلاً من حجم الكوارث التي ألمت بالناس خلال الحرب

وكانت جريدة المقتبس الدمشقية قدر قدرت زنة البيوض التي تم إتلافها في متصرفية القدس 1915م 40000كغم. كما ذكرت الجريدة طرقاً عديدة للتخلص من الجراد منها: الشيد الأبيض وهو محلول من

---

[1]تماري، سليم، **عام الجراد**، 160

[2]تماري، سليم، **عام الجراد** ، 130

[3]الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**، 160

[4]أوراق شخصية لتوفيق أبو السعود المولد في القدس عام 1902 م وهي محفوظة لدى عزام توفيق أبو السعود كاتب وباحث متخصص في شؤون القدس؛ أبو السعود، عزام، **رواية صبري**، 30

الصابون النابلسي، ووضع حواجز ملساء على طرفين متقابلين حتى يتجمع فيه الجراد وسحبه على الخندق فيقتل ويباد، ويتم حرقه[1]، وكانت هذه الإجراءات ناجعة، فعندما عادت أسراب الجراد عام 1916 م ثانية إلى المنطقة كانت إجراءات الحكومة والأهالي له بالمرصاد[2]، والطريف في الأمر أنه بعد رحيل الجراد كانت النباتات الشوكية هي أول نباتات بدأت تنمو في الأرض والسكان لاحظوا أن الجمال تأكل هذه النباتات الشوكية، فقدروا أن في هذه الشوكيات غذاءً مفيداً يمكن أن يسد جوع الناس، وكان العكوب أحد هذه النباتات، ولم يسبق للناس أن أكلوا العكوب، وبدأوا يزيلون الأشواك منها، وتذوقوه، فوجدوا أن طعمه مستساغاً، وجربوه في الطبخ، فوجدوا أنه لذيذ الطعم، وخرج النساء في القرى والمدن إلى الجبال يجمعن العكوب، وكن يقضين الساعات الطوال في إزالة الشوك، أو تعكيبه ليصبح صالحاً للأكل وكانت أيديهم وأصابعهم تنزف بالدماء، لكن الله عوضهم بالعكوب بعدما فقدوا الخضار والحبوب، وكما حصل بالعكوب في الجبال، فإن نبتة الخرفيش وهي شوكية أيضاً، كانت أول من نبت قرب الينابيع والأنهار في السهول وفي الغور، فكان الناس يجمعون الخرفيش ويقشرونه ويأكلونه، وأصبح العكوب فيما بعد أكلة يشتهيها الناس، وأصبحت بعد فترة غالية الثمن، وقد أدى الجوع إلى اكتشاف العكوب كأكلة فلسطينية تقليدية تراثية[3] .

- تكية خاصكي سلطان ودورها في تأمين احتياجات السكان

عاشت فلسطين أيام الحرب العالمية الأولى مجاعة قاسية لكن كان في القدس تكية تدعى تكية خاصكي سلطان[4] _في عقبة التكية بالبلد القديمة_، وكانت تقدم شوربة القمح، "شوربة الفريكه"

---

[1] **المقتبس،** ع 587، 9 أيار، 1915

[2] **نفسه.**

[3] أوراق شخصية لتوفيق أبو السعود المولد في القدس عام 1902 م وهي محفوظة لدى عزام توفيق ابو السعود كاتب وباحث متخصص في شؤون القدس

[4] تكية خاصكي سلطان، واقعة بالتحديد في عقبة المفتي أنشأتها روكسلانة، زوجة السلطان سليمان القانوني، سنة 959هـ- 1552م،لمساعدة الفقراء وبقيت التكية مستمرة في تقديمها الخدمات الجليلة للفقراء، والدراويش، والمرابطين والمسافرين لمئات السنين ، ويقع مبنى تكية خاصكي سلطان بجوار المسجد الأقصى المبارك وضمن مبنى دار الأيتام الإسلامية الصناعية حاليا في منتصف عقبة التكية من الجهة الجنوبية ما بين رباط بايرام جاويش من الشرق وسرايا الست طنشق من الغرب، وقد كانت تكية خاصكي سلطان من أكبر المؤسسات الخيرية في فلسطين طيلة العهد العثماني، واستمرت في تقديمها الخدمات الجليلة للفقراء والدراويش والمرابطين والمسافرين لمئات السنين، وكان ذلك بفضل مبنى التكية ووقفيتها التي حررتها عام 964 هجري .ولكي تضمن خاصكي سلطان استمرارية الحياة والعطاء لتكيتها، فقد أوقفت عليها قرى ومشاريع تدر أرباحا تسد احتياجات التكية ومصاريفها والعاملين عليها، ومن هذه القرى قرية اللد " بيت إكسا، كفر عانا، بيت لقيا، بئر معين، السافرية، وبلغت المشاريع والقرى الموقوفة على التكية 29 قرية

المشهورة، وكان فقراء القدس يذهبون كل يوم، يصطفون في الطابور أمامها، ولم يكن هناك تفرقة في تقديم الشوربة بين العائلات المسلمة والعائلات المسيحية، فسجلات التكية تظهر أسماء كثير من العائلات المسيحية كانت تصرف لهم شوربة التكية[1] . حيث كان يتوجه ممثل عن كل أسرة مقدسية إلى التكية وهو يحمل في يده حلته النحاسية ويتم ملؤها بالشوربة، وكان الطابور يمتد من باب الناظر (باب المجلس) وحتى التكية[2].

هذا وقد ساوى الجوع أيام الحرب العالمية الأولى بين الطبقات في القدس، فكان أولاد الذوات وأولاد العائلات المقدسية الكبيرة، والشهيرة، والثرية يقف أبناؤهم في طابور التكية للحصول على نصيبهم من الشوربة مثلهم مثل أبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة ، والتكية تعطي للناس في القدس مسلمين أو مسيحيين، طعاما يبقيهم أحياء، وعائلات كثيرة لم يتعد ما يدخل بطونهم من طعام سوى شوربة التكية، والتي كانت توزع الطعام مجاناً يومياً، وكان للناس بطاقات وسجلات حتى يحصل كل منهم على كمية محددة من الشوربة، وفي سنة 1915م تقلص توزيع الحصص إلى مرة كل يومين، وفي عام 1917 م أصبح مرتين في الأسبوع، ومن الطريف في هذا الموضوع، أن مأمور التسجيل في التكية أيام الحرب، كان يطلب من الذين يسجلون، أن لا يرسلوا جواريهم أو عبيدهم أو خدمهم لتسلم حصصهم، لأن الجواري، والعبيد، والخدم يشربون نصف كمية الشوربة في الطريق[3]،مما يشير إلى أن بعض العائلات في ذلك الوقت كانت تملك جواري أو عبيداً في بيوتها.

ومزرعة ومشروعًا حسب ما ورد في وقفيتها، كما ورتبت العاملين المهرة والموظفين المختصين ليقوموا بعملهم خير قيام، إلا أن هذه الأوقاف لا ترد شيئا لاستيلاء الاحتلال عليها . مبنى التكية الحالي ...ويتألف مبنى التكية الآن من قاعة مطبخ لإعداد الشوربة وأصناف الطعام الأخرى، والقاعة تتألف من بهو مغطى بأقبية متقاطعة، جزء منه مغطى قبو مروحي تتوسطه قبة صغيرة بها نوافذ، وفي الجزء الجنوبي مغطى بأشكال مخروطية لعملية التهوية، وفي الجهة الغربية موقدين من الحجر عليها قدور نحاسية كبيرة، كانت فيما مضى لإعداد الشوربة، ويتبع هذه القاعة غرف تقع في الجهة الشرقية تستخدم كمستودع للغلال والمواد التموينية والحبوب، وفرن خبز يقع في الجهة الشمالية المقابلة لقاعة المطبخ، ثم أعيد تشغيله لصالح لجنة زكاة القدس وإلى جوار المخبز غرف لخزن الغلال والحطب .العسلي، كامل من آثارنا في بيت المقدس، 13–14؛ مرار، آمال، **تكية خاصكي سلطان قصة مكان حفرت في ذاكرة الأيام المقدسية الخيرية**، مجلة العاصمة، ع 32، 15–16؛العسلي، كامل، **من آثارنا في بيت المقدس**، 16–17.

[1] مرار، آمال، **تكية خاصكي سلطان قصة مكان حفرت في ذاكرة الأيام المقدسية الخيرية**، مجلة العاصمة،ع32،14

[2] أوراق شخصية لتوفيق أبو السعود المولد في القدس عام 1902 م وهي محفوظة لدى عزام توفيق أبو السعود كاتب وباحث متخصص في شؤون القدس.

[3] أوراق شخصية لتوفيق أبو السعود المولد في القدس عام 1902 م وهي محفوظة لدى عزام توفيق أبو السعود كاتب وباحث متخصص في شؤون القدس

- **الضرائب**

فرضت الحكومة على الأهالي إعانات وتكاليف حربية طارئة، وتحت هذا الشعار أخذت تعمل على ابتزاز الأهالي والإثقال على كاهلهم في دفع هذه الضرائب، ففرضت 50% على الأملاك، و25 % على الأرض و25%على الحيوانات، وأعدت أماكن خاصة لتخزين كل ما يجمع من تموين من الأهالي في كل منطقة[1].

ولتنظيم جمع التكاليف الحربية من الأهالي في مدينة القدس، شكلت الحكومة لجنة لجمع تلك التكاليف برئاسة "صالح العلمي" الذي كان يشغل وظيفة الرئيس الأول لشاويشية البلدية، إذ كانت هذه التكاليف تجمع بواسطة دائرة بلدية القدس، وتحت إشراف أحد ضباط الجيش[2]، وكان أعضاء اللجنة يدخلون كل محل من المحلات التجارية في المدينة يجمعون الكميات الكبيرة من كل نوع يحتوي عليه المحل التجاري ويحكي" واصف جوهرية"_ والذي كان مرافقاً لرئيس البلدية "حسين الحسيني" والذي ائتمنه على مفتاح المخزن الذي كانت تجمع فيه التكاليف _الفوضى التي كانت تمارسها لجنة جمع التكاليف الحربية وعدم ارتكازها على أسس واضحة ومعقولة، حيث يقول إنه كان يستلم مرات عديدة كلسات سيدات، ثم دوميات وألعاب الأطفال، وكان يتساءل ماذا تريد الحكومة من هذه الأشياء بساحات القتال[3].

وقد ضاعفت الحكومة ضريبة العشر وأصبحت ثلاثة أعشار، كذلك فرضت العسكرية العثمانية على الملة الأرثوذكسية ألف مضربية على العسكر(نوع من الرداء)، وكان ثمن الضريبة الواحدة 12 قرشاً [4] .بالإضافة إلى ضريبة الجراد التي فرضتها بدل القيام بجمع بيضه-كما أشرنا سابقا- ووضعت الحكومة ضريبة عشرين غرشاً على كل شعار معلق على المخازن والمحال التجارية وغيرها، فجعل الناس ينزلون اللوحات المعلقة[5]، كذلك قامت الحكومة بفرض ضريبة على قومسيون البلدية وعلى تراجم القناصل ومستخدميها وبعض التجار مساهمة تتراوح بين أربع وعشر ليرات[6]

---

[1]صبري، بهجت، **فلسطين**، 60

[2]الشورة، صالح، **مدينة القدس تحت الاحتلال والانتداب البريطاني**، 82

[3]تماري، سليم، **القدس العثمانية**، 188

[4]السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 102

[5] **نفسه** ، 118/2

[6]**نفسه**، 125

ولا تزال الحكومة تلح في تكليف الأهالي بتدبير لوازم العسكر بحيث جاوزوا الحد، وأخذ الناس يضجون من ثقل هذه التكاليف، ويخشى أن لا يبقى شيء بين أيدي الناس[1] .

- ارتفاع الأسعار

في أعقاب الحرب وما نجم عنها من إغلاق الطرق البحرية والبرية وتوقف الاستيراد من الدول الأخرى شهدت المدن الفلسطينية وبخاصة مدينة القدس ارتفاعاً فاحشاً في أسعار كثير من المواد التموينية الأساسية، ومصادرة الحكومة مؤونة الشعب، حيث عينت لكل شخص مؤونته وبذاره فقط، وعمت البلاد شبه مجاعة، وقد فقدت من الأسواق مواد هامة، كالسكر، والأرز، والقهوة والكاز، والكبريت وكانت السلع القليلة المتوفرة تباع بأربعة أضعاف ثمنها في الأسواق، وكثيراً ما اضطر العائلات وحتى الأكثرية منها إلى بيع أثاثها كي تحصل على الضروريات، ثم كانت الكارثة الكبرى التي تمثلت بانتشار الجراد الذي أدى إلى الغلاء بعد أكله الأخضر واليابس في البلاد[2] وبانتشار الأوبئة الفتاكة، كالتيفوس، والكوليرا والدسنطاريا، والتيفوئيد[3].

ويبدو أن التجار حاولوا الإفادة واستغلال ظروف الحرب وما بعد الحرب حيث استمروا فيما بعد في رفع أسعار بضائعهم بشكل كبير، فكانت مشكلة الغلاء الشغل الشاغل للمواطنين كافة وبجميع مستوياتهم المعيشية، ومن العادات السيئة التي كانت منتشرة آنذاك في القدس عادة المساومة بين المشترين والباعة على أسعار الحاجيات نتيجة لعدم ثبات الأسعار، ولا زلنا نشهد هذه الظاهرة في بلادنا إلى يومنا هذا وكذلك تلاعب بعض التجار في الموازين والأفران في إنقاص أوزان أرغفة الخبز التي تبعها عن الوزن المحدد من قبل البلدية لكن أكثرها سوءاً كانت محاولة بعض التجار الثراء من خلال استغلال ظروف شح الموارد التموينية في البلاد، وذلك باحتكارها أو الامتناع عن بيعها بالأسعار المعلنة والمسموح بها، ونتيجة لخطورة هذا الأمر وانعكاساته السلبية على الاستقرار في البلاد[4]، وهنا يحدثنا" إحسان الترجمان" معبراً عن هذه الحالة " إذا انقطع القمح مدة عن القدس أو عن عن غيرها فإن معظم الأغنياء قد احتاطوا وخزنوا في بيوتهم مئونة سنة، أو أكثر، أو أقل، أو إنزال القمح إلى السوق السوداء ليباع للفلاحين أنفسهم الذين صودر منهم القمح وبضعف السعر الذي أُخذ منهم ، حتى أن بعض الفلاحين احتفظوا بمخزونهم من القمح ورفضوا بيعه إلا بأسعار مرتفعة جداً

---

[1]طوطح، **تاريخ فلسطين،** 270، مناع، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني،** 260

[2]الياس، خضر، **فلسطين الدامية،** 63/1

[3]الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات،** 51

[4]المهتدي، عبلة، **القدس والاحتلال العسكري البريطاني،** 52–53

وبالعملة الذهبية[1]، ويعبر "إحسان الترجمان" عن هذا الوضع السيء بقوله: "إذا بقي الحال كذلك فإن الأهالي ستثور على الحكومة، فالشعب يتخلى عن كل شيء إلا عن الأكل وخصوصا القمح، واستغنوا عن السكر والأرز، أما القمح فلا يستطيعون[2]".

كادت الأهالي تموت جوعاً فقد فقدت جميع الأشياء حتى الضرورية، ولم يعد الأهالي يتحملون أكثر من ذلك، وارتفعت أسعار الخضار ولم ير في السوق إلا البرتقال والقليل من البندورة، وسبب وجود البرتقال في القدس لأن يافا لم ترسل إلى إنجلترا شيئاً من ذلك، ولم تستطع أن تصدر إلى الخارج فبقي في البلاد وكثر[3].
ولعل الجدول الآتي يبين أسعار بعض المواد التموينية في القدس خلال فترة الحرب بالرطل [4].

الخيار	7.5غرش
الطحين	8 غروش
السكر المستورد	60 غرشاً
الأرز	مجيدي[5] ونصف
رطل سيرج وزيت وسماق[6]	110غروش
عدس وبرغل	38 غرشاً
أرجيلة ومصباح نقل	20غرشاً

المصدر:- س.ش،414، 24 جمادى الآخرة، 1336، 640

كانت العملة العثمانية في حالة الحرب تتأرجح بين الارتفاع والهبوط، وسنعرض فئات العملة حتى نهاية الحرب، حيث تطلعنا مذكرات "إحسان الترجمان" على أسعار العملة بداية عام 1915 م والتي بدأت بالهبوط بقوله: "نزلت العملة في 27 كانون أول 1915، 20 صفر 1334هـ/ اعتباراً من أول الشهر، فقد صارت العملة كما يلي.

العملة القديمة	العملة الجديدة

[1] Storrs ,Ronald, **The Memoirs of Sir Ronald Storrs** ,p302-303

[2] عدوان، ممدوح، **أعدائي**، 477تماري، سليم، **عام الجراد**، 287

[3] تماري، سليم، **عام الجراد**،226، مناع، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 260-261

[4] تماري، سليم، **عام الجراد**،283، كانت العملة العثمانية في بداية الحرب ذا قيمة كبيرة، والليرة العثمانية تصرف بمائة قرش، ثم تدهورت الليرة التركية في فترات الحرب فيما بعد، **القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية**، 266

[5] قطعة نقدية من الفضة يساوي المجيدي 19 غرشاً ونصفاً العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، 515

[6] **س.ش،414**، 24 جمادى الآخرة، 1336، 640

غروش	غروش
136.10 الليرة الانجليزية	120 الليرة الانجليزية
125.10 الليرة العثمانية	108 الليرة العثمانية
109 الليرة الافرنسية	95 الليرة الافرنسية
23 المجيدي	20 المجيدي
5 الربع (القرش على حساب 3 متاليك وبارتين ونصف	

المصدر :- تماري، سليم، **عام الجراد**،288

كانت أكبر عملية إصدار للعملة الورقية العثمانية قد حدثت خلال الحرب العالمية الأولى وخلال الفترة 1915-1918م وسميت هذه العملة البنكنوت (البانقنوط)، وقد شكلت تلك الحرب ضغطاً اقتصادياً ومالياً هائلاً على الدولة، لذلك تم إصدار العملة الورقية الجديدة، وطرحت للتداول بكميات كبيرة، واختفت النقود الفضية من التداول، ونتيجة لأوضاع الحرب حاولت الدولة وأثناء الحرب إصلاح الجانب النقدي لتضع حداً لتداول كل النقود، وأصدرت 1916م قانون توحيد المسكوكات والنقود العثماني بهدف القضاء على الفوضى النقدية في الدولة. حيث تعتمد الغرش كوحدة للعملة العثمانية الرئيسي ويساوي 40 بارة من النيكل، واعتماد قاعدة كل 100غرش تعادل ليرة ذهبية أو ورقية واحدة، وتوحيد أسعار صرف النقود الفضية في جميع أنحاء الدولة، وإلغاء أسعار الصرف المتنوعة للمدفوعات الفضية، وجعل الذهب القاعدة الوحيدة للعملة العثمانية، وإلغاء (قدم الفضة) كقاعدة للنظام النقدي العثماني القديم والذي كان يعتمد الثنائي المعدني (الفضة والذهب[1]).

إذن كانت العملة الورقية التي أصدرتها الدولة العثمانية 1916 م غير قابلة للاستبدال؛ وكانت قيمتها تعادل 10% فقط من قيمتها الحقيقية[2]،حيث فشلت الدولة في تثبيت أسعار تلك العملة بسبب ظروف الحرب حتى غدت قيمة تلك العملة تتفاوت بين مدينة وأخرى، بل من قرية لأخرى ويتحدث المعلم المقدسي" أبو السعود "عن تلاعب التجار بالعملة العثمانية" البنكنوت "التي أصدرتها الدولة، وتخفيضهم لقيمتها، حتى أصبحت ورقة المئة قرش تصرف بعشرين فقط، ممّا جعل التبادل التجاري معتمداً على العملة الذهبية(الليرة الذهبية)،والتي لم يكن غالب الشعب يملكها[3].

[1]شقيرات، أحمد، **أوراق النقد العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى 1915-1918**، مجلة جامعة اليرموك، ع96، 5
[2]**نفسه**، 7-8

[3]حمودة، سميح، **ذكريات المعلم المقدسي فؤاد أسعد أبو السعود**، حوليات القدس، ع 9، 21

طبعت الحكومة في بداية إصدار العملة الورقية بانقنوطاً(بنكنوت)مقداره لا يقل عن العشرين أو ال25 ليرة عثمانية[1]،وأول ما طبعت هذه الحكومة أوراقاً، بسعر 5 ليرات عثمانية وبليرة واحدة ثم نزلت الليرة أي انخفضت قيمتها، فبعد أن كانت تساوي 102ونصف قرش، و108 قرش أصبحت ب 70و68و58قرشاً ورجعت الحكومة أخيراً وطبعت أوراقاً بسعر نصف ليرة وربع ليرة، فارتفعت قيمتها عدة أيام، ولكنها ما لبثت أن نزل سعرها، وأخيرا طبع بنكنوت بسعر 5 غروش و20 غرشا فقد كانت الليرة تساوي 60و65 غرشاً صاغاً، ثم ارتفعت إلى 68 غرشاً[2] وكانت الحكومة لا تأخذ إلا عملة ورقاً في حين ترغم الأهالي على أخذ غير ذلك[3]" .

حددت الحكومة العثمانية أثمان الحبوب للجيش والسكان عام 1917م على أن تكون أثمان الحبوب التي تباع للجيش بالغروش كما يأتي:-

القمح بالكيلو	4
الذرة البيضاء	3
الذرة الصفراء	2
البطاطا	5
الفاصولياء	5
الباقلاء	3
العدس	3
الشعير	3

المصدر:- البيان، ع574، 8 تشرين الثاني، 1917م،، 4.

أما أسعار المواد الأساسية التي أقرتها الحكومة العثمانية للأهالي فهذا إذا كان الدفع ورقاً، لأن سعر الليرة الورق 23 غرشاً صاغاً فقط

القمح رطل	1 ليرة عثمانية
السكر رطل	4 ليرات
صندوق البترول	20ليرة
والبذلة	15 ليرة

---

[1] تماري، سليم، **عام الجراد**، 319.

[2] شقيرات، احمد، **أوراق النقد العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى 1915-1918**، 6-7، تماري، سليم، **عام الجراد**، 320.

[3] تماري، سليم، **عام الجراد**، 320

المصدر :–البيان، ع574، 8 تشرين الثاني، 1917م، 4

نلاحظ من خلال الجداول، الارتفاع الكبير في أسعار المواد التموينية، وهذا جعل الناس– ولو توفرت هذه المواد–،لا يستطيعون شراءها بهذه المبالغ الكبيرة، ولعدم القدرة على الدفع، أو حتى جلبها للمدينة وانقطعت المواد التموينية في القدس، وكانت هذه الفترة هي الأصعب من جهة الأكل والشرب، فقد انقطع الخبز والقمح بالمرة في هذه المدة حتى أن البلدية كانت توزع الخبز على الأهالي والفقراء وينتظرون حتى منصف الليل[1]، وكان من الضروري إنقاذ البلاد باستيراد مائتي طن من الحبوب شهرياً من مصر، وكان من الضروري التحايل على المجاعة بتقنين المواد وتوزيعها وخاصة الطحين، والسكر، والكاز، فقد كانت الدكاكين فارغة، ولم تستطع سوى بيوت قليلة في القدس تأمين الضوء ليلاً، فأصبحت المدينة تنام عند الغروب ولا يرى ضوء على جبل الزيتون باستثناء أضواء المنشآت العسكرية[2] وكذلك نفذ السكر من البلاد طيلة أيام الحرب فكانوا يأكلون القطين بشغف زائد[3]، حتى البن انقطع من البلاد وأصبح فنجان القهوة يباع لمن أراد شربه بثلاثة بشالك[4]– أي بعشرة قروش– وانقطعت الأقمشة، وبعد أن استنزف النفير العام طاقة البلاد من الحيوانات العاملة[5]، فوصل الأمر إلى أنه لو دفع ثمن الجواد الهزيل 200ليرة لما وجدتها[6] كما نفذت الجلود من فلسطين بعد أن صادرت الحكومة الدواب وأرسلتها إلى الجبهة العسكرية[7].

كان التدخين (التيتون) من الضروريات للكثيرين من الأهالي خصوصا في هذه الحرب، وكانوا ينفسون عن غضبهم بشرب السجائر، واهتم الكثيرون لأمر الدخان أكثر من الأكل، حتى أن البعض صار يصخب على الحكومة ويلومها لإعلان الحرب، وقد انتشر الدخان المهرب، ولم يكن بجودة الدخان الذي يصنع في اسطنبول كالدخان طاتل يسرت، وايكنجي، وصامسون وهي من الدخان التركي الفاخر يباع ب 11 متليك[8] والدخان كان لا يعطى ويباع إلا للضباط، ومن استطاع من الناس[1] .

---

[1]تماري، سليم، **عام الجراد،** 319

[2]الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات،** 78

[3]تماري، سليم، **القدس العثمانية** 231

[4]البشلك :– هو عملة مغشوشة لأنها صنعت من النحاس المخلوط بالفضة، كان يساوي خمسة قروش ثم نزل إلى النصف العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس،** 515؛س.ش،411،26ذو القعدة 1334هـ/ 24أيلول 1916،237

[5]أبو بكر، أمين، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس،** 534

[6]**البيان،** ع 589، 15 كانون أول، 1917م

[7]تماري، سليم، **عام الجراد،**98

[8]قيمة المتليك عشر بارات وهي من أصغر العملات العثمانية المعدنية، العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس،** 515

وقد أشارت سجلات محكمة القدس الشرعية إلى أسعار الكثير من الحاجيات فترة الحرب من خلال المواريث والتركات، وهذه حسابها بالغروش وهي فترة 1916-1917 م على اعتبار أن الليرة العثمانية في ذلك الوقت تساوي 68 قرشاً حسب ما أوردتها لنا مذكرات العسكري "إحسان الترجمان".

أسعار الملابس

بدلة عسكرية كتان	40غرش
بدلة صوف	100 غرش
بالطو صوف	45 غرش
بالطو كتان	50 غرش
بالطو كتان مستعمل	3 غروش و2 بارة [2]
جزمة جلد	200غرش
طربوش	20 غرش
بنطلون الكتان	7 غرش و15 بارة
بنطلون كتان مستعمل	2 غرش و15 بارة
جوارب	10غروش
كندرة السيدة مع الكلوش	45 غرش
القنباز الجوخ الخالص	100 غرش
السروال الجوخ الخالص	100 غرش

س.ش،414، 24رجب 1335، 644/ 16- مايو- 1917

أسعار الأثاث

سجادة عجمي	150 غرش
سجادة عجمي صوف	250 غرش

---

[1] تماري، سليم، **عام الجراد**، 125-130

[2] البارة(قطعة من النقد التركي صغيرة القيمة، لا بل إنها اصغر من أي نقد آخر، أصل الكلمة بارة فارسية ومعناها شقفة، أو قطعة، أو جزء، وجمعها بارات، والبارة عبارة عن واحد من أربعين من القرش، أو أن القرش عبارة عن أربعين بارة، والبارة كانت متداولة في البلاد العثمانية ولا سيما في مصر، ومن هنا جاء قولهم معك مصاري أي دراهم للإنفاق وظلت في زمن السلطان رشاد جميع أنواع العملة، ولكن أضيفت إليها عملة من النكل وهي عبارة عن قرش واحد= 40 بارة، نصف قرش= 20بارة، ربع قرش 10 بارات العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس،** 516

بساط صوف قديم	50 غرش
فروة صوف	100 غرش
بيرو خشب مع بلاط رخام	200 غرش
كراسي خيزران	73غرش
صحون نحاس	13غرش
فناجين القهوة	9غرش ونصف
صحن زبادي زينكو	3غروش و5 بارات
تخت الحديد	109 غرش
صحن قيشاني	قرش و25 بارة
فرشة صوف	70 غرش
فرش محشو قطن	60 غرش
لحاف محشو قطن	31 قرش
طبق نحاس وسط	100غرش

المصدر :–**س.ش**.414، ، 29 ربيع أول 1335هـ /23–يناير–1917م، 673/ **س.ش**.414، 23 شوال، 1334هـ /23–أب، 1916م،208

أسعار الذهب والفضة

ساعة معدن فضة صغيرة	75 غرش
زوج الأساور فضة	92 غرش
خاتم ذهب عيار 22	99غرش
زوج أساور افرنجي	109 غرش
خاتم ذهب ثقيل ياقوت	101غرش
كردان ذهب	510 غرش

س.ش.414، 23شوال، 1334هـ /23–أب، 1916م،208

وبالنظر إلى أسعار الحاجيات فترة الحرب من 1914–1918م وحسب ما ورد في سجلات محكمة القدس الشرعية، نجد أن هذه الأسعار كانت تتأرجح بين الارتفاع والانخفاض، ونحدد ما إن كانت هذه القيم مرتفعة أم لا من خلال رواتب المواطنين في هذه الفترة، فقد أشارت المذكرات إلى رواتب الجنود مثلاً في فترة الحرب والتي لا تتعدى خمسة غروش كما حدثنا العسكري إحسان الترجمان .،

وأما من كان أعلى مرتبة منه فيبلغ راتبه 85 غرشاً، وبتعبير يشوبه القهر والاستهزاء قال:" ماذا تفعل الخمس غروش للجندي هل تكفيه لدخانه، أو للحلاقة، أو مصروفه اليومي[1]"، أما رواتب الضباط من العساكر فقد وصل إلى ليرتين[2]،مع العلم أن الليرة حتى 1917م وصلت إلى 20 غرشاً[3]، كذلك كان راتب متصرف القدس حوالي خمس ليرات شهرياً، وكان كاتب التحريرات مثلاً يبدأ راتبه قدره 40 غرشاً شهرياً، وعبر خليل السكاكيني بقوله "إن الدروس التي يعطيها قبل الحرب 15 ليرة شهرياً، ، وعند الحرب لا يقبض ثمنها إلا قرشين أو ثلاثة قروش [4]" فالعملة تدهورت قيمتها .

الأمر الثاني الذي يستشف من عرض هذه الأسعار، هو حديثنا سابقاً عن دفع البدل النقدي للتهرب من الخدمة العسكرية و التي تضطر أحيانا لبيع أثاثها ومصاغها لتأمين هذا المبلغ، وإضافة إلى الضرائب التي فرضت على الناس ذلك جعلهم يبيعون ما عندهم لدفعها وتأمين احتياجات أبنائهم من الطعام والشراب وما يسدون به رمق يومهم،، واحتكار التجار للبضاعة ورفع أسعارها، مع تدهور قيمة النقد العثمانية. مما يضطر الناس لبيع كل ما يملكون لتأمين احتياجاتهم. حتى أننا نلاحظ أن أسعار الحاجيات وإن كانت مستعملة فسعرها أيضا مرتفع، أي أن الاستغلال موزع بين شرائح المجتمع المقدسي كافة حتى يستطيعوا تأمين احتياجاتهم.

والإشارة الأخرى التي نود أن نتحدث عنها هو ما رأيناه من أسعار الذهب المرتفعة، لعل هذا من جملة الأسباب التي أدت إلى تردي الآداب العامة، خصوصاً عدم قدرة الشباب على الزواج ودفع المهور وحتى شراء الذهب فقد تحدثت سجلات محكمة القدس الشرعية عن أسعار الذهب، فلا أحد يستطيع أن يقدم على الزواج في ظل هذه الأزمة، مما حدا بهم إلى اختيار الطرق غير الشرعية ومذكرات العسكري "إحسان الترجمان" تفيض بالحديث عن تردي الآداب العامة في القدس خلال الحرب[5] .
بالإضافة إلى ذلك كثرت الديون فترة الحرب ليس على الدولة فقط، وإنما أيضاً على الشعب، ولم يستطع كثير من الناس أن يدفعوا ديونهم، مما اضطرهم إن كان المبلغ كبيراً جداً لرهن دكاكينهم [6] وبيوتهم وأراضيهم [7]، واستدان البعض حتى يسد جوعه وجوع أبنائه[8].

---

[1]تماري، سليم، **عام الجراد**، 137

[2]**المقتبس**، ع1587، 5 أيلول 1916

[3]حمودة، سميح، **ذكريات المعلم المقدسي فؤاد أسعد أبو السعود**، حوليات القدس، ع 9، 22

[4]السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 99

[5]تماري، سليم، **عام الجراد**، 158–195

[6]ش.س. 414، 13 رجب، 1334 هـ، /16–5–1916، ع83

[7]س.ش، 414، 22 جمادى ثاني، 1335هـ، / 15–نيسان 1917، 100

[8]س.ش القدس، 412، 16 ربيع أول 1333هـ، / 1– شباط، 1915، 129

إذن كانت الأوضاع الاقتصادية سيئة على شرائح المجتمع المقدسي كافة، حيث وصلت إبان الحرب العالمية الأولى إلى وضع يرثى له، وفي السنوات القليلة التالية للحرب كان وضعها أكثر سوءاً فالرجال العمود الفقري في العمل الزراعي حملهم النفير العام على القتال، ومنهم من وصلت أخبار وفاته قبل انسحاب الجيش العثماني من القدس، وبعضهم كانت وفاته على أراضيها، ومنهم من أسر أو فقد، وأما الحيوانات العاملة فقد صودرت، أو تعرضت لقصف الطائرات، أو استولى عليها الجيش البريطاني، كما زادت أسراب الجراد، والكوليرا، والحمى التيفوسية، والجفاف، والمجاعة وغلاء الأسعار، الطين بلة ولتقوض كل مبادرة طموحة من جانب الكهول الذين لم يشملهم النفير العام، والصبيان، والنساء، لزراعة الأرض[1].

فقد قامت الدولة العثمانية بتشكيل لجنة نسائية لزراعة الأرض، ولكن من خلال النظر إلى أوضاع القدس خلال الفترة ونفاذ البضائع، والخضار، والفواكه، وغيرها من الحاجيات فإننا لم نلمس أي نتائج لهذه اللجان التي شكلتها الحكومة العثمانية عام1917م من النساء لزرع الأراضي[2]

- تدهور الصناعة والتجارة

أشرنا سابقاً _ أن القدس وجدبها مساحات واسعة من أشجار الزيتون، وكان الزيت فيها كثيراً، حتى أن سكان المدينة اضطروا في سنة من السنين، أن يتخلصوا من الزيت القديم ليتمكنوا من إيجاد أوعية كافية للزيت الجديد، وكانت صناعة الصابون رائجة في القدس، وكان بها عدد من المصابن و يصدر الصابون المقدسي إلى مصر، ولكن هذه الصناعة أخذت تتضاءل مع انتشار أسراب كثيرة من الجراد، والتي أتت على قسم كبير من أشجار الزيتون، وما أن جاءت الحرب العالمية الأولى واحتياج الدولة العثمانية إلى وقود يسيرون به قطاراتهم اقتلعت الكثير من أشجار الزيتون[3] .

كذلك اشتهرت القدس بصناعة النسيج، حيث كان في القدس أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1918م) بضع مئات من الأرمن اللاجئين، ولقد فكرت جمعية الصليب الأحمر الأميركية في تشغيل هؤلاء اللاجئين بقصد الاستفادة منهم، وتمرينهم على أعمال يوفرون بها رزقهم، وبدلاً من توزيع

---

[1]**البيان**، ع568 ، 23 تشرين الثاني، 1917، ص 4

[2]أبو بكر، أمين، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس**، 535

[3]العارف، عارف، **تاريخ القدس**، 124

الهبات عليهم أسست لهم أنوالاً، فراح هؤلاء يغزلون وينسجون، وهكذا انتعشت صناعة الغزل والنسيج في مدينة القدس[1] .

وعندما غادرت هذه الجمعية القدس_ بسبب انتهاء الحرب_ تولت أعمالها جمعية محبي القدس وراحت تعمل هذه الجمعية على جعل هذه الصناعة دائمة، ترتكز عليها مدينة القدس من الناحية الصناعية وقررت أن تقوم في هذه الصناعة في سوق القطانين[2] .

لا تعد القدس من المدن الصناعية والتي تصنع فيها الصناعات الثقيلة، بل هي تستهلك مصنوعات البلاد الأخرى بكثرة فقد اشتهرت القدس في العهد التركي بصناعة العلب، والأدوات المدرسية والبضائع الدينية من خشب الزيتون، أو من الصدف، أو الشموع المختلفة، وكانت هذه تباع على الحجاج الذين يفدون من كل حدب وصوب بقصد زيارة الأماكن المقدسة [3]

بلغت عدد الحرف والصناعات قبل الحرب في مدينة القدس ومنطقة عين كارم 167 حرفة أو أعمال صناعية، ولكن سياسة التجنيد الإجباري للرجال وسوقهم إلى الجبهات أدى ذلك إلى قلة الأيدي العاملة في الصناعات وإغلاق محالهم، وقيام الحكومة العثمانية بتدمير الدكاكين والاستيلاء عليها، فبقيت صناعات بنسبة ضئيلة جداً، لم تكف سكانها المحليين[4] .

وكانت القدس مركزاً تجارياً مهماً، يصدر منها القمح إلى انجلترا وبعض البلاد الأوروبية وكذلك السمسم والصابون، وزيت الزيتون، أما البضاعة التي هي في حاجة إليها فقد كانت تستوردها من أوروبا عن طريق مرسيليا وتريستا كالبضائع الصوفية، والحريرية، والخمور، والزجاج، والخشب وما إلى ذلك من الأثاث المنزلي[5]، وقد أدى النشاط التجاري في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى تأسيس فروع لعدد من المصارف، والبنوك العثمانية، والأجنبية في المدن الرئيسة بسبب زيادة المصالح التجارية المتزايدة في مختلف مجالات الاستيراد والتصدير، ومن أشهرها "البنك العثماني" في القدس ويافا، "والبنك الألماني الفلسطيني "في القدس وغزة" والبنك الفلسطيني التجاري" وتأسس في القدس برأسمال وطني في عام 1911م[6].

---

[1]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني،** 93

[2]العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس،** 464

[3]شعث، شوقي، **القدس الشريف،** 61؛الطيباوي، عبد اللطيف، **القدس الشريف،** 124

[4]صبري، بهجت، **فلسطين،** 128–129

[5]العارف، عارف، **تاريخ القدس** 125

[6]عوض، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث،** 102

اشتهرت فلسطين بعدد من الأسواق المحلية الصغيرة، فكان لكل مدينة سوق خاص بها في يوم معين من الأسبوع، فمثلا كان لمدينة اللد سوق في كل اثنين، أما الرملة وبئر السبع فكل يوم أربعاء ويوم الجمعة في كل من القدس، وغزة، والمجدل، ويافا، والخليل، وكان الفلاحون يقصدون تلك الأسواق حاملين معهم منتجاتهم فيبادلون بثمنها ما يلزمهم من حاجيات[1] .

أما مستوى المعيشة في القدس فقد أخذ بالارتفاع في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وبخاصة في مدينة القدس، وهناك إشارات لارتفاع الأسعار، وتذمر السكان العثمانيين وأجانب من الغلاء وقد ساهمت أعداد اليهود والتي وصلت عام 1914م 85،000. ساهمت إلى حد كبير في ارتفاع الأسعار كما أدت إلى زيارات الأجانب وأعدادهم المتزايدة، والمبالغ التي كانوا ينفقونها ولا سيما في موسم الحج وكانت السلطات المحلية تتوقع ارتفاع أسعار في تلك المواسم وفي مناسبات زيارة الأمراء الأجانب في القدس وزاد مستوى المعيشة في القدس حوالي 15% عام 1907م، وكذلك الحال بالنسبة ليافا، أما بقية المدن الأخرى فكان مستوى المعيشة أقل منها[2]

كانت الزيارات الدينية والزيارات الإسلامية ، والحج المسيحي مورد رزق لسكان المدينة عن طريق الخدمات التي يقدمونها للحجاج والزائرين من إقامة وإطعام وتنقلات ، كما كان يتوجب على أولئك الحجاج دفع ضرائب ورسوم تخصص لصيانة الأماكن الدينية ،وكان الحج مورد رزق لأصحاب الدواب من القدس وغيرها فكان الحجاج ينزلون في ميناء يافا ثم يستأجرون الدواب مقابل أجور يدفعونها لأصحابها والأمر نفسه ينطبق على الحجاج المسلمين القادمين من شتى أصقاع العالم الإسلامي لزيارة القدس الشريف في طريقهم للحج إلى مكة أو في طريق عودتهم[3].

ولكن الحرب عطلت هذا المورد الاقتصادي[4]، حيث تعطل قدوم الحجاج على فلسطين بسبب الحرب ويذكر شاهد عيان في القدس في آذار مارس 1915م أنه لم يأت المدينة في تلك السنة في موسم النبي موسى (عليه السلام) والأعياد المسيحية ربع ما كان يصل إليها من السياح والزوار الذين بلغ عددهم في السنوات السابقة ما بين 30و40ألف شخص من مسلمين ومسيحيين، ولقد أصاب الشلل

---

[1]**مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث**، 102

[2] **البشير**، ع 2390، 24 نيسان، 1914، 3؛ عوض، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث**، 103

[3]عوض، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث**، 102

[4]شعث، شوقي، **القدس الشريف**،68

مختلف نواحي الحياة الاقتصادية، فازداد الغلاء وازداد الناس فقرا، لكن ذلك لم يؤد إلى تخفيف التكاليف البشرية والمادية المطلوبة من الأهالي[1] .

وقد ازداد تذمر الناس والأهالي وشكواهم من سياسة السلطات العثمانية، وخصوصاً أن الكثيرين أخذوا يفقدون الثقة بجدوى دخول تركيا تلك الحرب، أو ضرورة تضامن العرب معها، فالحديث عن النير التركي وظلم الحكومة وطغيانها انتشر بين المثقفين الذين ناقشوا في جلساتهم أحوال البلد وأخبار الحرب [2].

ونتيجة للسياسات القاسية التي اتبعها "جمال باشا"، من حصار وإغلاق، ورفع للأسعار، والمجاعات والإعدامات إلى غير ذلك من الممارسات بحق أبناء الوطن، اختنق الشعب ليس في القدس فقط بل بأرجاء الوطن العربي كافة، وهم يبحثون عن متنفس للخروج من هذه الأزمة.

إن هناك ظروفاً موضوعية نشأت في الحرب ناتجة عما آل إليه الوضع في الولايات العربية جعلت العرب يفكرون أن ما من جدوى ترجى من خلال المشاركة في الحرب ، والتوقف عن دعم تركيا بسبب السياسة الحاقدة والقاسية التي أشرنا إليها _ من قبل جمال باشا، فكانت بريطانيا هي مفتاح الخلاص من الظلم، التي استطاعت أن تكسب العرب للوقوف بجانبها، فخلال عام 1915 م نجحت بريطانيا في تشجيع العرب في الثورة على العثمانيين ، مقابل وعود مبهمة بالاستقلال ضمن (مراسلات حسين مكماهون)[3]بين الحسين بن علي شريف مكة، وبين هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في مصر، فأعلنت الثورة العربية عام 1916 م من مكة، ولم يتوان أبناء فلسطين عن اللحاق بها، فقد سجل بضعة آلاف من شبان فلسطين في مكتب التطوع الذي أنشأته القيادة البريطانية ، وسارع المثقفون منهم إلى وضع أنفسهم تحت أمر الأمير فيصل بن الحسين وكان من أبرزهم الحاج أمين الحسيني، وعوني عبد الهادي، وعادل زعيتر ،وحمدي الحسيني، وخليل السكاكيني والتحقوا بالثورة العربية[4]،وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا وحليفتها فرنسا وروسيا يوقعون على معاهدة سايكس بيكو

---

[1]مناع، عادل، **تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 263

[2] **نفسه**، 263

[3]مراسلات حسين مكماهون :–هي عبارة عن سلسلة مراسلات متبادلة بين الحسين بن علي "أمير مكة" والسير هنري مكماهون المعتمد البريطاني في مصر ، وتتلخص هذه المراسلات في الطلب من العرب تأييد ودعم بريطانيا في المجهود الحربي ضد تركيا ،في مقابل موافقة بريطانيا على إنشاء خلافة عربية مستقلة ..www.britannica.com.The Mcmahon-HusseinCorrspondence

[4]نويهض، عجاج، **رجال من فلسطين**، 144، معتصم ؛**الحياة السياسية العربية في القدس 1918–1934م**، 30

التي قضت بنودها بتقسيم أملاك الدولة العثمانية فيما بينها، وقد تم الاتفاق بين الحلفاء على الاحتفاظ بالقدس وما حولها كمنطقة دولية منعاً للتنافس الاستعماري عليها [1].

استطاعت بريطانيا أن تكسب العرب إلى جانبها، ضد الدولة العثمانية، بوعود مبهمة ذهبت عرض الحائط، وكان للتحالف البريطاني الصهيوني في الحرب، اتفاقيات سرية قدمت لليهود كهدية، وهي أرض فلسطين، فكيف كان ذلك، وماهي ردة الفعل العربي في القدس تجاه هذا التحالف ؟

---

[1] جلال، يحيى، **العالم العربي الحديث**،510/1

الفصل الثالث

القدس خلال الحكم البريطاني 1917-1918

سقوط المدينة المقدسة1917م

شرعت القوات البريطانية بالهجوم على الجنوب الفلسطيني في أوائل شهر تشرين الثاني من عام 1917م،وما أن بدأت الاشتباكات الحربية بين القوتين البريطانية والعثمانية حتى خسر معها العثمانيون العديد من مواقعهم وتحصيناتهم، مما دفع القائد العام للجيوش العثمانية في فلسطين وكان آنذاك المشير الألماني (فالكنهايم) لإصدار أوامره بتاريخ 15/تشرين الثاني/1917 من مقر قيادته في الناصرة لإعداد وتجهيز الدفاعات عن مدينة بيت المقدس القريبة من مواقع الاشتباك[1].

تم تحصين المدينة كما ذكرت جريدة البيان في تقرير لها بعنوان" لا يمكن احتلال القدس"، فقد أعد العثمانيون التحصينات اللازمة، واستعملوا كل طريقة ممكنة لتحصين المدينة اعتماداً على التكنولوجيا الألمانية العسكرية[2]، لكن هذه الأوامر صدرت متأخرة جداً على الرغم من إدراكهم للمكانة الفريدة التي تمتاز بها مدينة القدس على غيرها من المدن في العالم أجمع، وما يعنيه سقوطها بأيدي الغزاة المحتلين، إلا أنهم لم يشرعوا في إعداد التجهيزات والتحصينات اللازمة في سبيل الدفاع عنها حتى وقت متأخر جداً بالنسبة لمجريات أمور الحرب في فلسطين[3].

شرعت القوات البريطانية في تاريخ 1917/11/19م بقيادة "اللنبي" في الزحف نحو القدس[4]، بينما كانت قوات الفرقة العشرين العثمانية بقيادة "علي فؤاد باشا" لا تزال تعمل جاهدة على محاولة تحصين التلال الواقعة غربي المدينة، وقطع الطريق الرئيسي بين مدينتي يافا والقدس في أكثر من موضع[5]وكادت المدينة تخلو من الجنود في ذلك الوقت[6]، كما أن قواتهم المتواجدة في الجبال والتلال المحيطة بالمدينة كانت منهكة جداً، رافقتها ارتباك شديد بسبب قلة توفر المؤن الغذائية والتجهيزات

---

[1] الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**، ج10،ق2، 168-169

[2]**البيان، مقال بعنوان لا يمكن احتلال القدس**ع 547، 30آب 1917،1،1-2

[3]**نفسه**، 2

[4] العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، 380

[5] الفاهوم، زهير، **فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 470

[6]طوطح، خليل، شحادة، بولص، **تاريخ القدس ودليلها**، 35

الحربية الثقيلة وعدم وصول الإمدادات الحربية المنتظرة من قوات ومعدات ألمانية مساندة، كل ذلك أدى إلى سقوط التلال الغربية والعديد من المواقع الشرقية الأخرى حولها بأيدي المحتلين[1].

في المعركة التي دارت رحاها حول القدس أدرك علي فؤاد باشا استحالة وقوف دفاعاته في مواجهة الهجوم البريطاني للمدينة وحتمية سقوطها بأيديهم نتيجة للخسائر الفادحة التي ألحقت بالقوات العثمانية حول مدينة القدس وأنه لا أمل يرتجى من المقاومة، فأمر قواته مساء يوم 1917/12/8 بالتراجع والانسحاب من المدينة ومحيطها، في حين تحصن بعضهم في جبل الزيتون[2]، كما أرسل في تلك الليلة متصرف القدس العثماني (عزت بك) يطلب من مفتي القدس "كامل الحسيني "ورئيس بلديتها "حسين سليم الحسيني "للاجتماع معه في داره الكائنة في منطقة الشيخ جراح، وهناك خاطبهما قائلاً(ها قد أحاط الجنود الإنجليز بالقدس، ولا بد أن تسقط عما قريب بأيديهم، ولقد اعتزمت مغادرة المدينة بعد نصف ساعة، وأود أن ألقي بين أيديكم هذا الحمل الأدبي العظيم ألا وهو تسليم المدينة، ثم ناول رئيس البلدية وثيقة التسليم المؤرخة 1917/12/8م،ليسلمها للبريطانيين وغادر المدينة متجها إلى أريحا[3] .

مع بزوغ فجر يوم الأحد الموافق 1917/12/9م،وكانت السماء تمطر بغزارة شديدة على المدينة المقدسة، حيث بدأت القوات العثمانية بالرحيل عنها، بينما كانت فرق الجيش البريطاني تتقدم نحوها وتحاصرها من عدة جهات، فقد وصلت الفرقة "الستون" والفرقة "الرابعة والسبعون" إلى شمال المدينة وتوقفت على بعد نحو أربعة أميال على الطريق الواصل بين نابلس –القدس، ووصلت الفرقة "الثالثة والخمسون" إلى شرقها وتوقفت على طريق أريحا –القدس وهكذا تم تطويق المدينة وعزلها[4].

وفي نحو الساعة التاسعة صباحاً توجه عدد من وجهاء المدينة إلى حي الشيخ بدر القريب من قرية لفتا المجاورة للمدينة لملاقاة القادة البريطانيين، وكان في مقدمتهم رئيس البلدية "حسين سليم الحسيني" ترافقه حاشية من أعيان المدينة، يحملون الراية البيضاء والتي كانت عبارة عن شرشف أبيض انتزع من المشفى الطلياني في المدينة، والتقى الوفد مع قائد الفرقة الستين للجيش البريطاني الجنرال شي (G.Shea)، وتم تسليمه وثيقة التسليم العثمانية التالية[5]، كما أورد عارف العارف[1] ترجمتها العربية في في كتابه:

---

[1] السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني** 2/ 171

[2]طوطح، خليل، شحادة، بولص، **تاريخ القدس ودليلها،** 36

[3] العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس،** 575، طوطح خليل، شحادة، بولص، **تاريخ القدس ودليلها،** 36 ؛ الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين،** 10/ق 2 174

[4] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني،** 22

[5] العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس،** 371

(منذ يومين والقنابل تتساقط على القدس المقدسة، فالحكومة العثمانية رغبة منها في المحافظة على الأماكن الدينية من الخراب فقد سحبت القوة العسكرية من المدينة، وأقامت موظفين للمحافظة على الأماكن الدينية كالقيامة والمسجد الأقصى، وعلى أمل أن تكون المعاملة من قبلكم على هذا الوجه فإني أبعث بهذه الورقة مع وكيل رئيس بلدية القدس حسين بك الحسيني)

وبعد استلام الجنرال "شي" لوثيقة التسليم أرسل بعضاً من الكشافة إلى المدينة ليتحققوا من خلوها من الجنود العثمانيين، ولما تحققوا من ذلك أمر قواته بالتقدم نحو المدينة، فكان دخولهم حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحاً، ومن الجهات كافة عدا الجهة الشرقية حيث كانت بعض القوات العثمانية لا تزال مرابطة في جبل الطور (الزيتون)، فكان أول إجراء اتخذه الغزاة في المدينة هو وضع أيديهم على إدارة البريد والبرق فيها[2]، وما أن حلت الساعة الحادية عشر والنصف صباحاً، حتى بدأ العثمانيون بإطلاق نيران مدافعهم من على جبل الطور على القوات البريطانية التي قابلتها بالمثل واستمر إطلاق نيران المدافع حتى الساعة الرابعة من بعد الظهر، لتبدأ بعد ذلك القوات العثمانية بالانسحاب من مواقعها على جبل الطور أيضاً[3].

وبعد مضي يومين على دخول القوات البريطانية مدينة القدس، حيث كانت القوات العثمانية قد أنهت أيضا انسحابها الكامل من على جبل الطور المشرف على المدينة دخل القائد العام للقوات البريطانية الشرقية السير أدموند اللنبي(Sir Edmund Allenby) إلى المدينة المقدسة بتاريخ 1917/12/11 سيراً على الأقدام من باب الخليل، وكان يرافقه عدد من كبار الضباط البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين، وقد ارتفعت فوق موكبهم أعلام الدول الثلاث الحليفة [4]،وأما العلم العربي فلم يرتفع أبداً مع عساكر الحلفاء، وكأن العرب لم يقاتلوا، ولم يحرروا أرضهم، ولم تفت هذه الملاحظة على الجماهير العربية المحتشدة فآلمها ذلك[5].

إن هذا النكران لدور العرب في تحرير بلادهم من قبل أللنبي بمجرد أن وطأت أقدامه القدس تناقضه شهادة رسمية منه بالذات شكر فيها "الحسين بن علي "وابنه "فيصل" على إخلاصهما، واعترف فيهما

---

[1] **نفسه،** 383

[2] طوطح خليل، شحادة، بولص، **تاريخ القدس ودليلها،** 36

[3] السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني،** 471/2

[4]**البيان،** ع 586، 15 كانون أول 1917، 1؛ بيان، الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات،** 65

[5] الغوري، إميل، **فلسطين،** 28–29؛ بيان، الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات،** 65

بالأعمال العسكرية التي قام بها الجيش العربي والتي ساعدت الحلفاء مساعدة كبرى في الوصول إلى نتائج فاصلة في الحرب [1].

اللامبالاة التي أبداها اللنبي من خلال رفع أعلام الدول التي شاركت الحرب على فلسطين باستثناء العلم العربي نفسه تعد أول إشارة تنذر بالخديعة، وتطرح من خلال تجاهلها التام لدور العرب الفلسطينيين في الحرب العالمية، تلك المعادلة السياسية التي لم يكن قد كشف عنها النقاب بعد، والتي بني عليها وعد بلفور والانتداب وهي أن لا وجود لشعب عربي في فلسطين.

ألقى اللنبي من على درج القلعة الكائنة بباب الخليل بيانه على الأهالي ترجمت كلمته هذه إلى اللغات الفرنسية، والايطالية، والعبرية[2]،وأعلن الأحكام العرفية على المدينة وخاطب المقدسيين قائلاً:-

(إن انهزام الأتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي، أدى إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي وفي الوقت الذي أذيع عليكم فيه هذا النبأ، أعلن الأحكام العرفية، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول مادامت ثمة ضرورة حربية، ولئلا ينالكم الجزع كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا أريد أن أخبركم أنني أرغب أن أرى كل واحد منكم قائماً بعمله وفق القانون دون أن يخشى أي تدخل من قبل أي كان وفضلاً عن ذلك بما أن مدينتكم محترمة في نظر أتباع الديانات الثلاث الكبرى وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث المذكورة منذ قرون وأجيال، أود أن أحيطكم علماً بان كل بناء مقدس، ونصب، ومكان مقدس، أو معبد، أو مزار، أو أي مكان مخصص للعبادة من أي شكل، وإلى أي طائفة من الطوائف الثلاث سيصان ويحتفظ به عملاً بالعادات والتقاليد المرعية ووفق تقاليد الطائفة التي تملكها [3].

بعد احتلال بريطانيا المدينة المقدسة نصبوا على مدخلها من الغرب (ذلك المدخل الذي دخلوها منه) وهو الحي المعروف بحي الشيخ بدر نصباً من الرخام الأبيض تذكاراً لفتحهم، نقشوا عليه اسم اللورد اللنبي والتاريخ الذي فتحت على يده، وأنشئوا حول النصب حديقة، وأرادوا أن يرفعوا على النصب

---

[1] بيان، الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات**، 65

[2] Storrs , Ronald, **The Memoirs of Sir Ronald Storrs** ,p302-303

البيان، ع 586، 15كانون أول، 1917،2

[3]**البيان**، ع 586، 15كانون أول 1917، 2

صليباً إلا أنهم عادوا فعدلوا عن ذلك استجابة لرغبة اليهود، وأنشأوا الصليب بحيث يراه الناظر من بعيد[1].

توالى سقوط المدن الفلسطينية بأيدي القوات البريطانية حتى اكتمل احتلالهم المناطق الفلسطينية كافة في أيلول من عام 1918م[2].

-الإدارة العسكرية في القدس 1918

بعد أن تمكنت القوات البريطانية بالسيطرة على سائر فلسطين في أيلول عام 1918م، أعلن عن تشكيل إدارة بلاد العدو الجنوبية المحتلة، وعين الجنرال "كلايتون (Claytnon) مديراً للإدارة العسكرية لتنفيذ المخططات البريطانية في فلسطين القاضية بإنشاء الوطن القومي اليهودي[3]، وجعلت هذه الإدارة مقر قيادتها في القدس، واتخذت بناية أوغستا فكتوريا الألمانية في جبل سكوبس مكاتب لها[4].

تم تقسيم فلسطين خلال عهد الإدارة العسكرية 1917-1920م، إلى عدة ألوية، جعل على رأس كل لواء حاكم عسكري بريطاني يرتبط بالحاكم العسكري في القدس، وكانت مدينة القدس مركزاً للواء القدس الذي ضم كلاً من القدس والخليل، وعين الجنرال "ستورز "R.Stoors حاكماً عسكرياً على القدس كما عين الكولونيل وونرس تيلر W.Tiller مساعداً له [5].

أنشأت الإدارة العسكرية في القدس دوائر مختلفة، فقد عينت على رأس كل إدارة موظفاً بريطانياً وكان بعض الموظفين الإنجليز يتعاملون مع الأهالي بطريقة سيئة دون احترام، ولعل من أبرزهم رئيس

---

[1] الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين،** 10/ق 2 174

[2] العلمي، أحمد، **الاجتياح البريطاني لفلسطين،** 151؛الحزماوي محمد، **ملكية الأراضي في فلسطين 1918-1948م،** 87

[3]طنوس، عزة، **الفلسطينيون ماض جميل ومستقبل باهر،** 87؛ خلة، كامل، **فلسطين والانتداب البريطاني 1922-1939م**،34

[4]**Palestine &Transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,p7

طنوس، عزة، **الفلسطينيون**، 87

[5] طربين، أحمد، **فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار البريطاني في خلفية الدولة اليهودية1922-1939م**،96؛ الحزماوي، محمد، **ملكية الأراضي**، 88-302p, **The Memoirs of Sir Ronald Storrs**, 303و Storrs ,Ronald

محكمة الاستئناف وهي المحكمة العليا في البلاد وتضم ثلاثة قضاة[1] وكان رئيسها _كما وصفها السكاكيني_ "فظ الأخلاق، بذيء اللسان، لا يكف نهاره كله عن إهانة أعضاء محكمته"[2].

أما الحاكم العسكري الجنرال ستورز فكان "مكروهاً سيء السمعة، يقول كثيراً ولا يسمع، ولا يفعل شيئاً فهو أشبه بالحكام الأتراك الذين لم يكونوا يعرفون إلا سياسة التملق، مولع بالنساء، منحط الأخلاق لدرجة أنه يخلو بالنساء في مكتبه[3]" وقد أكد ذلك مساعده "تيلر" للسكاكيني بقوله: "إنه كذوب يشير بالشيء، فإذا كانت النتيجة سيئة ألقى التبعة على غيره، وإذا عمل غيره ممن هم معه عملاً حسناً انتحله لنفسه[4]".

أما الوظائف الرئيسية في إدارة حاكمية القدس(أوغستا فكتوريا الألمانية)فقد تولاها سبعة ضباط إنجليز، وستة من الجنود الكتبة الإنجليز و12 مساعداً من المواطنين المحليين منهم عرب ويهود[5].

وكانت التعليمات والمنشورات العامة كافة تصدر عن دار الحاكمية في القدس باللغات الثلاث الإنجليزية والعربية، والعبرية، وبعد ذلك أصبحت الوصولات الرسمية والبلدية تصدر أيضاً باللغات الثلاث [6].

أما عن أهم التنظيمات الإدارية في السنوات الأولى من عهد الإدارة العسكرية فسنتطرق للحديث عن بعض جوانبها _حيث كنا قد أشرنا لبعضها سابقاً_.

أولاً- الأوضاع الإدارية في القدس في عهد الإدارة العسكرية

-الأمن والنظام

كانت مهمة الأمن والنظام في فلسطين خلال العهد العثماني منوطة بقوات البوليس والجندرمة وكانت تتشكل قوة البوليس من الشبان المتعلمين، ومهمتها حفظ الأمن في المدن، أما قوات الجندرمة فكانت تتشكل في غالبيتها من الفلاحين، ومهمتهم حفظ الأمن في القرى والأرياف، إلا أن السلطات العثمانية

---

[1] صبري، **فلسطين**،151

[2] السكاكيني، خليل، **يوميات**، 147/2

[3]**نفسه**،2/ 97

[4]**نفسه**، 108

[5]**Palestine & Transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,p8

[6]Storrs ,Ronald,op.cit,p.317

عملت على تسريح كافة رجال البوليس والجندرمة من الخدمة قبل انسحابها من القدس تماماً، كما فعلت لدى انسحابها من كافة المدن الفلسطينية الأخرى[1].

ولما كانت مهمة حفظ الأمن والنظام من أولى المهمات التي ارتبطت بالحكام العسكريين في الألوية الفلسطينية، توجب عليهم إعادة تشكيل هاتين القوتين وتنظيمهما، فجند عدد من المواطنين المحليين ومن مختلف الطوائف على الرغم من عدم معرفتهم بالقواعد الأمنية وأنظمتها، بالإضافة إلى إعادة تعيين عدد غير قليل من أفراد قوة البوليس المسرحين والموجودين في القدس[2].

وفي بادئ الأمر تعذر على الإدارة العسكرية تشكيل كامل هذه القوات من السكان المحليين نتيجة لقلة توفر الكفاءات المناسبة من السكان، وذلك بسبب تجنيد أعداد كبيرة منهم من قبل القوات العثمانية ومن جانب آخر لم يكن ممكناً لقوات الجيش البريطاني الاستغناء عن القوات، بالإضافة إلى أنه لا يمكن لقوات الجيش البريطاني الاستغناء عن القوات العربية العاملة ضمن قواتهم الحربية للعمل في مجال الأمن الداخلي، مما أدى إلى الاستعانة بوحدة عسكرية مصرية مشكلة من 300رجل بوليس للقيام بمهمة الحفاظ على الأمن في داخل فلسطين، وتدريب قوات بوليس محلية، كما ساعدت الحكومة المصرية بدعم القوة بمائة 100رجل من الخيالة والهجانة، وبذلك أصبحت كامل قوة البوليس في جميع مناطق فلسطين مشكلة من 1,273 رجلاً[3].

أما بالنسبة لمهام الحراسة الليلية والمراقبة الليلية للمحال التجارية والمنازل السكنية في القدس ففي عشية سقوطها لم يكن يوجد فيها أكثر من 12 حارساً، بعد أن كان يبلغ عددهم 100 حارس في القدس وحدها، لذا تطلب الأمر إلى إعادة تنظيم قوة الحرس بتعيين 50 حارساً جديداً من المواطنين المحليين لمدينة القدس، يتقاضون رواتبهم من ضرائب الحراسة التي كانت تجبيها خزينة الحكومة من المواطنين أما بالنسبة لليهود فقد سمحت الإدارة العسكرية البريطانية للمستوطنات اليهودية بإنشاء حرس خاص لها، وظل هذا الوضع سارياً العمل به حتى زمن الإدارة المدنية اللاحقة[4].

---

[1] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**،، 39

[2] خلة، كامل، **فلسطين**، 43-44

[3] **Palestine & Transjordan administration reports, 1918-1948, vol1**, p16-17

[4] خلة، كامل، **فلسطين**، 43-44

-الشؤون القضائية

مع إنشاء المحاكم في البلاد العثمانية تم تقسيم القضاء إلى نوعين أولهما:- القضاء المدني للفصل في القضايا المدنية كافة، منها الأمنية، والجنح، والجنايات، ويتبع القوانين الوضعية، وثانيهما القضاء الشرعي للفصل في القضايا المتعلقة في الأحوال الشخصية، ويتبع الشريعة الإسلامية، لذا كان في القدس إبان الاحتلال نوعان من المحاكم[1].

1-المحاكم المدنية

مع فرض الاحتلال على المناطق الجنوبية من فلسطين (سنجق القدس) ووضعها تحت حكم الإدارة العسكرية تم إغلاق جميع المحاكم فيها، لكن هذا الوضع الجديد أوجب ضرورة سد الفراغ القانوني في هذه المناطق، فعملت الإدارة العسكرية على تنظيم الشؤون القضائية بتأليف هيئة قضائية من الضباط العسكريين البريطانيين[2].

وقد استمرت المحاكم معطلة في جنوب فلسطين حتى تاريخ 1918/6/9، وهو تاريخ القرار الصادر من السير "آرثر موني" المدير العام لإدارة فلسطين العسكرية بضرورة إعادة تأسيس المحاكم المدنية وتنظيمها، وبناء عليه تمت إعادة فتح المحاكم المدنية والشرعية كلها التي كانت تعمل في العهد السابق في البلاد [3].

أنشئت محاكم ابتدائية جديدة في مدن القدس، ويافا، ونابلس، وحيفا، وطبرية. وكانت كل محكمة منها مؤلفة من قاض بريطاني للنظر في الجنح والقضايا المدنية الخطيرة، وتنظر أيضا في قضايا الصلح المستأنفة في اللواء، كما تم أيضا تشكيل محكمة استئناف في القدس لتخدم جميع المناطق وكانت تنعقد للنظر في القضايا المدنية والجرائم المستأنفة من المحاكم الابتدائية، وكانت تتبع طريقة جديدة وهي التنقل في البلاد من منطقة لأخرى للحكم في قضايا الجنايات، وكان يرأسها قاض بريطاني وثلاثة قضاة محليين [4].

---

[1] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 40

[2]**نفسه**،41

[3] خلة، كامل، **فلسطين**، 36

[4] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني** 41-42

أما إدارة الجهاز القضائي بأكمله فقد كانت برئاسة الضابط القضائي الأعلى البريطاني، ويساعده ضابط استشاري في دعاوي الجرائم[1]، وسكرتير أول لمحاكم فلسطين وهو السيد" أحمد أفندي إبراهيم أدهم"[2]

لكن نظام المحاكم الابتدائية القائم على قاض بريطاني واحد فقط أدى لكثير من الاعتراضات الشعبية عليه، وذلك لعدم معرفة وتمرس هؤلاء القضاة البريطانيين بالقوانين المحلية، وأيضا لعدم فهمهم الجيد للغة العربية، مما جعلهم يعتمدون في كثير من الأحيان على التراجمة الذين كانوا في أغلب الأحيان غير موثوق فيهم[3].

وأما رسوم الدعاوي فقد كانت محددة في العهد العثماني بما قيمته 2% من قيمة الشكوى عند تقدمها على أن ترفع قيمة هذه الرسوم عند المحاكمة من 2%إلى 3-5%[4].

وفيما يتعلق بالقضاء بين الطوائف المسيحية في الأحوال الشخصية ظل الوضع مستمراً على ما كانت عليه في السابق، حيث كانت كل طائفة تعنى بشؤون أتباعها والفصل بينهم، وأما ما ينشب من خلافات بين المسلمين والمسيحيين على اختلافهم فكان الفصل يتم على يد قاضي القدس البريطاني[5]

وبالنسبة لليهود أيضا استمر وضعهم على ما كان عليه في السابق، حيث كانوا يتمتعون بنظام قضائي مستقل منشؤه محاكم التسوية(الصلحية) وهي محاكم يهودية قديمة تسير على قاعدة التحكيم[6].

أما المحامون في فلسطين فكان يتوجب عليهم اجتياز الامتحان الذي كانت تعقده الإدارة العسكرية في سبيل الحصول على رخصة لممارسة مهنتهم في البلاد [7].

---

[1]**Palestine & Transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,p16

[2] س. ش القدس 416، 202-203

[3] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 42

[4]**Palestine & Transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,p12

[5] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 42

[6]**نفسه**،42

[7]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 42-43

2_ المحاكم الشرعية:

تعد نظارة (إدارة) حضرة شيخ الإسلام في استانبول في زمن العثمانيين أعلى مرجعية إسلامية في البلاد العثمانية، ولكن في زمن الاحتلال_ ومع إعادة فتح أبواب المحاكم الشرعية لمواصلة أعمالها كما كانت في السابق _عملت الإدارة العسكرية على جعل القضاء الشرعي الفلسطيني يتمتع بنوع من الاستقلالية، بأن عملت على تشكيل محكمة استئناف شرعية في القدس لتكون أعلى جهة قضائية شرعية في كامل فلسطين، لتنظر هذه المحكمة في القضايا المستأنفة من كل المحاكم الشرعية فيها وتم تشكيلها في مدينة القدس برئاسة مفتي القدس "كامل أفندي الحسيني" وعضوية شيخين آخرين للتمييز[1]، وكان أحدهما الشيخ "خليل حماد"[2] .

وهكذا تم تعيين مفتي القدس في منصب قضائي، على الرغم من تعارض هذا الإجراء مع التقليد المتبع في فصل وظيفة الإفتاء عن القضاء[3] .

كانت وظيفة القاضي الشرعي زمن العثمانيين أعلى وظيفة دينية في الدولة، ولا يعين إلا بعد اجتيازه امتحاناً خاصاً للتأكد من أهليته لهذا المنصب، وبعد ذلك يتم تعيينه بتوقيع من السلطان، وفي زمن الاحتلال البريطاني أصبح أمر تعيين قضاة المحاكم الشرعية يصدر من قبل الموظف القضائي الأعلى في الإدارة العسكرية، وبعد استشارة لجنة مكونة من الأعضاء المسلمين في محكمة الاستئناف ومفتش المحاكم الشرعية[4] .

كان الشيخ "محمد سعود أفندي السعودي" يشغل منصب قاضي القدس الشرعي زمن الإدارة العسكرية[5] العسكرية[5] وكان ينظر في قضايا الزواج، والطلاق[6]، والإرث[7]، والنفقة[8]، والوصايا[9]،والتوكيلات

---

[1]**Palestine & Transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,p94

[2]س.ش القدس، 416، 2ربيع أول 6/1337 كانون أول، 1918،197

[3]Storrs ,Ronald,op.cit,p.308

مناع، عادل، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني**، 124

[4] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 43

[5]س،ش القدس 416، 16 ذو القعدة 1336 هـ/ 23آب 1918، 1

[6]س.ش القدس 416، 26 ذو القعدة 1336هـ/ 2 أيلول 1918، 7، ع12

[7]س.ش القدس 414، 24 رجب، 1335هـ/16أيار، 1917، 83

[8]س.ش القدس 416، 3 ذو الحجة 1336هـ/9 أيلول، 1918، 6

[9]س.ش القدس 413، 28ذو الحجة 1335هـ،/15 تشرين أول، 1917، 99

العامة[1]، وكذلك النظر في القضايا المرفوعة من قبل مجلس إدارة أموال الأيتام على الدائنين من صندوق أموال الأيتام وقبول كفلاء لهم لضمان السداد[2] .

وهذا لم يكن ينظر في قضايا المسلمين فقط، وإنما كان ينظر أيضاً في قضايا الإرث، والوصايا والتوكيلات العامة لدى جميع أبناء الطائفة المسيحية من اللاتين[3]، والروم الأرثوذكس[4]،والروم الكاثوليك[5]، وكذلك بين أتباع الطائفة اليهودية [6].

ولم تقتصر أحكام قاضي القدس الشرعي على أهل القدس فقط، وإنما أيضا على ما جاورها من الأقضية، والقرى، والنواحي ، كما كان متبعاً في عهد العثمانيين[7] .

بالإضافة إلى القضاء الشرعي هنالك عدد من الوظائف الدينية التي كانت تمتاز بها المدينة المقدسة عن غيرها من المدن وأبقت الإدارة العسكرية مهماتها بأيدي المسلمين أنفسهم وأهمها:

-الإفتاء

في عهد العثمانيين كان شيخ الإسلام في استانبول يعين في القدس مفتي لكل مذهب من المذاهب الأربعة الحنفي، والشافعي، والحنبلي، والمالكي، ولكن مفتي الحنفية يقدم على الآخرين لأنه يمثل مذهب الدولة الرسمي، وتتلخص مهمات المفتي في تفسير النصوص الفقهية وفق المذهب الذي ينتمي إليه، وكان يأتي في المرتبة الثانية بعد القاضي الشرعي، وكانوا يظلون يشغلون المنصب حتى وفاتهم أو عزلهم[8].

كان سماحة الشيخ "كامل أفندي الحسيني" يتولى منصب مفتي الديار القدسية قبل الاحتلال البريطاني لفلسطين، واستمر بالقيام بمهمات وظيفته طيلة فترة الإدارة العسكرية البريطانية حتى وافته المنية بتاريخ 1921/3/21م[9].

---

[1]س.ش القدس 416، 23 ذو القعدة، 1336 هـ/30آب 1918، 5-6

[2]س.ش القدس 414، 25 جمادى الأولى 1334هـ/، 30آذار، 1916، 110

[3]س.ش القدس 414، 24جمادى الآخر، 1336هـ/6 نيسان،1918،565.

[4]س.ش القدس 416، 17 ذو القعدة 1336هـ/24آب 1918، 2

[5]س.ش القدس 416، 19 ذو القعدة1336هـ/26آب 1918، 5

[6]س.ش القدس 407، 23ذو الحجة، 1336هـ/ 29 أيلول، 1918، 269،ع441

[7]س.ش القدس 416، 6محرم،1337هـ،/2 تشرين أول، 1918، 81

[8] المدني، زياد، **مدينة القدس وجوارها**، 56-57،

[9] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 46

-نقابة الأشراف

وهي إحدى الوظائف التي تمتاز بها المدينة المقدسة ويرجع عهدها إلى زمن المماليك، ومهمة النقيب هي الإشراف على طبقة الأشراف في القدس، ورعاية مصالحهم الاقتصادية أيضاً، وفي زمن الإدارة العسكرية البريطانية للقدس كان فضيلة الشيخ "رفعت أفندي تفاحة" يتولى اختصاصات النقيب[1].

-وظائف الحرم القدسي الشريف

حتى أواخر عهد العثمانيين كان السلطان هو الذي يعين نظار الأوقاف الكبيرة كقبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك، وكان متولي الحرم القدسي يسمى بناظر الحرمين الشريفين، أو بناظر القدس والخليل، وكانت تتلخص مهامه بالنظر في كل ما يحتاج إليه الحرم القدسي الشريف والحرم الإبراهيمي في الخليل من إصلاح، وترميم، فضلاً عن رواتب القائمين عليها والإشراف والتصرف في الأموال المخصصة للأوقاف الخاصة بهذين الحرمين[2].

ولكن في أواخر العهد العثماني تم إنشاء دائرة وزارية خاصة في استانبول لكي تعنى بكل شؤون الأوقاف الإسلامية في البلاد العثمانية، وفي القدس كان يعين مسئول إداري لمتابعة جميع شؤون أوقاف سنجق القدس فقط، ويتبع وزارة الأوقاف في استانبول [3]، ومع فرض الاحتلال البريطاني على فلسطين استمرت إدارة الحرم القدسي الشريف ومتابعة كل شؤونه كما كانت عليه في السابق من اختصاص مدير الأوقاف في القدس [4].

- بلدية القدس

تم تشكيل أول مجلس بلدي في الدولة العثمانية في سنة 1858 م وهو مجلس بلدية استنبول، ومن ثم تلاه تشكيل أول مجلس لبلدية القدس الشريف1863م[5].

ونتيجة لوجود هذا المجلس في المدينة المقدسة منذ تلك الفترة المتقدمة من القرن التاسع عشر وتشكله في أغلب الأحيان من زعماء وأبناء العائلات المقدسية الكبيرة المثقفين منهم، وأصحاب الكفاءات

---

[1] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 46

[2] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني** ، 47

[3] دمبر، مايكل، **سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين 1948**-1988، 3

[4] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 47

[5] **نفسه**، 197

العالية الذين تلقوا علومهم في المعاهد العليا في اسطنبول والجامعات الأوروبية، وقد توفرت لهم فرصة الاطلاع على تطور الحضارة الغربية مثل "يوسف الخالدي"[1]،كل ذلك جعل لهذه المجالس المتعاقبة أدواراً فاعلة ومؤثرة في تطور البنى التحتية للمدينة، وخصوصاً على مدى العقدين الأول، ومنتصف العقد الثاني من القرن العشرين قبل نشوب الحرب العالمية الأولى، ومن شق وتعبيد للطرق، وتوسيع دائرة الأراضي اللازمة للبناء ووضع المخططات لها، وفرز الأراضي، ومنح تراخيص البناء على أسس هندسية حديثة، فظهرت الأحياء الحديثة في المدينة كحي الشيخ جراح جنباً إلى جنب مع الأحياء القديمة التي شملها التنظيم، مما جعل المدينة المقدسة في مصافي المدن المتقدمة والمتحضرة آنذاك .[2]

ولكن نتيجة لنشوب الحرب العالمية الأولى، واشتراك العثمانيين فيها واستغلالهم الإمكانات والموارد المحلية كافة في سبيل دعم قواتهم على جبهات القتال كل ذلك أدى إلى ضعف الموارد المالية المتاحة أمام مجالس المحلية والبلدية، وبالتالي إلى تراجع كبير في مستوى خدماتها العامة المحلية .

و تعاقب خلال الحرب على رئاسة بلدية القدس العديد من الشخصيات المقدسية كما يوضحه الملحق رقم(2) لكن الدولة العثمانية قامت بإقالة رئيس البلدية "حسين سليم الحسيني" ووضع شاكر بك أرطغول تركي مكانه لأول مرة في تاريخ القدس[3].

وكانت البلدية أكثر ما يمكن أن تقدمه خلال الحرب الخدمات الصحية خاصة بعد إصابة السكان بالأمراض، أما تنظيف الشوارع وإزالة القمامة _وإن عدت القدس هي الأنظف من بين العواصم _ لكنها لم تصل إلى المستوى المطلوب[4].

اهتمت البلدية بإقامة ضواح سكنية جديدة في مدينة القدس، حيث حدث توسع هائل باتجاه طريق يافا لدرجة أنه بحلول عام 1914م ظهر ما يمكن أن يقال عنه إنه مدينة حديثة خارج أسوار القدس عدد سكانها 25ألف نسمة، ومع أن معظم الأحياء الجديدة بناها اليهود، فقد كان هناك ضواح لسكان مسلمين ومسيحيين، وضواح عربية مختلطة، فضلاً عن قنصليات الدول الأوروبية، والفنادق والمحلات التجارية والمشاغل، وباقي الخدمات، ويمكن تكوين فكرة عن مدى العمران الجديد من خلال تقرير

---

[1]شولش، الكزاندر، **تحولات جذرية في فلسطين**، 280–290

[2]المهتدي، عبلة، **القدس تاريخ وحضارة(300ق.م–1917م)**، 396–397

[3]ملف قرارات مجلس إدارة القدس وبلدية القدس، مركز إحياء التراث الإسلامي أبو ديس

[4]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 55

مفاده أن البناء الجديد كان يمتد عام 1917-1918م على مساحة قدرها 3381 دونماً خارج القدس بالمقارنة مع 789 دونماً هي مساحة القدس القديمة داخل الأسوار [1]

قامت البلدية في القدس خلال فترة الحرب1915م بتوسيع الطرقات في القدس كبيان على أهمية القدس من الناحية العمرانية، خصوصاً مع مجيء الحجاج لها، فقامت بهدم البيوت والدكاكين من باب الخليل حتى باب السلسلة، ولكن كان من المفترض على الدولة أن تقوم بتعويض هؤلاء الذين تهدمت بيوتهم، كذلك أن تأخذ من أصحاب المحال رسوماً ضريبية أكثر من كونهم أصبحوا على الشارع، ولكنها لم تنتبه إلى هذه المسالة[2] .

بلغت ميزانية بلدية القدس عند تكوينها 1863م محدودة الموارد ذات ميزانية لا تتعدى 500 ليرة عثمانية ثم انتظمت الإيرادات عام 1908م وارتفعت 10الاف ليرة عثمانية، وبلغت ميزانية بلدية القدس خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1917م أحد عشر ألف ليرة[3]، وكانت حتى بداية الاحتلال البريطاني 1917م خمسة عشر ألف ليرة[4].

ولكن بعد قيام الإدارة العسكرية البريطانية في فلسطين قام حاكم القدس العسكري "ستورز" على إعادة تشكيل مجلس بلدية القدس، حيث خفض عدد أعضائه إلى 6 أعضاء بدلاً من عشرة وذلك من أجل تخفيض عدد الأعضاء المسلمين من ستة أعضاء إلى اثنين فقط، على أن يكون أحدهما الرئيس، وأبقى على عدد ممثلي كل من المسيحيين واليهود في المدينة كما كان في السابق وهما عضوان لكل طائفة منهم وعين "ستورز" السيد "موسى كاظم باشا الحسيني" رئيساً جديداً لمجلس البلدية على أن يكون له نائبان أحدهما مسيحي والآخر يهودي[5].

نلاحظ من قيام الإدارة العسكرية البريطانية إلى تخفيض أعضاء المجلس البلدي من عشرة إلى ستة هو المساواة بين المسلمين واليهود وجعل المجلس مقسم بين المسلمين واليهود والمسيحيين بالتساوي، رغم أن المسلمون هم الأكثرية ولهم الحق بتولي عدد اكبر من أعضائها في المجلس البلدي ومن هنا تستطيع أن تمارس صلاحياتها كيفما أرادت وان توجه المجلس كيفما تريد دون أن تعارض الأغلبية أية مشروع قد تطرحه البلدية لصالح اليهود فيما بعد.

---

[1]أوين، روجر ، **الحياة الشعبية في فلسطين** ، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج1، 584

[2]تماري، سليم، **عام الجراد، 217**

[3]العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس، 478**

[4]العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس** 123، الشورة، صالح، **مدينة القدس تحت الاحتلال والانتداب البريطاني**،82

[5]الشورة، صالح، **مدينة القدس تحت الاحتلال والانتداب البريطانيين، 84**

وبعد أن تمكنت القوات البريطانية من بسط سيطرتها على كامل الأرض الفلسطينية في أواخر عام 1918م كان يوجد فيها اثنتان وعشرون بلدية، فارتأت إدارة الاحتلال أن تستمر مجالس هذه البلديات في تقديم وتطوير خدماتها المحلية بموجب قانون البلديات العثماني الذي كان معمولاً به في السابق ولكن مع تحديد للسياسات العامة للبلديات، وأن تكون تحت رقابة وسلطة مدير عام فلسطين[1].

أما بالنسبة للخدمات التي قدمتها البلدية منها ما كان قبل الاحتلال، أو بعده، كمراقبة أمور الصحة العامة في المدينة، والتفتيش عن تجار المواد التموينية والأفران للتأكد من التزامهم بالتسعيرة الرسمية والأوزان، إضافة إلى مهام أخرى عديدة منها إنشاء المرافق العامة، والحدائق في المدينة، ورصف الطرقات، وتنظيفها، وإنارتها، فمع فرض الاحتلال البريطاني على القدس، لم تكن خدمة الكهرباء قد وصلت بالكامل إلى مناحي ومرافق الحياة في المدينة كافة، وإنما استخدم فقط من قبل بعض العائلات المقدسية الميسورة الحال وبشكلٍ محدود جداً [2].

أما بالنسبة لإنارة شوارع المدينة فقد كانت تنار من قبل البلدية، بواسطة قناديل اللوكس التي كانت تعمل على زيت الغاز، أما فيما يتعلق بجمع القمامة من أرجاء المدينة فقد كان جامعو القمامة يجمعونها في الصباح الباكر في أكياس، ويحملونها على ظهورهم، ويجمعونها في مكان معين، حتى تأتي عربة يجرها حصان لجمعها، ومن ثم يتم نقلها إلى المحرقة[3].

إذن هنا نلاحظ أن الإدارة العسكرية ومنذ بداية العهد الأول قامت بإعادة الحياة إلى القدس بكافة مرافقها، فلم تترك جانباً إلا وقد قامت بإصلاحه، نظراً لما خلفته الحرب من دمار في هذه المدينة ولكن ؟ السؤال ؟هل كان تعمير القدس لصالح السكان العرب؟ ،أم أن تجهيز المدينة كان لأجل تنفيذ الوعد الذي قطعته لليهود لإتمامه بعد الحرب هنا سنجد الإجابة.

ثانياً:- الأوضاع الاقتصادية

كتبت جريدة الكوكب مقالاً بعنوان "البريطانيون في القدس" عقب دخول بريطانيا القدس قولها "من الأمور التي لا تقبل الدحض أن ما وجد في القدس في اليوم التاسع من شهر ديسمبر سنة 1917م من المواد الغذائية كان يمكن جمعه كله في غرفتين كبيرتين، فقد فتكت حمى التيفوس والمجاعة في الأهالي فتكاً ذريعاً، واستنزف النفير العام رجالهم، وأخذت الحكومة جميع ما في البلاد من الخيل

---

[1] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 92

[2] Storrs ,Ronald,op.cit,p.309

[3] غوشة، صبحي، **شمسنا لن تغيب**، 1/128-129

والجمال، والحمير، وكانوا يأملون أصحابها بمواعيد وهمية لاسترداد قيمتها، فباتت البلاد معدومة من وسائل النقل، ولم يرد إلى المدن إلا ما تيسر نقله بواسطة الشيوخ وعلى رؤوس النساء، يذهب الفلاحون إلى أطراف المدينة حيث تيسر لهم طلب الأثمان التي يريدونها للحاجيات وهم في مأمن من تداخل رجال البوليس ووسائل جبرهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل اضطر الأهالي بعد ذلك إلى الذهاب مسافة نصف ميل فميل، فميلين، فثلاثة، فأربعة، وخمسة أميال خارج المدينة، حاملين درهمهم ليشتروا الخضار، والفواكه، ومواد الحريق التي لم يكن لهم غنى عنها، فقد زاول بعض المساكين حرفة شراء هذه الحاجيات وبيعها، فكانوا يتكبدون مشقة المسافة طمعاً بربح يسير، غير أن الويل لهؤلاء إذا قابلهم أحد رجال البوليس، وأخذ منهم هذه الحاجيات، وباعوها بأسعار تفوق السعر الذي اشتروه من الفلاح[1]" .

وعندما دخلت الجيوش البريطانية المدينة المقدسة في اليوم التاسع من ديسمبر الماضي واجه أهلها العديد من الصعوبات والمشكلات خلال الأيام الأولى من فرض الاحتلال عليها، وأهمها ما كان يتعلق بتوفير وتأمين المواد الغذائية الرئيسية لأهلها، فقد كانت المدينة– فيما سبق – تعتمد في ذلك على الاستيراد الخارجي أكثر من اعتمادها على مصادرها المحلية، وكان يتم تزويدها بأهم عنصر غذائي وهو القمح إبان العهد العثماني عن طريقين أحدهما: الطريق البري عبر السلط، والكرك، والمناطق الشرقية الأخرى من الأردن، حيث يورد الموسيقي "واصف جوهرية" في مذكراته أن تجارة الحبوب كانت ملكاً لآل الحسيني، وأعطيت "لواصف" وظيفة قنطارجي نائب الضابط المسئول عن وزن القمح المستورد الذي كان يشترى من القبائل البدوية في الكرك ويشحن للجانب الفلسطيني[2]، وأما الطريق الثاني فكان الطريق البحري عبر ميناء يافا، أما المواد الاستهلاكية الأساسية وغيرها من المواد فقد كانت تزود بها من خلال استيرادها من مصر والمناطق المحيطة بها[3].

ويقول الجنرال ستورز[4] بعد احتلال القدس في يناير 1918م "وصل النقص في الأغذية إلى حد المجاعة، جماهير من النساء العربيات مزقن ثيابهن ليكشفن عن عظامهن المعروفة البارزة تحت جلودهن، وهن يتجمهرن أمام مكتبي، ويأخذن في الصياح، والعويل، والنحيب، كما شاهدت أطفالاً منتفخي البطون والأعضاء بسبب سوء التغذية "، حتى الجنود كانوا في حالة يرثى لها من رثاثة الثياب وغثاثة المأكل ويقال :إن كثيرين منهم يعترضون الناس في طريقهم يطلبون إحسانهم ويطوفون على البيوت يطلبون أكلاً، وإذا قدم لهم طعامٌ التهموه، كأن لهم أياماً بدون أكل، حتى الذين يشتغلون في

[1] **الكوكب**، ع 122_10 ديسمبر 1918، 1

[2] تماري، سليم، **القدس العثمانية**، 26

[3] **Palestine & Transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,p10

[4] Storrs ,Ronald, **The Memoirs of Sir Ronald Storrs** ,p278

الطرق منهم لا يأكلون غير العدس بدون خبز، وإن كثيرين منهم يفرون من الجوع[1]، كما أن بعض الجنود يقفون في الطرق بالليل يسلبون المارة ويتحرشون بالنساء، هذا فضلاً عن الأمراض المنتشرة بين الجند، والتي يخشى أن تنتشر فيهم بسبب سوء المعيشة[2].

ومع نشوب الحرب _كما أسلفنا سابقا_ أغلقت الحدود والمعابر الرئيسية وتوقف الاستيراد، مما أدى لعزل القدس عن مصادر التموين الأساسية، فانخفض مستوى مخزونه المحلي من البضائع وارتفعت معظم الأسعار بشكل كبير وملحوظ، وفقدت مادة الطحين من البلاد وأغلقت المخابز فيها، وقامت الإدارة العسكرية باتخاذ إجراءات سريعة لتسهيل الأمر على المقدسيين بتوفير الطحين من يافا وذلك من خلال تأمين وسائط النقل اللازمة لذلك[3] .

ومن جهة أخرى فقد أصبحت عائلات مقدسية كثيرة دون مصدر للدخل بعد أن أصبح معيلوها عاطلين عن العمل، وغالبيتهم من العسكريين السابقين والموظفين الحكوميين الذين كانوا يعتمدون على الرواتب الوظيفية من الإدارة العثمانية السابقة، فعملت الإدارة العسكرية لاحقاً على تعويض بعض المتضررين منهم [4].

تحسنت الحالة الاقتصادية في فلسطين، وهنا نتحدث عن وصف حالة فلسطين في عهد الإدارة العسكرية، وفي السنة الأولى من هذا العهد، وهذا ما يشير إلى أن بريطانيا كانت عازمة وتعمل بجد لتحسين الأوضاع في البلاد التي أنهكتها الحرب، فقد شهدت البلاد زيادة في عدد المواشي والغنم التي فقد الكثير منها أثناء الحرب حيث قدرت حسب ما صدر عن جريدة الكوكب 201,000 من الغنم، و315,000من الماعز و145,000من الجمال، و 500من الجواميس المجموع 1161ألفاً[5] كان 61 في المائة من المسلمين يعملون بالزراعة، مقابل 46من المسيحيين، و19 من اليهود، وقد زادت مساحة الأراضي المزروعة 15% فترة الاحتلال البريطاني، ونزلت أثمان الأطعمة حوالي 29%، ولكن مجمل أسعار الأشياء، وسائر أصناف البضائع، والمصنوعات، والثياب تباع في المدن بقيمة مرتفعة بنسبة 25% في المئة، والأسباب هو الخراب الذي عم في البلاد نتيجة الحرب [6].

-الشؤون المالية

---

[1]أنطونيوس، جورج، **يقظة العرب**، 199-200

[2]**يوميات السكاكيني**، 158

[3]Storrs ,Ronald,**The Memoirs of Sir Ronald Storrs** ,p302-303

[4]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 30

[5]**الكوكب**، ع160، 7 أكتوبر 1919، 7

[6]**الكوكب**، ع160، 7 أكتوبر 1919،7

أولت الإدارة العسكرية اهتماماً كبيراً بتنظيم الأمور المالية في فلسطين والتي يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

-العملات

بما أن العملة المتداولة في أي دولة كانت تعد إحدى أبرز الدلالات على سيادة تلك الدولة، من هنا سارعت الإدارة العسكرية -وكما اشرنا سابقاً- إلى إصدار تعليماتها الأولية بمنع استخدام العملة العثمانية الورقية المتداولة بين الناس، في حين أبقت على العملات المعدنية منها، وذلك لعدم تمكنها من استبدال القطع النقدية الصغيرة المتداولة بالكامل، لأن السلطات المصرية لم تستطع زيادة إصداراتها النقدية إلا ضمن حدود معينة[1].

بتاريخ 1918/12/12 م أصدرت الإدارة العسكرية بياناً رسمياً باللغات الأربع: الانجليزية والفرنسية والعربية، والعبرية-تم من خلاله الإعلان رسمياً عن اعتماد العملة المصرية، وأجزائها ومضاعفاتها كعملة رسمية للمناطق المحتلة الجنوبية، والشرقية، والغربية كافة[2]، وحددت التعرفة الرسمية لها على النحو التالي:

أولاً:- العملة العثمانية

العملة العثمانية الورقية ألغيت وتعد غير قانونية	
الليرة العثمانية الذهبية	78,75قرش مصري
القطع المجيدية الفضية (1,2,5,10,20)	قروش عثمانية مقبولة على معدل سعره 5قروشعثمانية =3 قروش مصرية
البشليك	1,5قرش مصري
المتليك	، 0,015قرش مصري

ثانيا:- جميع العملات المصرية قانونية، وتبلغ حسب المعدلات التالية

1 ليرة مصرية	100قرش

[1]Palestine & Transjordan administration reports,1918-1948, vol1,Budget Statement,1918-1919,p9.

[2]Palestine & Transjordan administration reports,1918-1948, vol1,BudgetStatement,1918-1919,p62-63

50 قرش مصري	50 قرش
25قرش مصري	25قرش
1 ليرة مصرية ذهبية	97,5قرش

Palestine & Transjordan administration reports,1918-1948, vol1,Budget Statement,1918-1919,p9

-الضرائب

أصدرت الإدارة العسكرية في عامها المالي الأول 1918م تعليماتها الخاصة بتثبيت الضرائب الأساسية التي كانت مفروضة على المواطنين قبل الحرب، والتي كانت تجبيها الحكومة العثمانية مثل: الجمارك[1]، وضريبة العشر[2]، وضريبة الأملاك[3]، والمواشي[4]، في حين ألغت بعضاً منها مثل ضريبة (غرامة) الإعفاء من التجنيد، وضريبة الشوارع، لكن إدارة الاحتلال لم تتمكن من جمع واردات كبيرة من الضرائب في عامها المالي الأول نظراً لجمع الإدارة العثمانية أكبر قدر منها قبل رحيلها من جهة ونتيجة لظروف الحرب، وما أدت إليه من ترد في الأحوال الاقتصادية بشكل عام وتراجع كبير في المحاصيل الزراعية من جهة ثانية، إلّا أنها كانت تعادل جنيهاً مصرياً على كل فرد، وهذه النسبة من الضرائب في ذلك الوقت كانت تعد كبيرة جداً وعبئاً ثقيلاً على كاهل المواطنين[5] .

ثالثاً:-الأوضاع الاجتماعية

---

[1]أولاً الجمارك: وكانت تعد أكبر مصدر للواردات المالية، وأبقت على ذات النسبة المحددة أيام العثمانيين وتساوي 11% على المستوردات كافة، في حين حددت على المستوردات المصرية بنسبة تبلغ 8%، هذا وكانت مراكز الجمرك سابقاً في فلسطين فقط، عند مرفئي يافا وحيفا، لكن الاحتلال البريطاني سعى في عامه الأول في فلسطين إلى إيجاد مراكز جديدة للجمارك عند محطات القطارات في المدن الرئيسة مثل القدس، وغزة، وبئر السبع، ويافا واللد وطولكرم.**Palestine &Transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,p10-13.

[2]ضريبة العشر :ضريبة تفرض على ناتج الغلال في القرى والأرياف، وكانت تبلغ أيام العثمانيين 12.5% وكان الفلاحون والمزارعون يسددونها غلالاً من ناتج المحصول، لكن الاحتلال البريطاني فرض بأن تسدد قيمتها نقداً بدل الغلال .**Palestine &Transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,p10-13.

[3]ضريبة الأملاك والمباني (الويركو) كانت تبلغ 4% وتدفع من قبل الملاكين، واستمرت إلى ما كانت عليه زمن العثمانيين **Palestine &Transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,p10-13

[4]ضريبة المواشي: كانت تؤخذ من أصحاب الحيوانات من الفلاحين وتحسب عن كل رأس غنم، أو بقر، أو جمل وكانت هذه الضريبة تحسب مضاعفة على الفلاحين، الذين يحاولون إخفاء حيواناتهم عند التعداد الخاص بجمع الضريبة. **Palestine &Transjordan administration reports,1918-1948, vol1**,p10-13

[5]**Palestine &Transjordan administration reports,1918-1948 vol1**,p10-13؛

غنيم، عادل، **الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة 1936 حتى قيام الحرب العالمية الثانية**،312-314

عانى المقدسيون في زمن الحكم العسكري البريطاني العديد من المشاكل الاجتماعية ولكن أشدها صعوبة عليهم وأكثرها انتشارا في تلك الفترة هي آفة الفقر ، والتي ازدادت مع الحرب والاحتلال وما نجم عنه من ارتفاع في أسعار الحاجيات وفي تكاليف المعيشة بشكل عام[1].

وفي محاولة من الإدارة العسكرية البريطانية لتوفير مصدر دخل لبعض النسوة من الأرامل والفقيرات من القدس ،عملت على تأسيس مشغل لغسل الثياب في دار الحكومة القديمة داخل البلدة القديمة ، حيث أن الأسلوب الذي كان متبعا آنذاك في غسل الثياب هو استقدام بعض النسوة إلى البيوت للغسل بالأيدي مقابل اجر معين، فقد ورد في جريدة مرآة الشرق المقدسية مقال بعنوان مشغل غسيل ثياب في القدس جاءنا من الحكومة ما يأتي

"أسس هذا المشغل لمساعدة الأرامل والفقيرات من النساء والغاية منه تمكين هؤلاء من القيام بمعيشتهن في المستقبل ، ويقدر عدد اللواتي يشتغلن هناك بمائتي امرأة، والمشغل بحاجة إلى تبرعات، فنحن ندعو أهل القدس على اختلاف الملل أن يمدوا يد المساعدة لهذا المشروع"[2]

كان من نتائج الحرب أن وجد بالبلاد عدد من الأطفال الأيتام الذين قضوا أهلهم في الحرب وليس لهم من معيل ، فأنشأت الغدارة العسكرية في القدس ملجأ ومدرسة لهؤلاء الأيتام ، وكان في الملجأ (150) طفلا بالإضافة إلى عدد من المعلمين والمعلمات وكانت ترأسه سيدة بريطانية هي مس بل [3]

وجد بالقدس حوالي ألف لاجئ أرمني في البطريركية الأرمينية وبعد وصول قواتهم إلى مدينة السلط الأردنية وانسحابهم منها ثانية عبر نهر الأردن إلى فلسطين لحق بهم أهل السلط المسيحيون إلى فلسطين، يقول "ستورز" الحاكم العسكري البريطاني لمدينة القدس آنذاك: "أنه وجد 7000 سبعة آلاف لاجئ من الأرمن، والسريان، واللاتين، والأرثوذكس، والبروتستنت والمسلمين فجأة بين يديه ويعتمدون عليه في إطعامهم وإيوائهم، الأمر الذي جعله يوكل ثلاثة من أتباعه لتولي المهمة، فتم إيواء النساء والأطفال من أهل السلط مؤقتاً في الهوسبيس في القدس، وتم الاستعانة بالصليب الأحمر الذي أقام وحدته الخاصة في أحد بيوت العائلات غير المأهول بالسكان في سبيل توفير الملاجئ والخدمات الأساسية للباقين"[4].

---

[1] الحسيني ، موسى، **التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية**، 100

[2] **مرآة الشرق**، ع 9، 1919

[3] **مرآة الشرق**، ع 17

[4] Storrs ,Ronald ,Loc.cit,p 308-310

أما فيما يتعلق بدخول فلسطين أو الخروج منها فقد كان يتوجب على كل مواطن يرغب في ذلك الحصول على إذن مسبق من السلطات في القاهرة وتحديداً من قسم الدول الأجنبية في دائرة الجوازات العامة، أما السفر والتنقل بين المدن والقرى الفلسطينية –حتى لو كان سيراً على الأقدام– فقد منع منعاً باتاً إلا في حالات خاصة وبإذن خاص[1].

تنظيم مدينة القدس وتأثيرها على سكان المدينة

سعت الإدارة البريطانية ومنذ الشهور الأولى لاحتلالها مدينة القدس إلى اتخاذ إجراءات فعلية وسريعة لتنظيم وتخطيط حدود منطقة البلدية، وذلك من أجل إحكام السيطرة على كل شبر منها بينما كانت القوات البريطانية لا تزال تحارب في شمال فلسطين، ولم تتمكن بعد من بسط سيطرتها بالكامل على الأراضي الفلسطينية[2] .

استدعى حاكم القدس العسكري "ستورز" في أوائل آذار من عام 1918م المهندس البريطاني وليام "ماكلين W.H.Mclean" (مهندس كل من مدينتي الإسكندرية والخرطوم) لوضع مخطط عام جديد لبلدية القدس" ومن أجل ضمان إحكام السيطرة على كل شبر من القدس[3]، أصدر ستورس الحاكم العسكري بتاريخ 8 نيسان 1918م قراراً تنظيمياً خاصاً ببلدية القدس هذا نصه [4]:

إعلان عمومي رقم 34

(لا يحق لأي شخص أن يهدم، أو يشيد، أو يغير، أو يصلح أية أبنية في مدينة القدس أو في ضواحيها لمسافة تبلغ نصف قطرها 500متر عن بوابة دمشق (باب العمود) دون إذن خطي من الحاكم العسكري

وأي شخص يخالف الأوامر المشمولة في هذا الإعلان، أو أي شرط يتضمنه التصريح الصادر إليه بموجب هذا الإعلان سوف يكون مطالباً بغرامة تصل إلى 200 جنيه مصري).

أ–خطة ماكلين لمدينة القدس

---

[1]Storrs ,RonaldLoc.cit,p 308-310

[2] الشورة، صالح، **مدينة القدس**، 60

[3] تماري، سليم، **ما بين الأعيان والأوباش الرؤية الجوهرية في تاريخ القدس الانتدابية**، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 61، 112

[4]Storrs ,Ronald,op.cit,p.326-328

وضع المهندس "ماكلين" سنة 1918م خطته الشاملة لمدينة القدس، وتمت الموافقة عليها من قبل "اللنبي" القائد العام لقوات الاحتلال البريطانية في شهر تموز من العام ذاته، وقد تضمنت خطة ماكلين القواعد التنظيمية الأساسية لتنفيذها[1]، وبناء عليه تم تقسيم المدينة إلى أربع مناطق هي:

1-البلدة القديمة داخل الأسوار .(The Old City)

وهي ذات خصائص تعود إلى القرون الوسطى، ويجب أن تحترم، ولا يتم تشييد أية أبنية جديدة فيها إلا بإذن مسبق وبظروف خاصة[2].

2- المناطق المحيطة بأسوار البلدة القديمة (Prohibited Building Area).

(لا يسمح ببناء أية أبنية جديدة فيها مع إزالة للمباني غير المرغوب فيها)[3].

3- المنطقة الشمالية، والشمالية الشرقية للبلدة القديمة (Building Area Rerestricted).

لا يسمح بالبناء إلا بموافقات خاصة، وأن يتناسب البناء والخطة العامة للمنطقة، ولا يتضارب والجو العام لجبل الزيتون، وهي منطقة القدس الشرقية العربية[4].

4- المنطقة الشمالية والشمالية الغربية للبلدة القديمة(Development Area)

(وهي منطقة تطوير في المستقبل، حيث تضمن الخطة شوارع مستقبلية، ومناطق واسعة مفتوحة (وهي منطقة القدس الغربية-اليهودية) [5].

ومن أبرز سمات خطة "ماكلين" بالنسبة للمناطق الأربع، أنه حدد ارتفاع المباني فيهما ب11مترا كحد أعلى، وذلك كي لا تحجب الرؤيا عن جبل الزيتون، وتشوه منظر المدينة، كما أوجب استعمال الحجر في جميع المباني، ومنعت المنشآت الصناعية، وهي إجراءات كانت صدرت في العهد العثماني قوانين بحظرها لكنها لم تطبق إلا فترة الانتداب[6].

---

[1]Al-Modallal, Waleed: op. cit., P. 22-23;

[2]جريس، صبري، **القدس**، 23

[3]علوش، ناجي، **المقاومة العربية في فلسطين**، 41؛ جريس، صبري، **القدس**، 22

[4]أبو عليان، عزمي، **القدس بين الاحتلال والتحرر**، 237

[5]جريس، صبري، **القدس**، 23

[6]Kazak, Ali: **The Jerusalem Question, General Palestinian Delegation**,p5

اعتمدت السلطات البريطانية في القدس خطة ماكلين واعتبارها أساسا لتطوير المدينة، حيث إن الأوامر التي صدرت بمنع عمليات البناء المحاذية للبلدة القديمة، وفرضت قيوداً مشددة أخرى، على عمليات البناء في القدس الشرقية، والإعلان عن منطقة القدس الغربية منطقة تطوير وبناء، خاصة أن الأحياء الاستيطانية اليهودية تقع معظمها في المنطقة الغربية من القدس، وسمح للقدس الغربية أن تتطور وتكبر على حساب مناطق أخرى في القدس، والتي جرى تحجيمها وتقييد عمليات البناء فيها، وهذا يعني أن اليهود قد أُعطوا إشارة البدء لتنفيذ مخططاتهم الاستيطانية الداعية إلى تهويد المدينة ،وتضييق الخناق على العرب، ومنع أي امتداد وتوسع لهم داخل البلدة القديمة، حيث أصبحت خطة "ماكلين" بعد ذلك أساسا، لجميع الأعمال الاستيطانية والتطويرية التي شاهدتها القدس لاحقاً.

ب-جمعية محبي القدس

أنشأ الحاكم العسكري "ستورز" عام 1918 م جمعية محبي القدس، وهو مشروع يطمح من خلاله تحسين مدينة القدس من الناحية العمرانية، والأثرية، والاحتفاظ بقدسيتها، وقد استحضر من بلاد الإنجليز مهندساً مختصاً في شؤون التنظيم، ليقوم بهذه المهمة إنه المستر "آشبي" وقد ولاه أمانة السر [1].

كان هدف الجمعية تحسين المدينة وتنظيمها. ولكن هدفها الأصلي هو إفهام العالم الخارجي أن سكان البلاد على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم راضون عن الحكم البريطاني، ومما يدل على ذلك على أعضاء الجمعية هم خليط من الإنجليز والعرب، كرئيس البلدية "موسى كاظم باشا"، المفتي الأكبر" كامل أفندي الحسيني "حارس الأراضي المقدسة، ومدير الآثار البريطاني، ورؤساء كل من الطوائف الفرنسيسكان والدومنيكان، والأرثوذكس، والأرمن، واللاتين، والكاهن الإنجليكاني وحاخام اليهود، ورئيس الجماعة اليهودية، ورئيس المنظمة الصهيونية[2]، واتفق أن تكون اللغة الرسمية بينهم اللغة الفرنسية وأن يتم تسجيل محاضر لجلساتها [3].

كان الهدف الرئيسي الذي كان يصبو إليه حاكم القدس العسكري "ستورز" من إنشاء هذه الجمعية في المدينة المقدسة هو العمل ما أمكن من خلالها لدعم الوجود اليهودي في المدينة، وتحقيق مصالحهم على حساب مواطنيها وسكانها العرب[4] .

---

[1] العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، 579

[2] Storrs ,Ronald,op.cit,p.326-327

[3] Ibid, 326-327

[4] المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**،105-106

ومما ساهم في تعزيز وتحقيق الهدف الإنجلو صهيوني من الجمعية نلاحظه من تباين واضح بين عدد منتسبيها من العرب واليهود خلال السنوات الأولى من تأسيسها، فقد كان نظام الجمعية يحتم التبرع لها للفوز بعضويتها، فسعى اليهود ومنذ السنة الأولى لتأسيسها إلى وضع كل ثقلهم فيها من خلال تبرعهم لها، وبالتالي اشتراكهم في عضويتها للعب دور مهم ومؤثر في أية قرارات تصدر عنها في وضع ومستقبل المدينة المقدسة، في حين أغفل العرب هذا الجانب المهم والخطير من مواقع القرار في المدينة ولم يكن لهم أي دور يذكر فيه[1] .

كانت نسبة أعضاء الجمعية في السنة الأولى من تأسيسها، اليهود 50,0%، والعرب 33,3% وأجانب 17,6%، واستمرت الجمعية حتى عهد الإدارة المدنية _ونحن لسنا بصدد الحديث عن هذه الأعوام اللاحقة من تأسيس الجمعية ولكن نود الإشارة_ إلى أنه في هذه السنوات ازداد عدد الأعضاء اليهود والأجانب في الجمعية بنسبة كبيرة، وعلى النقيض من ذلك تماماً تضاءلت نسبة التواجد العربي فيها بنسبة أكبر من ذي قبل[2] .

نلاحظ إذن من خلال هذه النسب أن جميع القرارات أو الإجراءات التي تتخذ من قبل الجمعية منذ تأسيسها تصب بمصلحة اليهود، وهذا الأمر رأيناه أيضاً من خلال المخططات التنظيمية التي وضعت لمستقبل المدينة والتي سبق الإشارة إليها .

نجد هذا المخطط الذي يصب في مصلحة اليهود_ والذي من شانه أن يعزز التواجد اليهودي في القدس_ من خلال العديد من المهام التي قامت بها الجمعية بالأماكن والمواقع الأثرية المهمة في المدينة ولكن ليست بالمرحلة والسنوات التي نتحدث عنها، من خلال ترميم وصيانة الأسواق وترميم المسجد الأقصى، وبعض الصناعات كالنسيج، والحياكة، وصناعات الخزف والفخار[3].

ومنذ بدايات التأسيس لجمعية محبي القدس عملت على تحسين أوضاع حارة اليهود (تقع بالجزء الجنوبي الشرقي من المدينة)دون غيرها من الحارات القديمة والكثيرة في المدينة فقد استأجرت الجمعية قطعة أرض بمساحة 10يارد، ولمدة 10 سنوات، وبأجرة سنوية قدرها 10 جنيهات لتحويلها إلى حديقة، وملعب لأطفال حارة اليهود، وكذلك تم التعاقد مع السيدة "نورمان بنتويش"(Mrs. Norman Bentwich) لتتولى الإشراف على زراعة الحديقة من جهة أخرى[4].

---

[1]**نفسه**، 106

[2]Storrs ,Ronald,op.cit,p333

[3]Kazak, Ali: op.cit,p16

[4]عناب، محمد : **الاستيطان الصهيوني في القدس**،50

تعاونت كل من جمعية محبي القدس وممثلي المنظمة الصهيونية في القدس لدعم هذا المشروع حيث رصدت الجمعية مبلغ 25 جنيهاً لإنجاز هذا العمل، بالإضافة إلى تحملها قيمة الأجرة السنوية للحديقة أما اللجنة الصهيونية فقد عملت على تزويد المشروع بمجموعة كبيرة من العمال الذين عملوا على إعداد الأرضية اللازمة للملعب، وأعادوا بناء الأسوار، وكذلك زودوا المشروع بالمزارعات اليهوديات اللاتي قمن بزراعة الحديقة[1].

ولكن مع إتمام المرحلة الأولى من العمل في هذه الحديقة وزراعتها شهدت في إحدى الليالي هجوماً عليها من قبل أناس عملوا على خلع كل زهرة وشجرة فيها، لكن لم تتمكن قوات الأمن من تحديد هويتهم وبالتالي تم إيقاف هذا المشروع وتأجيله إلى وقت غير محدد[2].

هذا وقد تحدثنا سابقاً عن صناعة النسيج وحياكته، والتي قامت بها طائفة الأرمن طيلة فترة الحرب 1914-1917م وكانت جمعية الصليب الأحمر، مسؤولة عن هذا العمل وداعمة له، وبعد أن سرحت هذه الجمعية من فلسطين ارتأت جمعية محبي القدس أن تستمر في متابعة شؤون هذه الحرفة، لتكون بمثابة صناعة دائمة فيها[3].

ولما كان سوق القطانين داخل البلدة القديمة هو المركز الرئيس السابق للصناعة وبيع المنتجات القطنية، قررت الجمعية عندئذ البدء بترميم وصيانة السوق، كما عملت على إزالة طاحونة كبيرة كانت تعمل بداخله، وكانت تتسبب في اهتزاز السوق بأكمله عند عملها نتيجة لقوة آلة تشغيلها والتي كانت تبلغ 20 حصاناً [4]

وبعد أن أصبح بناء السوق جاهزاً، أمر السيد "آشبي" المستشار المدني للإدارة العسكرية وأمين سر الجمعية بجلب أنواع الحياكة والنسيج كافة التي كانت تعمل لحساب الصليب الأحمر الأمريكي في المدينة، ووضعت جميعها في السوق، وتم توظيف ما يقرب من 70 نساجاً من الأرمن والسوريين ليعملوا لحسابهم الخاص، وقد ساهمت الجمعية بمنحهم قروضاً تبلغ قيمتها 200 جنيه مقابل فائدة نسبتها 5% لكن الآلات كانت تعود ملكيتها للجمعية، وبذلك أصبحت هذه الصناعة تمول ذاتياً[5].

---

[1]المهتدي، عبلة، **القدس والحكم العسكري البريطاني**، 104

[2]C.R.Ashbee, **Jerusalem 1918-1920**,p6

[3]العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، 464

[4]**نفسه** ، 464-465

[5]Storrs ,Ronald,op.cit,p.330-332

وفي سبيل دعم هذه الصناعة في المدينة أنشت مدرسة صغيرة لتعليم هذه الحرفة للأولاد وكانوا في مجملهم من أبناء المسلمين[1]، ولكن النسيج المقدسي على الرغم من إتقان صنعه وجمال ذوقه إلا أنه لم يصمد أمام المنافسة الخارجية الشديدة[2].

الإصلاحات التي قامت بها الإدارة العسكرية صبت باتجاه فريق واحد وهم اليهود، فالهدية التي قدمت لهم وهي _أرض فلسطين _ وبخاصة مدينة القدس، تم إعدادها لهم على أكمل وجه تماماً فكما وعدت بريطانيا وفت لليهود.

رابعاً:- الأوضاع السياسية

1-السياسة البريطانية تجاه اليهود

-وعد بلفور

أشرنا سابقا إلى موقف الحركة الصهيونية من الحرب والتي اتخذت موقف الحياد، ولكن عندما لمست أن الكفة رجحت لمصلحة الحلفاء مالوا بثقلهم إلى بريطانيا، وقد ظهر حاييم وايزمن في لندن ليقوم بدور زعيم الأمر الواقع في الحركة الصهيونية، ويجد في الحكومة البريطانية خير حليف لمطامع الحركة[3] .

ازداد نفوذ الصهاينة، وتغلغلوا في أعماق دوائر القرار البريطاني، وتوثقت علاقة وايزمن بكل من رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج (Lioyd George)، ووزير الخارجية آرثر جيمس بلفور حتى صور وايزمن هذه العلاقة بهذه الجملة "لم يخطر على بال بعضهم أن رجالاً من أمثال بلفور وتشرشل ولويد جورج كانوا متدينين في أعماق قلوبهم ومؤمنين بالتوراة، وبأن عودة اليهود إلى فلسطين مسألة واقعية وحقيقية"[4].

سارع وايزمن للاجتماع بمستر" بلفور" وغيره من المسئولين البريطانيين الذين أعربوا عن استعدادهم لتأييد المطالب الصهيونية، وبالفعل بعد نجاح الحلفاء في الحرب[5]، جاء صدور وعد بلفور [1] في الثاني

---

[1] المهتدي، عبلة، **القدس**، 66

[2] Storrs ,Ronald,op.cit,p.330-332

[3] الشورة، صالح، **مدينة القدس**، 60

[4] **نفسه**، 60-61

[5] علي، محافظة، **العلاقات الألمانية الفلسطينية**، 171

الثاني من تشرين الثاني 1917م والذي يعد بمثابة حصيلة تلك الجهود، وثمرة التحالف البريطاني في أثناء الحرب فكان أول اعتراف رسمي من دولة عظمى بالحركة الصهيونية، وأول تأييد رسمي لأطماعها في فلسطين [2].

ب–تعيين موظفين يهود في الإدارة العسكرية:

منحت الإدارة العسكرية اليهود الوظائف المهمة في الدوائر الحكومية، وسمحت لهم برفع الأعلام الصهيونية في احتفالاتهم، وشجعت الفساد الأخلاقي دون مراعاة العادات والتقاليد الاجتماعية في المجتمع المقدسي، فقد" جعل بعض أصحاب الحوانيت يستخدمون فتيات اليهود في حوانيتهم لاستدعاء إقبال الإنجليز عليهم مما تستوحش منه النفس البشرية[3]"

وقد أشرنا سابقاً إلى الدور البريطاني في محاباة اليهود ،وإقامة الوطن القومي اليهودي الذي وعدوا به من خلال خطة ماكلين ،والتي قسمت المدينة إلى أربع مناطق ،جعلت من منطقة القدس الغربية اليهودية منطقة تطوير وبناء لإقامة المستوطنات اليهودية ،بالإضافة إلى جمعية محبي القدس التي أنشئت لتخفيف الخلل الناشئ عن الحرب، وتنظيم الشؤون الاقتصادية، والإدارية، والدينية والأماكن المقدسة، والتي تعد من القضايا الحساسة التي تطلبت عناية خاصة من حاكم القدس العسكري" رونالد ستورس"؛ ومن أجل المساعدة في الحفاظ على تراث المدينة وتحسين أوضاعها أسس جمعية" محبي القدس (The Pro–Jerusalem Society) التي تألفت من زعماء دينيين مسيحيين، ومسلمين، ويهود ومن أعيان مدنيين، وذكرنا أن الإدارة البريطانية هدفت من وراء إدخال الأقلية اليهودية، ضمن عضوية الجمعية إلى تأهيلهم لأن يصبحوا أداة نافذة في المجتمع المقدسي وسعت الجمعية " تحت الرقابة الفنية للمخطط والمهندس المعمار" أشبي (C.R.Ashbe) إلى القيام بترميم المباني العامة والأثرية وتجديدها[4].

هذا وقد وضعت الإدارة العسكرية هدفاً لها وهو تهيئة فلسطين بالتدريج لتصبح وطناً قومياً لليهود وقد أبقت على معظم الدوائر الإدارية التي كانت قائمة في العهد العثماني السابق، واحتفظت بكثير من

---

[1] نص وعد بلفور الذي منحه الإنجليز على لسان وزير خارجيتهم آرثر بلفور إلى اليهود عن طريق زعيمهم روتشيلد "عزيزي اللورد روتشيلد" يسرني جداً أن أبلغكم أن حكومة جلالته تنظر بعين الرضا إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وتبذل الجهود في سبيل ذلك ؛على أن لا يجري شيء يضر بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود في فلسطين، أو يضر بما لليهود من الحقوق والمقام السياسي في غيرها من البلدان الأخرى " **الدفاع**، 8646، 7–7–1964، 3–4

[2] **الدفاع**، 8646، 7–7–1964، **3**

[3] السكاكيني خليل، **يوميات السكاكيني**، 65/3

[4] العسلي، كامل : **القدس في التاريخ**،331

الموظفين، إلا أنها حرصت على المبالغة في محاباة الصهيونية [1] فكان من كبار الموظفين وجميعهم بريطانيون، تسعة من اليهود، ولم يسند إلى أي من العرب المؤهلين مركز تنفيذي كبير ومن عين منهم في مناصب استشارية كان معظمهم من العرب الذين جاؤوا مع الجيش البريطاني من خارج فلسطين وإن كان قد تم تعيين بعض من أهل القدس العرب لكنهم كانوا قليلي العدد ومعظمهم من النصارى الذين كانوا تلقوا دراستهم في مدارس بواسطة الإرساليات الأجنبية المختلفة في القدس، وشغلوا وظائف كتبة ومترجمين في الإدارة العسكرية البريطانية[2] .

شكل اليهود أغلبية الإدارة العسكرية التي بدورها لم تطبق أنظمتها الإدارية على المستعمرات اليهودية القائمة حين ذلك، بل جعلتها تتمتع بمجالس مستقلة .وبالمقابل ضيقت هذه الإدارة على العرب مثل إلغاء نظام المخاتير القائم على الانتخاب منذ العهد العثماني[3].

ج –تغيير إجراءات الهجرة الصهيونية:

رأت الحركة الصهيونية أن الهجرة أهم دعائم المشروع الصهيوني، لذلك بادرت بالعمل الدءوب وبدون انتظار مسودة القوانين البريطانية الجديدة الخاصة بالهجرة والأراضي، لذلك سافر "وايزمن" في العام 1918م إلى لندن، وهناك عبر عن غيظه للجنرال" كلايتون " الحاكم العسكري العام لفلسطين، والذي كان في زيارة للندن أيضاً،" من أن عمليات الاستيطان وشراء الأراضي تسير بتباطؤ بسبب إغلاق دوائر الطابو، والإجراءات البريطانية التي تعوق نقل مساحات شاسعة من الأراضي إلى اليهود، حيث عبر "وايزمن" عن عزمه على تغيير هذه الإجراءات من أجل تمكين الصهاينة من بدء العمل لإقامة الوطن القومي اليهودي بدون أي تأخير، ولم ينتظر وايزمن حتى تنتهي بريطانيا من وضع الإجراءات الخاصة بالأراضي، بل فضل العمل مع الأطر الصهيونية المختلفة من أجل زيادة الهجرة إلى فلسطين، وعدم انتظاره حتى تحل مشكلة تسجيل الأراضي[4].

---

[1] **الموسوعة الفلسطينية**، الدراسات الخاصة ،ق2، 996

[2] خلة، كامل، **فلسطين والانتداب البريطاني**، 65

[3] الشورة، صالح : **مدينة القدس** ،69

[4] المهتدي ، عبلة، **القدس** ، جريس ،صبري، **القدس** ،21

ومع بداية عهد الإدارة العسكرية تتابع توافد اليهود على القدس، فقد ورد في التقارير الإدارية العسكرية البريطانية أن عدد سكان القدس قد بلغ عام 1918م60 ألفاً[1]، أما أعداد سكان فلسطين بتاريخ 15-10 -1918م[2] فكانت على النحو التالي .

مسلمون	515,000
مسيحيون	61,000
يهود	66,000
السامرة....	150,000
آخرون....	4900

د -بناء المستوطنات الصهيونية في القدس

تم سن الكثير من القوانين في القدس التي تسمح لليهود بالبناء في أماكن وأراض كان يعد فيها البناء ممنوعاً خلال الحكم العثماني، وتمت الموافقة على مخططات البناء كلها بدون معوقات، وقدمت التراخيص اللازمة للبناء بسهولة، وتم تقديم الكثير من التسهيلات لإنشاء الأحياء السكنية الجديدة وتم توصيل الكهرباء، والخدمات العامة لهذه الأحياء من قبل السلطات البريطانية، وتم رصف الطرقات الداخلية ، وبناء محطات شرطية بجوارهم لحمايتهم من أي اعتداءات عربية[3]، حتى إن هذه الأحياء حصلت على نوع كبير من الاستقلالية الإدارية، ولم يتم دمجها ضمن حدود بلدية القدس، ولقد قامت البلدية ببيع أراضي الكنيسة اليونانية لليهود لبناء مركز المدينة العبرية في المدينة، ووافقت على كل مشاريع البناء اليهودية العامة، مثل حدائق، ورياض الأطفال، والمحلات التجارية، والمصانع والمصارف، والبنوك[4].

يتضح مما سبق الدور البريطاني الكبير والخطير، في رعاية المشروع الصهيوني، والعمل على تهيئة فلسطين من أجل استقبال آلاف المهاجرين، تبعه إصدار" وعد بلفور ."إن بريطانيا لم يكن لها حق سياسي، أو تاريخي، أو قانوني، يخول لها أن تعطي أرضاً هي ملك للعرب والمسلمين، إلى أناس آخرين، غرباء عن المنطقة، إنه أسوأ أنواع الاستعمار على الإطلاق، ولم يكن الهدف منه استغلال أهل البلد وأرضهم، بل طردهم من البلد، وإحلال اليهود الغرباء والذين ليس لهم علاقة بفلسطين لا من

---

[1] **الكوكب**، ع 160، 7أكتوبر 1919

[2] [2] **palestine & transjordan administration reports ,1918-1948, vol1 ,7**
الكوكب، ع 160، 7أكتوبر 1919

[3] **الدفاع**، ع8653، 15-7-1964، 4

[4] عناب، محمد : **الاستيطان الصهيوني في القدس**، 51

قريب ولا من بعيد .لقد هدفت بريطانيا إلى زرع هؤلاء اليهود في فلسطين، بهدف فصل المنطقة العربية إلى شقين يصعب توحدها مستقبلاً.

-تشكيل المفوضية الصهيونية

بعد أربعة أيام فقط من صدور وعد بلفور، في 2 نوفمبر تشرين الثاني 1917م، قدم وايزمن اقتراحاً إلى الحكومة البريطانية، بزعامة لويد جورج، دعا فيه إلى إنشاء المفوضية الصهيونية (Zionist Commission)، لتقديم الاستشارة والنصح للسلطات البريطانية، وإزالة كل العقبات والصعاب أمام إنشاء الوطن القومي اليهودي وإلى دفع البريطانيين إلى الالتزام بتعهداتهم التي قطعوها على أنفسهم في وعد بلفور [1].

لقد جاء تشكيل المفوضية الصهيونية خلال المناقشات التي شاركت فيه اللجنة الصهيونية السياسية بزعامة وايزمن في لندن في يوليو تموز 1917 م، مع وزراء كبار في الحكومة البريطانية، لم تكن المفوضية منتخبة من الحركة الصهيونية، ولكنها كانت عبارة عن مجموعة من القادة الصهاينة تم اختيارهم من أجل تقديم العون والنصح لوايزمن[2] .

وصل وايزمن مع أعضاء المفوضية إلى القدس عام 1918 م، وفور وصوله استقبله صديقه الحميم الجنرال "اللنبي"، وكان وايزمن عازماً على تحقيق هدفين هما إزالة وتبديد المخاوف الفلسطينية من المشروع الصهيوني، ووضع الخطط الكفيلة بالإسراع بتنفيذ وعد بلفور[3].

طالب وايزمن فور وصوله من البريطانيين تسليمه فلسطين، تمهيداً لإقامة الوطن القومي اليهودي وقد تم تكليف وايزمن من الحركة الصهيونية بالعمل على وضع الأسس والقواعد لإنشاء الدولة اليهودية فقام وايزمن باستطلاع أوضاع اليهود في القدس، و مناطق أخرى من فلسطين، بسبب ما خلفته الحرب من دمار عم جميع سكان القدس[4].

ب -اجتماع المفوضية الصهيونية مع وجهاء القدس في 1918 م:

---

[1]Storrs ,Ronald,op.cit,p359

[2] Vital, David: **Zionism The Crucial Phase**, P. 312.

[3]دورين، أنغرامز ، **أوراق فلسطين، 1917**-1922، 27-29

[4] Norman, Rose:op.cit., P. 189.

أتاح "ستورز"حاكم القدس العسكري البريطاني "لحاييم وايزمن" الاجتماع بنخبة من وجهاء القدس وأعيانها منهم" كامل الحسيني"، "وموسى كاظم الحسيني" رئيس البلدية، "وإسماعيل الحسيني" مدير المعارف"، وعارف الدجاني"، والخواجا "سلامة" نيابة عن طائفة الأرثوذكس، والسيد "كوشاجيان" مطران الأرمن، والخواجا "أبو صوان" عن اللاتين [1].

استغل وايزمن الفرصة وعرض مقاصد الصهيونية وأغراضها، ونفى الأقوال التي ترددت في الأوساط الفلسطينية والتي أقلقت العرب من أن الصهاينة قدموا للاستيلاء على السلطة السياسية في البلاد وإقامة دولة لهم فيها، وحذر من تصديق تلك الأقوال .وركز في خطابه على أن اليهود الصهاينة يحترمون شعائر الطوائف الأخرى، وأنهم لا يرغبون في التعرض لأي مكان مقدس يخص المسلمين أو المسيحيين، بل يريدون أن يعيشوا بسلام مع الجميع على قاعدة الاحترام المتبادل[2].

كانت المفوضية الصهيونية مهتمة بتمرير مخططاتها على الفلسطينيين، حيث لم يصل الوعي العربي إلى مرحلة النضج الكافي التي تمكنه من معرفه ما يدور حوله من خفايا ودسائس ،والخطورة التي يشكلها المشروع الصهيوني على الأرض الفلسطينية والمقدسات الإسلامية[3] ففي شهر أيار عام 1918 حاول رئيس البعثة الصهيونية امتلاك الممر المؤدي إلى حائط المبكى والمساكن المجاورة له لصالح اليهود وبما أنها كانت منطقة أوقاف إسلامية (وقف أبو مدين) ونتيجة لعلمه الأكيد أنه لا يمكن بيع أو شراء أية أملاك للأوقاف الإسلامية تقدم وايزمن بعرض سخي للإدارة العسكرية بطلب مفاده مبادلة هذا الوقف الإسلامي بقطع أخرى من الأراضي وبشكل قانوني كما عرض دفع مبلغ 75.000خمسة وسبعين ألف جنيه وأكثر على سبيل التعويض ولتأمين مساكن جديدة لسكان المنطقة [4]

لما تقدم ستورز بالعرض إلى مفتي القدس آنذاك المرحوم "كامل الحسيني" كان رد المفتي: "لا يستطيع أي إنسان أن يتصرف بأملاك الوقف، ولا سيما هذا المكان على وجه التخصيص بأي مبلغ مهما كان حتى لو إلى مسلم، فكيف إذا كان الطالب يهودياً ونحن نعرف أهدافهم لامتلاك الحائط وما في جواره"[5]

لم يقف الأمر عند رفض المفتي للعرض الصهيوني المقدم وإنما تبين بعد ذلك أن عدداً من اليهود أخذوا يتباحثون في شأنه، ويتفاوضون عليه بشكل غير رسمي، ودون علم السلطات الرسمية، الأمر

---

[1] Storrs ,Ronald,op.cit,p359-360

[2] الشورة ،صالح، **مدينة القدس** ، 72

[3] Storrs ,Ronald,op.cit,p359-349

[4] محمود، العابدي، **قدسنا**، 4؛ قاسمية، خيرية، **النشاط الصهيوني في الشرق العربي(1908-1918)**، 383-384

[5] الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**، 10/ق2،235

الذي دفع بالحاكم العسكري مع نهاية شهر أيلول إلى العمل على إغلاق الموضوع بأكمله وعدم الحديث عنه[1].

وبعد انتهاء أعضاء المفوضية من استطلاع أوضاع اليهود، أرسل رئيس المفوضية" وايزمن "رسالة إلى بلفور في 30 مايو أيار 1918 م يشكو فيها من كثرة العرب بالنسبة إلى اليهود، فهم خمسة إلى واحد، كما يشكو من أن الإنجليز يتبعون المبدأ الديمقراطي الذي يتماشى مع الكثرة العددية، وينتهي وايزمن في خلاصة شكاويه إلى ما يلي:"إن الأوضاع الحالية تقود بالضرورة نحو خلق فلسطين عربية وهذا بدوره يقوض دعائم المشروع الصهيوني في فلسطين"[2].

من الواضح أن وايزمن تبنى الأسلوب نفسه والتكتيك المراوغ المبني على الخداع، والكذب واستغلال نقاط الضعف الموجودة لدى خصومه، في تمرير مخططاته الصهيونية، والتي تبناها سلفه هرتسل، من أجل تنفيذ بنود وعد بلفور، حيث يحتاج تطبيقه إلى توفر أجواء مؤاتية من الهدوء على الأرض عن طريق تبديد مخاوف السكان العرب والاستمرار في كسب الوقت وفرض سياسة الأمر الواقع، بهدف إقناع البريطانيين بالإسراع في تحقيق التطلعات الصهيونية، وإقناعهم بأن الحركة الصهيونية هي أفضل من يقوم بالحفاظ على المصالح البريطانية في المنطقة العربية.

2- السياسة البريطانية تجاه عرب القدس

تحدثنا عن العلاقات بين الطوائف في القدس، والتي ترسم صورة حية لتعايش عميق الجذور بين عائلات مسيحية ويهودية في قلب القدس أصبح يعرف بالحي الإسلامي، ولم يكن ذلك تجاوزاً متسامحاً لأقليات ذمية تتمتع بالحماية، وإنما انخراط إيجابي في شئون الجيرة، وكانت ديانتهم تشكل اعتباراً ثانوياً بالنسبة إلى تراثهم المديني الأوسع .

سعت الإدارة العسكرية إلى تطبيق المثل البريطاني القائل "Divided and ruled"فرق تسد" فزرعوا التنافر بين القروي والمدني، وبين المسلم والمسيحي وبين الوطنيين وزعماء الإقطاع، وذلك ليتمكنوا من إشغال الفلسطينيين ببعضهم البعض وبالتالي تستطيع أن تخدم المشروع الصهيوني بهدوء.[3]

وقد عبر عن ذلك" خليل السكاكيني" في لقاء له مع "وونرس تيلر" مخاطبه قائلاً: "فمنذ احتللتم البلاد اعتز صعاليك المسيحيين واليهود وشحنوا برؤوسهم إلى السحاب، وجعلوا ينظرون إلى وظائفهم

---

[1] Storrs ,Ronald,op.cit,p366

[2] الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات**، 75

[3] الحسيني ، رفيق، **على خطى يهوشع**،179

الصغيرة إلى مسلمي البلاد نظرة الكبير إلى الصغير، بل نظرة السيد إلى المسود، جعلوا يؤسسون الجمعيات الدينية الطائفية، وليس في جمعياتهم ما يشتم منه رائحة وطنية، جعلوا يعرضون المسلمين في آمالهم القومية، فصار الكاثوليك يرجون مصالح فرنسا، والروم الأرثوذكس مصالح روسيا وبريطانيا، أو على الأقل يعارضون المصلحة الوطنية"[1] .

وصلت سياسة التفريق الطائفي ذروتها عندما قامت بريطانيا بتقسيم المدينة إلى أربعة أحياء طائفية وهي الإسلامية(منطقة واقعة في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة وأوسطها، وتضم الحرم القدسي الشريف، وما حوله، ويسكن في الحي أيضا عدد من المسيحيين[2]) والمسيحية (الجزء الشمالي الغربي من المدينة وتضم كنيسة القيامة وما حولها، ويسكن بالإضافة إلى المسيحيين عدد من المسلمين[3] اليهودية(الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة، يسكنها عدد من اليهود وطوائف أخرى[4]) والأرمينية(الجنوبية الغربية من المدينة[5])، ومنع المسيحيون من دخول الأمكنة المقدسة الإسلامية وكذلك بالنسبة للمسلمين الذين منعوا من دخول الكنائس المسيحية والأديرة بمرسوم عسكري وكانت العادة في تلك الأيام بالنسبة إلى الشباب المقدسي من جميع الأديان الخروج إلى النزهة في المروج الخضراء داخل منطقة الحرم ومع دخول الانتداب أصبحت المنطقة محظورة [6].

ووضعت الإدارة العسكرية في مدينة القدس يدها على كثير من منازل المواطنين دون أن تدفع أجرتها وقد خاطب "السكاكيني" "تيلر" مبرزاً سلبيات الإدارة العسكرية فيقول: "أخذتم أشياء كثيرة من حبوب وحيوانات، وغيرها، ولم تدفعوا ثمنها، كثير من البيوت نهب أثاثها، وحلي النساء كغنائم حربية ...بعض ضباطكم يرتشون"[7].

من خلال حديث" السكاكيني" هذا نجد أن الإدارة العسكرية لم تختلف عن الحكومة العثمانية فترة الحرب والتي اعتمدت السلب، والنهب، والرشوة، والاستيلاء على البيوت، ولعلها سياسة واحدة مع اختلاف الشخصيات.

---

[1] السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 65/3

[2] جقمان، حنا، **جولة في تاريخ الأراضي المقدسة من أقدم العصور حتى اليوم**، مج57/1

[3] **الموسوعة الفلسطينية**، القسم العام، مج1، 514

[4] جقمان، حنا، **جولة في تاريخ الأراضي المقدسة من أقدم العصور حتى اليوم**، مج57/1

[5] **نفسه**، 57

[6] غوشة، صبحي، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، 46

[7] السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 65/3

وفي الجهة المقابلة فقد أخذت بعض الشخصيات المقدسية ومنها عائلة "الحسيني" تتودد للإدارة العسكرية وتتقرب من مسئوليها، وذلك حفاظا على نفوذها ومصالحها، سيما أن بعض الأسر المقدسية كانت خلال العهد العثماني تعتمد على الوظائف التي استمدت منها نفوذها، واعتمدت هذه الأسر على الأوقاف، فاعتادت السلطة والنفوذ، ولما خضعت البلاد للحكم العسكري البريطاني خشيت هذه الأسر على نفوذها ومكانتها، فأخذت تتقرب من السلطة الجديدة، فآثرت مصلحتها الخاصة على كل مصلحة[1]، ويعبر "السكاكيني" عن ذلك[2] بقوله:" فترى فلاناً تظنه من سادات البلاد يترفع عن مخالطة الناس، ولا يخالط إلا كبار القوم، ذلك السيد لا يستنكف في الخفاء إلا أن يقبل أذيال الحاكم، ويلتمس عطاءه، أو يزعجه كل يوم في تعيين ابنه أو أحد أقاربه في وظيفة يتمكن فيها من السلب والنهب".

ردة فعل عرب القدس على السياسة البريطانية تجاه اليهود

كان سكان البلاد يتوقعون أن يعهد إليهم بإدارة بلادهم عملاً بوعود الحلفاء وتصريحاتهم المتكررة رأوا ويا لهول ما رأوا أن البلاد راحت تدار بأيد إنجليزية، وأخذ الإنجليز يديرونها كما يشاءون لا كما يشاء الشعب نفسه، وما تقضي به مصلحته، ليس هذا فحسب بل إن الأدمغة التي تدير أداة الحكم أدمغة يهودية بحتة[3].

شعر عرب القدس بالخيانة والخيبة إزاء السياسة البريطانية من محاباة للصهاينة، خاصة مع انتشار وعد بلفور بين السكان، فأخذت العلاقات تتوتر بين العرب واليهود بعد هذا التصريح، وكان للعرب موقف من السياسة البريطانية تجاه اليهود تمثل ذلك بإقامة الجمعيات[4].

-الجمعيات الإسلامية المسحية1918م

يعد إنشاء الجمعيات الإسلامية المسيحية من الأساليب التي لجأ إليها العرب في فلسطين لمقاومة المشروع الصهيوني والسياسية البريطانية، خاصة بعد تصريح وعد بلفور ووصول البعثة الصهيونية برئاسة" وايزمن" إلى فلسطين عام 1918 م كرد فعل وتخوف الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين من

---

[1] السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني،** 151/3

[2] **نفسه،** 147/3

[3] الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين،** 10/ق2، 175، العارف، عارف، **تاريخ القدس،** 139

[4] **نفسه،** 176

أهداف هذه البعثة، وحتى يكون هناك جهة رسمية تشرف على مصالح الفلسطينيين بشكل يوازي الجهات الصهيونية التي تمثل اليهود وترعى مصالحهم[1].

اختلفت المصادر والمراجع في تحديد بداية تشكيل هذه الجمعيات وأي من المدن الفلسطينية كان أسبق في تشكيل جمعيته القدس أم يافا فعيسى السفري يذكر أن عرب فلسطين لم يكد يطلعوا على تصريح الجنرال بولز الصادر (18-2-1920م)[2] "حتى هبوا للجهاد ومقاومة الخطر الصهيوني فألفوا في كل مدينة جمعية ضمت مسلميهم ومسيحيهم وأطلقوا عليها اسم الجمعيات الإسلامية المسيحية" وأن أول عمل قامت به هذه الجمعيات الاحتجاج على قرار مجلس الحلفاء الأعلى بفرض الانتداب وإدماج وعد بلفور فيه[3] "

ولا يمكننا اعتبار هذا التاريخ بداية تشكيل الجمعيات الإسلامية المسيحية بسبب وجود عشرات الوثائق التي تعود لهذه الجمعيات قبل هذا التاريخ بسنتين تقريباً

وذكر عزة دروزة أن أول جمعية إسلامية مسيحية تشكلت في فلسطين هي جمعية القدس وكان ذلك "بعد أيام قلائل من احتلال القدس الذي تم في 9 كانون أول 1917م ،وقبل احتلال نابلس بعشرة أشهر " ثم تلتها بعد ذلك جمعية يافا ثم جمعية غزة[4].

ومعنى ذلك أنها تشكلت في 1917/11/20م على اعتبار أن مدينة نابلس احتلت في 1918/9/20[5] وهذا يعني أن تقدير عزة دروزة خاطئ بدليل أن الباحثة من خلال اطلاعها على مؤلفات دروزة لم تجد تاريخاً محدداً باليوم والشهر لتشكيل الجمعية وإنما يحددها "بعد فترة قصيرة من احتلال القسم الجنوبي من فلسطين مع القدس إلى أوائل سنة 1918م وقبل جلاء الأتراك عن سائر فلسطين في أواخر عام 1918م[6]

---

[1] صبري، بهجت، **فلسطين،** 261؛ الكيالي، عبد الوهاب، **تاريخ فلسطين الحديث،** 91

[2] ذكر عيسى السفري أن تاريخ صدور هذا التصريح في 1920/2/20واعتبر كامل خلة أن هذا التاريخ خطأ والصواب هو 1920/2/18 بناء على اعتماده على المصادر الأولية البريطانية ينطر خلة، كامل ، **فلسطين بين الانتداب والصهيونية** 17.

[3] السفري، عيسى، **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية** ،37

[4] دروزة، محمد، **مذكرات،** مج1، 309/2

[5] زعيتر ،أكرم، **وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية** 1918-1939م ، وثيقة رقم 3، 3

[6] دروزة، محمد، **مذكرات،** مج1، 11/2

وقد ذهبت المراجع الحديثة مذاهب شتى في هذا المجال فكامل خلة في كتابه فلسطين والانتداب البريطاني ذكر أن الجمعية الأهلية في يافا – التي نشر بيان تأسيسها في 6/حزيران 1918 م كانت أسبق في الظهور من الجمعية الإسلامية المسيحية فيها واعتبر أن الثانية قامت على أنقاض الأولى معتمداً في ذلك على أن الوفد السوري عندما زار يافا في 27 أيار 1918 اجتمع برؤسائها وممثليها في نادي الجمعية الأهلية ولم يرد ذكر للجمعية الإسلامية المسيحية فيها في تلك الفترة، ونوه أن جمعية القدس التي أعلن عنها أحد الموظفين السياسيين البريطانيين في حزيران 1918 هي أول جمعية إسلامية مسيحية تأسست في فلسطين "وتبع ذلك تأسيس جمعيات أخرى في المدن الجنوبية من فلسطين خاصة في يافا"[1] في حين تعود أقدم وثيقة لجمعية يافا بتاريخها إلى 8/ أيار /1918م أي قبل قدوم الوفد السوري [2]

في حين أن بيان نويهض الحوت اعتمدت في كتابها على وثيقة الجمعية الصادرة في يافا 8/أيار 1918م على اعتبار أنها أقدم وثيقة تعود للجمعيات الإسلامية المسيحية وعلى أساسها اعتبرت أن أول جمعية تأسست في يافا برئاسة الحاج راغب أبي سعود الدجاني وان تاريخ تأسيسها يعود إلى ما قبل تاريخ هذه الوثيقة[3]

والأرجح أن أول جمعية إسلامية مسحية تشكلت في فلسطين هي جمعية يافا في الفترة ما بين أوائل آذار وأواخر نيسان 1918م وهي الفترة التي علم فيها عرب فلسطين بنبا قدوم البعثة الصهيونية بدليل أن هذه الجمعية كانت مشكلة عندما وصلت البعثة الصهيونية فلسطين وهي التي مثلت المسيحيين والمسلمين في يافا أثناء زيارة البعثة لها في 8 أيار 1918م ونظراً لعدم وجود وثيقة أو مصدر يتحدث عن تاريخ تشكيلها بالتحديد إرتأينا حصر تشكيلها بين أول إشارة تدل على وجودها وبين آخر إشارة تثبت وجودها[4]

أما جمعية القدس فقد أعلن عنها أحد الموظفين السياسيين في الحكومة البريطانية يدعى ألبينا Albena في حزيران 1918م وبالتالي فإن تشكيلها جاء بعد تشكيل جمعية يافا بشهر أو شهرين تقريباً بدليل أن البعثة الصهيونية عندما زارت القدس في 27 نيسان 1918 م، واجتمعت بزعمائها لم ترد أي إي إشارة تدل على وجود نشاط لجمعية إسلامية مسيحية فيها. وهذا ما أكده عبد الوهاب الكيالي

---

[1] خلة، كامل، **فلسطين والانتداب**، 119-122

[2] زعيتر، أكرم، **وثائق الحركة الوطنية** ، وثيقة رقم (2) / 2-3

[3] الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات** ، 80

[4] وردت أول إشارة تدل على وجودها ، الكيالي ، عبد الوهاب ، **تاريخ فلسطين**، 91،وآخر إشارة تثبت وجودها ، زعيتر ،أكرم ، **وثائق الحركة الوطنية** ،وثيقة (2) ،2-3

[1]وآخرون بقولهم :-"تأسست أول جمعية إسلامية مسيحية في يافا في النصف الأول من عام 1918م برئاسة راغب أبي سعود الدجاني وعضوية وجهاء وتجار وبعض مثقفي يافا ثم تأسست جمعية القدس برئاسة عارف باشا الدجاني وضمت أعضاء من الجمعيات لتشمل جميع مدن فلسطين[2].

لم تعارض بريطانيا تشكيل هذه الجمعيات، وإنما أرادت من ذلك حفظ التوازن بين اللجنة الصهيونية والعرب وأنها من خلال اجتماعاتها تستطيع أن توجهها كيفما تريد، وأن تبرر النشاط الذي تقوم به البعثة الصهيونية [3].

وقد حرص الفلسطينيون وبخاصة أهل القدس منهم على تحقيق التضامن الإسلامي المسيحي، وذلك على اعتبار أن الحركة الصهيونية لم تميز بين المسلمين والمسيحيين في مخططاتها، فضلاً عن التأكيد للعالم الأوروبي أن للمسيحيين نصيباً في الدفاع عن مقدساتهم الدينية في فلسطين، وتنفيذاً لهذه الرؤية تم الإعلان عن تشكيل الجمعية الإسلامية المسيحية في مدينة القدس من المفكرين ذوي الوجاهة من المسلمين والمسيحيين في القدس[4]،فأعلنت بأن غايتها الحفاظ على حقوق أبناء الوطن المادية، والأدبية، وترقية شؤونه الزراعية، والاقتصادية، والتجارية، وإحياء العلم، وتهذيب الناشئة الوطنية[5] وشكلت الهيئة الإدارية الأولى للجمعية من أعضاء ممثلين للجمعية الخيرية الإسلامية في القدس إضافة إلى ممثلين عن جمعيتي الإخاء الأرثوذكسية واللاتين، علاوة على ممثلين عن أهالي القرى التابعة لمدينة القدس، وبلغ مجموع الأعضاء أربعين عضواً[6].

اتبعت الجمعية الأسلوب السلمي في نضالها ضد الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية، وكان أسلوبها قائماً على الاحتجاجات الرسمية، والمظاهرات، وعقد الاجتماعات، والمؤتمرات الوطنية، ورفع العرائض، والمذكرات إلى السلطة البريطانية[7].

من تلك المظاهرات التي قامت بها جمعية القدس عندما عزمت البعثة الصهيونية على إحياء ذكرى مرور عام على تصريح بلفور ردت عليه جمعية القدس بإقامة مظاهرة ضخمة، وأرسلت جمعية يافا

---

[1] **تاريخ فلسطين**، 98

[2] الكيالي ، عبد الوهاب ،وآخرون، **الموسوعة السياسية** ، 77

[3] صبري، بهجت، **فلسطين**، 262

[4] الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات**، 81

[5] حوراني، فيصل، **الحركة الوطنية وعلاقتها ببريطانيا، 1919**-1939، 18

[6] خلة، كامل، **فلسطين والانتداب البريطاني**،204

[7] الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات**، 65

في الوقت نفسه عدداً من المذكرات احتج فيها على رفع اليهود أعلامهم، وعلى تصريح وايزمن في القدس هاهم راجعون إليها لا قادمون عليها، ورفضت الهجرة اليهودية والوطن القومي اليهودي[1].

وينتقد "خليل السكاكيني" هذه الجمعية فيعدها غير قانونية، لأنها بالأصل عبارة عن جمعيات طائفية خيرية، ولا تمثل الرأي العام في مدينة القدس، كما أنها لا تضم إلا رؤوس الأسر ممن عاشوا في كنف العثمانيين، وتربوا على مبادئهم، وتخلقوا بأخلاقهم، لذا لا يمكن أن تكون سياسة هذه الجمعية إلا "سياسة التملق والتزلف فضلاً عن ضعف الرأي وسخافة العقل وقصر النظر[2]".

ويمضي السكاكيني في انتقاده للجمعية فيذكر" أن أعضاءها غير متآلفين ولا متحابين، وتسودها الطائفية، وعدم الثقة، فالأعضاء المسلمون على حد زعمه" لا ينظرون إلى المسيحيين إلا بارتياب وعدم الثقة، ولا يتساهلون في اعتبار أحد من المسيحيين إلا إذا كان يؤيد جانب إحدى أسرهم، ويذكر بأنه لا يحضر اجتماعات هيئتها الإدارية إلا عدد يتراوح ما بين 10-11عضواً، وتجتمع مرة واحدة في الأسبوع، ويفتتح الأعضاء جلساتهم ويختتمونها دون قراءة وقائع أو تقرير أمر، ولا يلتزمون بدفع اشتراكاتهم الشهرية، حتى وصل الأمر بأنهم "يضيقون ذرعاً كل شهر بأجر البواب"[3].

وبعد تأسيس هذه الجمعية بفترة وجيزة ورداً على المؤتمر الذي عقده اليهود في يافا في 18كانون أول 1918م،اتجهت الجهود الفلسطينية لتوحيد الجمعيات الإسلامية المسيحية في جميع أنحاء البلاد بجمعية واحدة تتبنى أهدافاً وبرنامجاً واحداً، وقد أسفرت هذه الجهود عن تشكيل الجمعية الإسلامية المسيحية الفلسطينية التي اتخذت من مدينة القدس مركزا لها[4].

ما قاله السكاكيني عن تركيبة الجمعيات الإسلامية المسيحية لم يكن حكماً اعتباطياً عليها، سيما أن الوجوه القائمة عليها لم تتغير، ومعظمها كانت تحابي السلطة العسكرية البريطانية، والبعض من أنصار الحركة العربية، وبالتالي فإن حكمنا على الجمعية الإسلامية المسيحية حتى لفترة لاحقة عن فترة دراستنا، سنجد أن أيا من قرارات المؤتمرات التي عقدتها لا تأتي بالجدوى المطلوبة وقراراتها متذبذبة بين رفض المشروع الصهيوني، وعدم تطرقه لمسألة الاحتلال البريطاني الحامية لليهود، وتنتهي ببعض القرارات التي لا تلقى آذاناً صاغية من بريطانيا، وقد تحولت المؤتمرات من نطاق المقاومة إلى نطاق منازعات بين الوجهاء والعائلات على مسألة من يكون رئيس المؤتمر ومن هم

---

[1] قمصية، مازن، **المقاومة الشعبية في فلسطين**، 65

[2] حساسيان، مانويل، **الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية**، 58-59

[3] السكاكيني، خليل، **يوميات السكاكيني**، 56

[4] **نفسه**، 57

الأعضاء، وكانت هذه بداية الصراعات التي ظهرت بعد ذلك بين العائلات على قيادة الحركة الوطنية[1] .

ومهما يكن من أمر فإن هذه الجمعية، لم تلعب دوراً مهماً على الساحة السياسية الفلسطينية سوى عقدها للمؤتمر الوطني الفلسطيني الأول، ورفع صوت الشعب الفلسطيني من خلاله على مؤتمر الصلح في باريس، علاوة على دورها في إيصال صوت الشعب الفلسطيني وبسط القضية أما "لجنة كنج كرين" خلال زيارتها للبلاد، أما ما عداهما فقد كان عملها دعائياً في مرحلته[2].

بقيت الجمعيات الإسلامية المسيحية تركز في نضالها على مواجهة الحركة الصهيونية دون الحكومة البريطانية، ويعود ذلك على المفاهيم التي كانت سائدة في تلك الفترة على أن بريطانيا حليفة العرب وأنها خلصتهم من الحكم التركي واحتلالها للبلد مؤقتاً[3]، وكانت تحرص على عدم الصدام المباشر بالسلطات البريطانية لاعتقادها بصعوبة مواجهة قوتها، وتسعى دائما إلى إحداث تغيير في السياسة البريطانية من خلال الإقناع الودي، وظلت تراهن طيلة فترة العشرينات على تحييد بريطانيا من الصراع القائم بين العرب واليهود على أمل أن تعدل بريطانيا في المستقبل عن دعم البرنامج الصهيوني [4]

وكان إيمان أغلبية هؤلاء القادة انطلاقاً من نمطهم الطبقي الاجتماعي أن بإمكانهم التفاهم مع بريطانيا فقامت بتوحيد جهودها نحو الصهيونية، ومشروعاتها، ومخططاتها، فأمسكوا بالذيل وتركوا الرأس، وهو الاحتلال البريطاني .

وفي أوائل شهر حزيران سنة 1918 تم الإعلان عن تأسيس "النادي العربي"، وقام على تأسيسه مجموعة من الشباب المؤمنين بالوحدة العربية، وكان من بينهم الحاج "أمين الحسيني" ،"ومحمد العفيفي" "ويوسف ياسين"، "وحسن أبو السعود"، "وإبراهيم سعيد الحسيني"، وتتلخص أهدافه بهدفين هما: الوحدة مع سوريا ومكافحة الصهيونية[5]، وفي العام نفسه تأسس" المنتدى الأدبي" وتولى رئاسته

---

[1] حساسيان، مانويل، **الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية**، 58

[2] الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات**، 82

[3] قمصية، مازن، **المقاومة الشعبية في فلسطين**، 66-67

[4] خلة، كامل، **فلسطين والانتداب البريطاني**،152

[5] خلة، كامل،**فلسطين**،193؛ الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات**، 86

"جميل الحسيني" وكانت أهدافه تتفق وأهداف "النادي العربي"[1]، كذلك "الجمعية الإسلامية" والتي أسست بغية الحفاظ على الممتلكات الإسلامية والتصدي للمحاولات الصهيونية للاستيلاء عليها[2]

كانت الحركة العربية في القدس في فترة الدراسة مع بريطانيا التي تحابي الصهيونية، غافلة دورها الرئيسي في تعزيز الصهيونية في القدس، ولعل السبب الرئيس -كما أوردنا سالفاً- هو الحفاظ على المناصب، وإن تكشفت هذه الأهداف لاحقا،

أما عن النضال الفلسطيني في ذلك الوقت فكان نضالاً سلمياً، متمثلاً بالمظاهرات والاحتجاجات والعرائض، وقد تحولت هذه المظاهرات فيما بعد إلى مظاهرات دموية ، توجت بثورة العشرين .

---

[1] الحوت، بيان، **القيادات والمؤسسات**، 87

[2] المهتدي، عبلة، **القدس**، 181

الخاتمة

تمخضت الدراسة عن نتائج، ولعل من أهمها ما هو آت:

1. كان للحركة العربية في متصرفية القدس، ومطالبتها الانفصال عن الدولة العثمانية نتيجة للسياسة العثمانية ضد العرب قبل الحرب، عظيم الأثر خلال الحرب، فهذه السياسة أدت إلى وقوف العرب إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية، عام 1916م، الماثل في تحقيق مطالبهم بالاستقلال.
2. أدركنا أن الأثر الكبير الذي خدم المشروع الصهيوني، وتزايد النفوذ اليهودي كان فترة وصول الاتحاديين إلى الحكم قبل الحرب، وسيطرتهم على مقاليد الحكم، وقد كانت الحرب العالمية الأولى تصب في مصلحة اليهود، بالإضافة إلى الجاسوسية الصهيونية من رجال ونساء الذين تعرفوا على كل كبيرة وصغيرة دارت في محاورات كبار رجال القدس والسلطة الحاكمة غافلين دورهم الأساسي في معرفة نقاط ضعف الدولة العثمانية واستخدامها لصالحهم ولصالح بريطانيا فالحرب كانت المصلحة الكبرى التي استطاع اليهود فيها استغلال الظروف الدولية وانتزاع وعد بلفور من بريطانيا 1917مالذي أخذ يتحقق ما بعد الحرب وسقوط القدس بيد بريطانيا وتسليمها فيما بعد لليهود.
3. أثّر دخول الدولة العثمانية الحرب، والانجرار وراء ألمانيا بشكل كبير على مستقبل هذه الدولة في فلسطين، وكانت له آثار اجتماعية، واقتصادية، وسياسية على فلسطين بعامة والقدس بخاصة نتيجة عدم وضع خطط مدروسة خلال الحرب، حيث تصرفت بشكل غير واع قضت على مصيرها.
4. ظهرت في القدس خلال الحرب مظاهر حضارية منها دخول السيارات والطائرات فترة الحرب وهو أمر لم تعهده القدس من قبل، وكذلك ظهور الساعات، وهو ما سمح بفرض قوانين جديدة للخلود إلى النوم، والانضباط في ساعات العمل، كذلك ظهور السينما، والصور الفوتوغرافية والمقاهي، والحفلات الغنائية، ومد الجسور، وإنشاء المدارس، والمؤسسات، كلها مظاهر حضارية كانت الحرب سبباً رئيساً في ظهورها.
5. زودتنا الحرب بالسياسة الحاقدة من قبل العثمانيين تجاه كل من ليس عثمانياً، لم يسلم المسلم العربي، ولا المسيحي، ولا اليهودي، من شرها، فهي لم تحتضن شعبها، فالمذكرات سلطت الضوء على مساحات بكر في روايات الحرب، ورأينا كيف تعاملت مع الجميع دون استثناء بالسوط فالجميع شاهد طوابير العساكر بين الفينة والأخرى وهي تسير في شوارع المدينة باتجاه مناطق جبهات القتال، بحالة يرثى لها، وكيف قسمت الطوابير العسكرية، كل طابور كان قد تحمل من

الأذى ما لم يحتمله أحد، وكان كثيرون قد أصيبوا بالهلع من بعض الإجراءات مثل الاستدعاء إلى التحقيق، والاعتقال بحجة مخالفة أوامر الحكومة، والإعدامات، ومراقبة الناس، والنفي، والعزل عن المناصب .

6. أشارت الوثائق التي بين أيدينا أن الدولة العثمانية كانت قد فرضت الخدمة العسكرية الإجبارية على كل من انضوى تحت رايتها دون استثناء، حتى من تم استثناؤهم في البداية قامت بطلبهم للخدمة وأمرت الكهول في التنظيف، ومن كان قوياً أخذ للخدمة العسكرية، وحتى أئمة المساجد والفقهاء، ولم يسلم غير المسلم من التجنيد أيضاً، كان كل ذلك في سبيل المجهود الحربي .

7. ظهرت خلال الحرب مظاهر الفقر، والجوع، والمجاعات، والسرقات، والشحاذة، وتردي الآداب العامة بين السلطة الحاكمة، والجنود على جبهات القتال، وفتح بيوت البغاء لهم، وهو ما يظهر لنا أن الحرب كانت شراً ووبالاً على فلسطين، حتى التعليم توقف وأغلقت الكثير من المدارس وراتب المعلم أصبح لا يكفي مع تدهور العملة، وأغلقت بوابات الصحافة، ورصدت الرقابة على كل من يخطر بباله الوقوف بوجه الدولة العثمانية .

8. استولت الحكومة العثمانية على كل شيء من بيوت، وحيوانات، وأثاث، ومصاغ، لمجهودها الحربي، تركت القدس فارغة من كل شيء، ولم يقف الأمر عند ذلك، فالجراد أكل الأخضر واليابس، وفرضت ضرائب على الناس وأثقلت كاهلهم بها، وارتفعت الأسعار، وتدهورت العملة العثمانية بحيث أصبح من يملك الليرة العثمانية والتي كانت تساوي 100 قرش قبل الحرب أصبحت لا تساوي شيئاً خلال الحرب فقد وصلت إلى الحضيض، وهذا يعني أنه لا غني ولا فقير سلم من الحرب.

9. كان للعرب دور كبير بسقوط القدس، وذلك من خلال مساعدة بريطانيا للوقوف ضد الدولة العثمانية مقابل استقلالها، فالكرة أصبحت بملعب بريطانيا، ومساندة اليهود لهم مقابل تحقيق الحلم الصهيوني في فلسطين، سارع في سقوط القدس، وانتزاعها من أيدي العثمانيين، وهنا تنتهي الحقبة العثمانية، ليبدأ دور بريطانيا على الساحة الفلسطينية.

10. قامت بريطانيا بتغيير العملة العثمانية وإلغائها، وإدخال الجنيه المصري في التعاملات النقدية وأجرت عدداً من التغييرات في بنية المجتمع المقدسي، بما يتلاءم مع تحقيق الوجود اليهودي وكانت خطة ماكلين وجمعية محبي القدس، تصبان في مصلحة اليهود وخدمة المشروع الصهيوني، ومما زاد الطين بلة وصول المفوضية الصهيونية إلى القدس برئاسة وايزمن للتخفيف عن كاهل الفلسطينيين وتبديد مخاوفهم تجاه اليهود، مع انتشار خبر وعد بلفور .

1. إن الرفض الفلسطيني انصب في الأساس ضد الحركة الصهيونية وضد تجليات مشروعها على الأرض الفلسطينية في الهجرة والاستحواذ على الأرض، وبالرغم من تعدد النوادي والمؤسسات التي تبنت التمثيل الفلسطيني، فإنها أجمعت في خطاباتها السياسية على أنه لا حق للصهاينة في

المطالبة بوطن قومي، وكان ذلك قاسماً مشتركاً بين الجمعيات والمؤسسات السياسية بغض النظر عن الدوافع التي قد تختلف من نخبة سياسية إلى أخرى، وبمعنى أدق طبيعة التهديد الذي يشكله المشروع الصهيوني على تلك النخب، فالنخبة السياسية في القدس عدته في الغالب تهديداً لنفوذها السياسي والاجتماعي.

الملاحق

ملحق (1): عرائض احتجاج من قرى بيت جراح وسنجل التابعة للواء القدس يطلبون من متصرف القدس أن لا يخرج أئمتهم للخدمة العسكرية بعد أن أجبرت الدولة الجميع دون استثناء من الخدمة ..وذلك لحاجتهم لأئمة في قراهم.





المصدر :– وثائق مركز إحياء التراث في أبو ديس، ملف رقم 1331/3.12/12

ملحق (2): أسماء رؤساء بلدية القدس



قبل الحرب العالمية الأولى

1. عبد الرحمن أفندي الدجاني تعيين
2. الخواجة استريادى تعيين
3. موسى أفندي فيض الله العلمي بالانتخاب
4. يوسف ضياء الدين باشا الخالدي بالانتخاب
5. عبد القادر أفندي الخليلي بالوكالة
6. رأفت أفندي أبو السعود بالوكالة
7. عمر أفندي عبد السلام الحسيني بالانتخاب
8. سليم أفندي الشاكر الحسيني بالوكالة
9. شحادة أفندي فيض الله العلمي بالانتخاب
10. سليم أفندي الحسيني بالانتخاب
11. زكي أفندي الدجاني بالوكالة
12. ياسين أفندي الخالدي بالانتخاب
13. محمد يوسف افندي العلمي بالوكالة
14. سعيد أفندي الحسيني بالانتخاب
15. محمد صالح أفندي الحسيني بالوكالة
16. فيضي أفندي العلمي بالانتخاب

17. حسين سليم أفندي الحسيني بالانتخاب
18. الخواجة داود يلين بالوكالة
19. الدكتور اسحاق ليفي بالوكالة

أثناء الحرب العالمية الأولى

1. شاكر بك ارطغول بالتعيين
2. جميل بك الحلبي بالوكالة
3. نوري بك بالوكالة
4. ضيائي بك بالتعيين
5. صادق بك بالتعيين
6. عارف باشا الدجاني بالتعيين
7. أحمد أفندي عارف الحسيني بالوكالة
8. إسحاق أفندي الشهابي بالوكالة
9. حسين سليم أفندي الحسيني بالتعيين

بعد الاحتلال البريطاني

1. حسين سليم أفندي الحسيني بالتعيين
2. مترى أفندي سلامة بالوكالة
3. موسى كاظم باشا بالتعيين
4. راغب بك النشاشيبي بالتعيين
5. يعقوب أفندي فراج بالوكالة
6. أنطون أفندي عطا الله بالوكالة
7. الدكتور حسين فخري الخالدي بالانتخاب
8. مصطفى بك الخالدي بالتعيين
9. الخواجة اوستر بالوكالة
10. المستر ويستر بالتعيين
11. المستر هلتون بالوكالة
12. المستر كرسفن بالتعيين

المصدر: قرارات مجلس إدارة القدس وبلدية القدس، أرشيف مركز إحياء التراث والبحوث الإسلامية ، أبوديس

ملحق (3) بيت المقدس، القائد الألماني فون شلندورف (أقصى اليسار من الصف الأول) برفقة أنور باشا (وسط) وجمال باشا (أقصى اليمين) أمام مبنى المدرسة الصلاحية (نسبة إلى صلاح الدين)، 1916.



المصدر: أرشيف مركز إحياء التراث والبحوث الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

1-المصادر غير المنشورة

أ-سجلات محكمة القدس الشرعية من سجل 407-416:

سجل رقم 407- من 1329- 1331 هـ/1911-1912م

سجل رقم409من 1331-1332هـ/1912-1913م

سجل رقم411 من 1331-1337هـ/1912-1918م

سجل رقم412من 1332-1334هـ/1913-1915م

سجل رقم413من 1333-1340هـ/1914-1921م

سجل رقم 416من 1336- 1338هـ/1917-1919م

2-الأوراق الخاصة والمذكرات

1-أوراق خاصة

أوراق شخصية " لتوفيق أبو السعود" المولود في القدس عام 1902م وهي محفوظة لدى "عزام توفيق أبو السعود" كاتب وباحث متخصص في شؤون القدس.

2- مذكرات عربية

- البديري، خليل، **ستة وستون عاما مع الحركة الوطنية الفلسطينية وفيها**، القدس، منشورات صلاح الدين، 1982م.
- تماري، سليم، **عام الجراد الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين مع أيام مثيرة من حياة العسكري إحسان القصيرة يوميات جندي عثماني 1915-1916**،(رام الله، وزارة الثقافة)، (د،ط)، 2009.

القدس العثمانية في المذكرات الجوهرية، الكتاب الأول من مذكرات الموسيقي واصف جوهرية 1904-1917م،جزءان،(القدس، مؤسسة الدراسات المقدسية)، (د،ط) 2003م .

- دروزة، محمد، **مذكرات1887 –1984 م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م
- السكاكيني، خليل، **كذا أنا يا دنيا**، إعداد: هالة السكاكيني(د،م)، دار إحياء التراث الثقافي الفلسطيني)، ط2، 1982م.

يوميات خليل السكاكيني يوميات، رسائل، وتأملات، الكتاب الأول نيويورك سلطانة، القدس 1907- 1912،ثلاثة أجزاء، (رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية)،(د،ط)، 2003م

- **يوميات خليل السكاكيني يوميات، رسائل، وتأملات، الكتاب الثاني النهضة الأرثوذكسية، الحرب العظمى، النفي إلى دمشق، 1914-1918م**،(رام الله، مؤسسة الدراسات المقدسية)،(د،ط)، 2004م.

- السلطان عبد الحميد : **مذكراتي1891-1908** (بيروت، مؤسسة الرسالة)/(د.ط)، 1982م
- طوطح، خليل، شحادة، بولص، **تاريخ القدس ودليلها**،(القدس، مطبعة مرآة الشرق) (د،ط)،(د،ت).
- طوطح، خليل، البرغوثي، صالح، **تاريخ فلسطين**، (مكتبة الثقافة الدينية ،(د.م)، د.ط)، (د.ت)
- الغوري، إميل، **فلسطين عبر ستين عاماً**، بيروت، دار النهار، 1972م.
- **مذكرات جمال باشا السفاح** : تعريب عن التركية علي شكري، تحقيق: عبد المجيد خالد (بيروت، الدار العربية للموسوعات)، ط1، 2004م.
- نخلة، رشيد، **كتاب المنفى**، (بيروت، المكتبة العصرية)، ط1، 1956

3-مذكرات أجنبية

Storrs, Ronald, **The Memoirs of Sir Ronald Storrs**,(New York, Arno Press), 1972

3- الوثائق

1- الوثائق المنشورة

- دروزة، محمد عزة، **القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها تاريخ ومذكرات وتعليقات**، (بيروت، المكتبة العصرية)، (د،ط)،(د،ت).
- **وثائق فلسطين مائتان وثمانون وثيقة مختارة (1839-1987)**، دار الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية 1987م.

2- وثائق أجنبية غير منشورة

تقارير إدارة فلسطين و شرق الأردن، 1918-1948، الجزء الأول

Palestine & Transjordan administration reports,1918-1948, vol1

3- وثائق غير منشورة

وثائق مؤسسة إحياء التراث والبحوث الإسلامية في "أبو ديس"

4-المراجع العربية

- أحمد، حامد، **السكاكيني في النهضة الفكرية المعاصرة**، (نابلس، مكتبة خالد بن الوليد)، ط2 1980م.
- الأنصاري، فهمي مقبرة مأمن الله -ماميلا رام الله، وزارة الإعلام الفلسطينية، 2010
- طنوس، عزة، الفلسطينيون ماض مجيد ومستقبل باهر، (مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية)، 1982
- أنطونيوس، جورج، **يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية**، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، (بيروت، د.د)، (د.ط)،1962م.
- برو، علي، العرب **والترك في العهد الدستوري العثماني 1908/1914م**،(القاهرة، معهد الدراسات العربية)، (د.ط)،1960م
- البطل، هشام، **الحرب العالمية الأولى أهم المعارك الغربية والشرقية وسقوط الدولة العثمانية** (مكتبة النافذة،(د.م)، ط1 ، 2009م.
- أبو بكر، أمين، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس1858-1918م**،(عمان، مؤسسة عبد الحميد شومان)(د.ط)، 1996م.
- بوصير، صالح، **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن**،(د.م، دار البيادر)، ط3،1988م.
- تماري، سليم، نصار، عصام، **دراسات في التاريخ الاجتماعي لبلاد الشام قراءات في السير والسير الذاتية**، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، ط1، 2007م
- أبو جابر، إبراهيم، وآخرون، **قضية القدس ومستقبلها في القرن الحادي والعشرين** (عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط)، (د.ط)،2002م.
- جبارة، تيسير، وآخرون، **تاريخ القدس**، (د،م، منشورات جامعة القدس المفتوحة) (د،ط)، 2009

- جبارة، تيسير، **الحاج أمين الحسيني مفتي القدس رئيس المجلس الإسلامي الشرعي –دراسة في نشاطاته الإسلامية 1921-1937**م، (إربد، دار العرفان،) ط 1، 1995م
- جريس ، صبري ، **تاريخ الصهيونية** ،(بيروت، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية)، (د.ط)، 1968م

-**القدس المخططات الصهيونية، الاحتلال التهويد**، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، (د.ط)، 1981م.

- جقمان، حنا، **جولة في تاريخ الأراضي المقدسة من أقدم العصور حتى اليوم**)،(بيت لحم، د.د)، (د.ط)، 1999م.
- الحزماوي، محمد، **ملكية الأراضي في فلسطين 1918- 1948م**، (عكا، مؤسسة الأسوار)،(د.ط)، 1998م.
- حساسيان، مانويل، **الصراع السياسي داخل الحركة الوطنية**(القدس، منشورات البيادر السياسي)، 1987
- الحسيني، رفيق، **على خطى يهوشع**، (عمان، دار الشروق للطباعة والنشر)،(د.ط) 2011م.
- الحلاق، **حسان، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، 1897-1909**،(بيروت، دار الهدى)، ط2، 1990
- الحوت، بيان، **القضية ، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين، حتى القرن العشرين1917 م**، دار الاستقلال للدراسات والنشر،بيروت،1991م.

-**القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين،1917-1948**،(بيروت، دار الهدى)، ط3، 1986م.

- الخالدي، وليد، **الصهيونية في مائة عام من البكاء على الأطلال إلى الهيمنة على المشرق العربي1897-1997**(بيروت، دار النهار للنشر)، ط1، 1998م.

– **قبل الشتات التاريخ المصور للشعب الفلسطيني 1876-1948م**،(بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية)ط1، 1987م

- خلة، كامل، **فلسطين والانتداب البريطاني1922-1937م**،(طرابلس، المنشأة العامة للنشر والتوزيع)، (د.ط)، 1982 م.

- خوري، يوسف، **الصحف العربية في فلسطين (1876- 1948)**، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية)،(د.ط)، 1976،
- الدباغ، مصطفى، **بلادنا فلسطين**، (بيروت، دار الهدى،)،(د.ط)، 1991م
- دروزة، محمد عزة، **نشأة الحركة العربية الحديثة انبعاثها ومظاهر سيرها في زمن الدولة العثمانية إلى أوائل الحرب العالمية الأولى**، (بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر)، ط2 1979م.
- دمبر، مايكل، **سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين 1948**–1988،(بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، (د.ط)، 1992م.
- ربابعة، غازي، **تاريخ القدس السياسي**، (عمان، منشورات وزارة الثقافة)، (د.ط) 2010م.
- الزغبي، أمجد :**هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني على فلسطين وشرقي الأردن وتأسيس إمارة شرقي الأردن 1920 1925** م(عمان، مركز الكتاب الأكاديمي)،(د.ط)،د.ت)
- السعدون، صالح، **الاتحاد الإنجلو يهودي للسيطرة على فلسطين 1299- 1922م**(عمان كنوز المعرفة)ط1، 2010
- السفري، عيسى، **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية**، (يافا، مطلعة مكتبة فلسطين،ط1، 1937م.
- شعث، شوقي، **القدس الشريف**، (د.د، آفاق ثقافية مقدسية)، (د.ط)، 2009م.
- الشناق، محمود، **العلاقات بين العرب واليهود،1876–1914** مطبعة بابل الفنية، حلحول، ط1، 2005م.
- الشورة، صالح، **مدينة القدس تحت الاحتلال والانتداب البريطانيين1917–1948م**، (عمان، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع)، ط1، 2011
- شوفاني، إلياس، **الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949** (د.د، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،(د.ط).(د.ت).
- صالحية، محمد، **القدس والسكان والأرض(العرب واليهود)1858–1948م**،(بيروت، مكتبة الزيتونة)، (د،ط)، 2009
- صبري، بهجت، **فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1914–1920**(منشورات الدراسات العربية، القدس)، (د،ط)،1982م.
- الطيباوي، عبد اللطيف، **القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام**، (عمان، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية،
- العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، (القدس، مطبعة المعارف)،ط1، 1961

تاريخ القدس، (مصر، دار المعارف)، (د.ط)، **1976**

- العلمي، أحمد، **الاجتياح البريطاني لفلسطين1917-1918**، (عكا، مؤسسة الأسوار)، (د،ط)، 1998.
- عوض، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث،1831-1914**، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر)،ط1، 1983م.
- عناب، محمد، **الاستيطان الصهيوني في القدس 1967-1993**، (القدس، بيت المقدس للنشر والتوزيع)،ط1، 2001م.
- عبد الظاهر، محمود، **الصهيونية وسياسة العنف؛ زئيف جابوتنسكي وتلاميذه في السياسة الإسرائيلية**، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب)، (د.ط)، 1979م.
- العسلي، كامل، **من آثارنا في بيت المقدس**، (عمان، د.د)، (د.ط)، 1982م.

مقدمة في تاريخ الطب في القدس منذ أقدم الأزمنة حتى سنة 1918م، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، (د.ط)، 1994م.

- العقاد، أحمد خليل، **تاريخ الصحافـة العربيـة في فلسطين**، (دمشق، مطبعة الوفاء) ط11961م.
- علوش، ناجي، **المقاومة العربية في فلسطين**،(مؤسسة الأسوار، عكا)، (د.ط)، 1979م
- أبو عليان، عزمي، **القدس بين الاحتلال والتحرر عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة 300ق.م- 1967م**، (الزرقاء، مؤسسة باكير للدراسات الثقافية)، ط1، 1993م.
- العودات، يعقوب، **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين**، (القدس، دار الإسراء)،ط2، 1992م.
- العويسي، عبد الفتاح، **جذور القضية الفلسطينية1799 - 1922 م**، (الخليل، دار الحسن للطباعة والنشر)،ط2 1412هـ1992م.،
- عيسى، صلاح، **رجال ريا وسكينة**(القاهرة، دار الأحمدي)،(د.ط)، 2002م.
- غنيم، عادل، **الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة 1936 حتى قيام الحرب العالمية الثانية، (مكتبة الخانجي، مصر)،(د.ط)،1980م.**
- غوشة، صبحي، **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، 2010م.
  - **شمسنا لن تغيب**، (الكويت، أنغام الحياة)، (د.ط)، 1988م

- فريدبك، محمد :**تاريخ الدولة العلية العثمانية**،(د.د، د.م)، ط1،1311هـ- 1839م

- الفاهوم، زهير، **فلسطين ضحية وجلادون فلسطين في أواخر العهد العثماني**، (القاهرة، شمس للنشر والتوزيع)، ط2، 2012م
- فهمي، وليم، **الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة**، (معهد البحوث والدراسات، بيروت)،(د.ط) 1971م.
- القطشان، عبد الله، **التعليم في فلسطين، التعليم الخاص اليهودي والمسيحي والإسلامي 1920-1948**، (عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع)، (د،ط) 1988
- قمصية، مازن، **المقاومة الشعبية في فلسطين تاريخ حافل بالأمل والإنجاز**،(رام الله، المؤسسة الفلسطينية للدراسات الديمقراطية)، (د.ط)، 2011م
- الكيالي، عبد الوهاب، **تاريخ فلسطين الحديث**،(بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ط6، 1977.
- مباشر، عبده، **جاسوسية وجواسيس**،(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب)، (د.ط) 2009م.
- محاسنة، محمد، وآخرون، **تاريخ مدينة القدس**، (عمان، دار حنين للنشر والتوزيع)، (د.ط) 2002م.
- محافظة، علي، **تاريخ الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن**،(بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع)، **(د.ط)**، 1987م.

-**العلاقات الألمانية الفلسطينية. من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية (1841-1945م)** (القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير)، ط1، 1981م.

-**الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني 1918-1948**، (عمان، مركز الكتب الأردني)،(د.ط)، 1988 م.

- المحجوبي، علي، **جذور الاستعمار الصهيوني**، **(تونس، دار سراس)**، **(د.ط)**، **1990م**
- محمود، رأفت، **القدس التاريخ والمستقبل**، أبحاث الندوة الدولية القدس التاريخ والمستقبل (جامعة أسيوط، مركز دراسات المستقبل)، 1997م
- محمود، أمين، **مشاريع الاستيطان منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**،(د.م، عالم المعرفة)،(د.ط)،1984م.
- محمود، العابدي، **قدسنا**، (د.م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)،(د.ط)،1972م.
- المدني، زياد، **مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني1831-1918م**(عمان مطبعة الدستور)، ط1، 2004م.

- مناع، عادل، **أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني، 1800-1918، (القدس، د.د) (د.ط)،1986**م.

تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني،1700-1918، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،)، ط1، 1999م.

- المهتدي، عبلة، **القدس تاريخ وحضارة(300ق.م-1917م)**،(لبنان، دار نعمة للطباعة) ط12000م

القدس والاحتلال العسكري البريطاني1917-1920م،(بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ط1، 2003م.

- الناصر، معتصم، **الحياة السياسية العربية في القدس 1918-1934م**، (رام الله، مطبعة الشافي)، ط1،2009م.
- النتشة، رفيق، وآخرون، **تاريخ مدينة القدس**، (عمان، دار الكرمل للنشر والتوزيع)، ط1، 1984 م.
- نويهض، عجاج، **رجال من فلسطين**،(بيروت، منشورات فلسطين المحتلة)،(د.ط)، 1981م
- الوعري،نائلة، **دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين-1914 1840م**،(عمان،دار الشروق)،ط1، 2007م.
- يهوشع، يعقوب، **تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني 1908-1918م** (مصر، مطبعة المعارف)، (د.ط)، 1974م.

الرسائل الجامعية

- أبو حلبية، حسن، **تاريخ الأحزاب العمالية الصهيونية، في فلسطين 1905-1948م**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012م
- مسعود، قدري جمال، **عائلة الحسيني في مدينة القدس ودورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي 1918- 1939**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، 1998م.

5-الدوريات

أ- الصحف

1-الصحف العربية

البيان1915-1917م

البشير 1914-1917م

الدفاع 1964م

المقطم 1912-1914م

فلسطين 1913-1914م

الكرمل 1913م

الكوكب1918-1919م

مرآة الشرق، 1919-1920م

المقتبس1915-1917م

2-الصحف العبرية

صحيفة هآرتس ع 18 ، 9سبتمبر /أيلول، 2004م

ب- المجلات

- أحمد، محمد، **الحياة الثقافية والفكرية في القدس في العصر العثماني**، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، عدد خاص،2009م.
- الأزعر، محمد، **المشروع الصهيوني والقدس في عهدا لانتداب ومحاولة لصنع عاصمة**، م شؤون عربية، ع96، كانون أول، 1996م.
- تماري، سليم، **ما بين الأعيان والأوباش الرؤية الجوهرية في تاريخ القدس الانتدابية**، مجلة الدراسات الفلسطينية، ع 61، 2005م.
- حداد، يوسف، **الاتجاهات الوحدوية في فلسطين في عهد الانتداب** ، مجلة شئون عربية،ع8 1981م

- حزماوي، محمد، **الأوضاع العامة في مدينة القدس خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها 1914-1920م من خلال يوميات خليل السكاكيني** ،شئون فلسطينية،ع160،2015م.
- حمودة، سميح، **ذكريات المعلم المقدسي فؤاد أسعد أبو السعود**، حوليات القدس، ع9، 2010
- خير، فاطمة ،**استيطان القدس قبل قيام إسرائيل**، م صامد،ع109، 1997م .
- زيدان جرجي، **فلسطين تاريخها وآثارها**، مجلة الهلال، 7/ 22أبريل، 1914م.
- شقيرات، أحمد، **أوراق النقد العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى 1915-1918**، مجلة جامعة اليرموك، ع96، 2010م
- عوض ، عبد العزيز، **الحركة العربية في متصرفية القدس**، م الشرق الأوسط، ع1، 1974م.

متصرفية القدس أواخر العهد العثماني، م شؤون فلسطينية، ع4،1971م

- قاسمية، خيرية، **المقاومة العربية للصهيونية أواخر العهد العثماني 1908-1917**،م دراسات تاريخية،ع11، 1983

- مرار، آمال، **تكية خاصكي سلطان قصة مكان حفرت في ذاكرة الأيام المقدسية الخيرية**، م العاصمة،ع14،10 حزيران،2015م

6-المراجع المعربة

- آرمسترونج، كارين، **القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث**، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني (د.د)،(د.م)، (د.ط).1998

- تلمي، أفرايم، ومناحيم، **معجم المصطلحات الصهيونية**، ترجمة أحمد بركات العجرمي (عمان، دار الجليل للنشر)، ط1، 1988
- شكري، عراف، **المواقع الجغرافية**، ترجمة وتحقيق: إلياس شوفاني،(بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية) ط1، 2004م.
- شولش، ألكزاندر، **تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882**، ترجمة: كامل العسلي، (الأردن الجامعة الأردنية)، (د،ط)، 1988
- العسلي، كامل، **القدس في التاريخ**، ترجمة وتحرير: كامل العسلي، (عمان، منشورات الجامعة الأردنية)،(د.ط)،1992
- الهنيدي، سحر، **التأسيس البريطاني للوطن القومي اليهودي فترة هربرت صموئيل 1920-1925**، ترجمة: عبد الفتاح الصبيحي، (بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، ط1، 2003

7- المراجع الاجنبية

1- Abadi, Jacob: **Israel's Leadership: From Utopia to Crisis** Greenwood Press, 1993

2- 2-Ashbee,C.R,**Jerusalem(1918-1920),The Records of the pro-Jerusalem Council during the period of the British Military Administration**,(London,1921)

3- Comay, Joan: **Who's Who in the Old Testament: Together with the Apocrypha** ,Routledge, 1995.

4- Gorny, Yousef: **Zionism and The Arabs 1882-1948**, Clarendon press, Oxford, 1987.

5- Halpern, Ben ; Reinharz, Jehuda :**Zionism and the Creation of a New Society**, Oxford University Press, 1998

6- Herman, Carol, **Was the Spy Ring Avenged**?. The Washington Times June 19, 2005.

7- Higham, Robin, and Others: **Researching World War 1**, Green Wood Press, West Port, 2003.

8- Joseph H, Udelson: **Dreamer of the Ghetto: The Life and Works of Israel Zangwill** ,University of Alabama Press, Tuscaloosa, 1990

9- Kamale..J, Asali: **Jerusalem in History**, Scorpion Publication L.T.D England, 1988.

10- Lenczowski, Georg:**The middle east in world affairs**, Cornell Univ Pr; 4thedition , 1980

11- L. Kollek, Teddy: **Jerusalem, Praeger Publishers**, New York, 1988

12- Marlowe,John: **The Seat of Pilate; an Account of the Palestine Mandate**, Cresset Press, 1959.

13- Margolis, Max: **A History of the Jewish People, The Jewish Publication Society of America**, 1927.

14- Al-Modallal, Waleed: **The Israeli Settlements in Jerusalem**, Lambert, Academic Publishing, London, 2011

15- Norman L. Zucker : **The Coming Crisis in Israel: Private Faith and Public Policy** ,M.I.T. Press, Cambridge, MA. 1973

16- Norman, Rose: **Chaim Weizman**, Penguin Books, New York, 1986

17- Sicker, Martin: **Pangs of the Messiah (The Trouble Birth of Jewish State**, West port, 2000

18- Strohmeier ,Martin, **Alkulliya al –Salhiya,A late Ottman University in Jerusalem in Ottman Jerusalem:The Living City 1517-1917**, edited by Sylvia Aula and Robert Hillenbrand(London, Altajir World of Islam Trust),2001

19- Tibawi, **Arab education in mandatory Palestine**, London, Luzan and Company LTD,1956

20- Vital, David: **Zionism The Crucial Phase**, Clarendon Press, Oxford 1987

21- Zucker, Norman L.:**The Coming Crisis in Israel: Private Faith and Public Policy**, M.I.T. Press, 1973

8-المراجع العبرية

- أمير، أهرون :**رسائل ومكاتبات أبشالوم فينبرغ**،(تل أبيب، حدكل)، (د.ط)، 1971م.
- إلياب، مردخاي، **في الحصار والضائقة أرض إسرائيل في الحرب العالمية الأولى**،(القدس إصدار يتسحاق بن تسفي)،(د.ط)،(د.ت).
- ليفنا، أليعزر وآخرون :**تاريخ الشجاعة السياسية**، (د.م، إصدارات شوكن، 1966م

9-الموسوعات

1- الموسوعات العربية

- أوين، روجر، **الحياة الشعبية في فلسطين**، الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج1، 1974م.
- طربين، أحمد، **فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار البريطاني في خلفية الدولة اليهودية1922-1939م**، الموسوعة الفلسطينية، ج2،ق2، بيروت، ط1، 1990
- عوض، عبد العزيز، **الأطماع الصهيونية في القدس**، الموسوعة الفلسطينية، مج6، ق2، ط1 1990م

- الكيالي، عبد الوهاب، وآخرون، **موسوعة السياسة**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1989م.
- المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية**، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ط1، 1974م.

2-الموسوعة العبرية

- بن أريه، يهوشع وآخرون **:موسوعة الفترات الكبرى في تاريخ أرض إسرائيل، بلاد على حافة الخراب، 1914-1918**، إصدارات رفيفيم، 1980م.

3-الموسوعات الإنجليزية

Encyclopedia of Zionism and Israel, and Israel, Herzel Press, New York, Voll, 1971

10- الروايات

عدوان، ممدوح، **أعدائي** (بيروت، مكتبة الرياض للأبحاث)ط1، 2000م

11- المواقع الإلكترونية

أ- المواقع الأجنبية

Jewish Virtual Library, us-israel.org.

www.tidhar.tourolib.org

www.jewishvirtual library.org.History-yaddish

www.britannica.com.The Mcmahon-HusseinCorrspondence

ب- المواقع العربية

قناة الجزيرة : **برنامج أرشيفهم وتاريخنا-ملف الأرض كيف ضاعت**،نوفمبر،2011م

Abstract

The present study tacked Jerusalem's conditions during the World War I (1914-1918). The study depended on Jerusalem Shari'a Court records as a source that includes information than those available in resources, printed books, and brochures. In addition, this research included memos and diaries written by Jerusalemites lived during the war period such as Khalil al-Sakakini dairies, al-Askari, Ihsan al-Turjuman, and the musicial Wasif Juhawiya. Another important source of information are the personal papers based on verbal narrations available for Jerusalemite researcher and historian Azzam Tawfiq Abu Saoud as he wrote war incidents as narrated by his father Tawfiq Abu Saoud who was born in Jerusalem in 1902. He had a vision which necessitates studying this era of Jerusalem's history.

The four years duration of was had a great and wide repercussions on the Jerusalemite society that showed the ordeals that faced this community during the year of the World War I .The study indicated the Ottoman state's position from the war, then, it reviewed the most important action taken after entering the war, in addition to what Ahmad Basha

Jamal, Commander of Fourth Army has taken towards institutions, abbeys, foreign hospitals, and Arab movement during the war, in addition to the Jews' position from the war, and standing by Britain to achieve the Jewish dream .

The study included social conditions suffered by people in Jerusalem in terms of talking about Jerusalemite families and their classes, the relationships between sects in Jerusalem during the war, Muslims, Jews, and Christians. In addition, we have pointed to the changes that occurred on the society during the war and the role of journalism during the state of war, educational institutions, expatriation, isolations from positions, poverty, famine, the emergence of begging, the corruption of ruling government, and the deterioration of public morals, beside the health aspects that included establishing a number of hospitals and pharmacies in Jerusalem during the war .The study also tackled economic conditions in Jerusalem such as governments confiscating people's properties in Jerusalem, locusts year, Sultan Khaski hospice in Jerusalem to secure people's needs of food during extreme poverty times in Jerusalem, painful hunger, and the rise of living costs caused by the war that increased prices and taxes. This has led to the spread of famine significantly in Jerusalem.

In addition, trade, industry, and even agriculture were affected .The study stopped at the First Era of the Military Administration in Jerusalem in 1918 and how British were able to enter the city. The researcher pointed out to the most important obstacles that faced Jerusalem in the first era of the Military Administration, in addition to the most prominent administrative organizations established in Jerusalem such as security, system, judicial affairs, financial issues and customs, economic conditions, transportations and telecommunications, in addition to organizing the city of Jerusalem for Jewish interests through Macklin plan, Society of Jerusalem Lovers and the arrangements conducted on its municipality, then discussing the relationship of military administration with sects, especially Jews in Jerusalem, and granting them facilitations to establish the national Jewish homeland to them in Palestine through Belfour declaration and its relation with Muslims, the matter that made Arabs in Jerusalem to establish societies in response of the British policy towards hews, most notably Islamic Christian associations.